تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

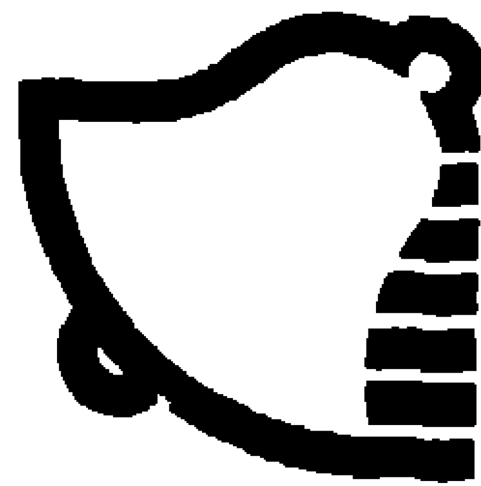
الرسائل إلى

تيموثاوس وتيطس وفليمون

رسائل
تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس وفليمون

نقله إلى العربية

لطيف زكي بدروس



طبعة ثانية

صدر عن دار الثقافة ص .ب . ١٢٩٨ – القاهرة
 ١٠ / ٢٩٠ ط ٢ (أ) / ٥ – ٨ / ٧٨ — ٨٨
رقم الايداع بدار الكتب : ٧٢٩٥ / ٨٨
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

* يشترك عدد من المترجمين فى ترجمة هذه السلسلة التى تصدر عن :

- دار الثقافة المسيحية .
- دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

في هذا الكتاب

الرسائل إلى تيموثاوس

مقدمة

رسائل شخصية :

اعتبرت رسائل بولس الرسول إلى تيموثاوس وتيطس ، مجموعة منفصلة من الرسائل ، مختلفة عن بقية رسائل بولس . وأظهر الاختلافات أن هذه الرسائل ، مع الخطاب القصير إلى فليمون ، كتبت إلى أشخاص ، بينما كتبت جميع رسائل بولس الأخرى إلى كنائس . وجاء فى القانون الموراتوريانى Muratorian Canon ، أقدم قائمة رسمية لكتب العهد الجديد ، أن الرسائل كتبت لتعبر « عن شعور وعواطف شخصية » فهى بمثابة رسائل خاصة أكثر منها عامة .

رسائل كنسية :

ورغم ما يبدو من أن هذه الرسائل شخصية وخاصة إلا أنه اتضح أن لها من الأهمية والتقدير ما يجعلها أشمل بكثير من مجرد الدلالة الشخصية . ويظهر الغرض من هذه الرسائل فى ١ تيموثاوس ٣ : ١٥ . كتبت لتيموثاوس « لكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى » كتبت الرسائل لتضع قواعد السلوك التى تليق بمن يعيشون فى بيت الله . لهذا ابتدأ يتضح ما للرسائل من أهمية كنسية إلى جانب أهميتها الشخصية . ويذكر القانون الموراتوريانى ، أنه رغم أن الرسائل شخصية وبحيثها عاطفة شخصية ؛ لكنها « لازالت تتمتع بنظرة تقدير (من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية) ،

فى التنظيمات الكنسية » وذكر تيرتوليان Tertullian أن بولس كتب « رسالتين إلى تيموثاوس وواحدة إلى تيطس ، الغرض منها الاهتمام بحالة الكنيسة » . لهذا لم يكن مستغرباً أن أول اسم أطلق على الرسائل هو « رسائل بابوية » . والرسالة البابوية هى خطاب كتبه البابا ، أو الأسقف المشرف على الكنيسة .

رسائل رعوية :

ولكن شيئاً فشيئاً اتجهت التسمية إلى الاسم الذى ما زالت تعرف به الرسائل حتى الآن ــ **الرسائل الرعوية** . وفى عام ١٢٧٤ ذكر توما الأكوينى عن ١ تيموثاوس « هذه الرسالة تبدو كما لو كانت قانوناً رعوياً سلمه الرسول إلى تيموثاوس » . وفى مقدمة عن الرسالة الثانية ، كتب ، « فى الرسالة الأولى يعطى بولس لتيموثاوس التعليمات الخاصة بالتنظيم الكنسى ؛ وفى هذه الرسالة الثانية يعالج موضوع العناية الرعوية التى يجب أن تكون بالغة العمق لدرجة الاستشهاد فى سبيل العناية بالقطيع » ولكن هذا اللقب ، الرسائل الرعوية ، لم يصبح علماً على هذه الخطابات إلا فى عام ١٧٢٦ ، حينما أطلقه بولس أنطون ، أحد كبار الأساتذة ، على سلسلة شهيرة من المحاضرات ألقاها عن الرسائل ودعاها محاضرات عن الرسائل الرعوية .

هذه الرسالة إذا تعالج رعاية وتنظيم الكنيسة والعناية بشعب الله ؛ وتعلم الناس كيف يتصرفون فى بيت الله ؛ وترشد كيف يخدم بيت الله ، وأى نوع من الناس يجب أن يكونه قادة ورعاة الكنيسة ، وكيف تعالج التهديدات التى تعرض طهارة الإيمان المسيحى والحياة المسيحية للخطر .

الكنيسة النامية :

إن الاهتمام العظيم بهذه الرسائل راجع إلى أنها ترسم صورة للكنيسة فى طفولتها وهذا ما لا نجده فى أى مكان آخر . فى تلك الأيام الأولى كانت الكنيسة جزيرة فى بحر من الوثنية . تهددها من كل جانب أخطر أنواع العدوى . فشعبها لم ينفصل عن تاريخه وأصله الوثنى إلا منذ فترة وجيزة . وكان من السهل جداً عليهم أن ينزلقوا مرة أخرى وينتكسوا بالمبادئ الوثنية التى تركوها . كان الجو الملطخ يحيط بهم . لذلك تتكلم الرسائل الرعوية مباشرة عن حالة الكنائس الناشئة . إن الموقف الذى تعالجه هذه الرسائل موقف يتكرر حدوثه يومياً فى الهند وفى أفريقيا وفى الصين . لهذا لا يمكن أن تفقد هذه الرسائل أهميتها ، لأننا نجد فيها ما لا نجده فى أى مكان آخر ، المصاعب التى أحاقت بالكنيسة النامية باستمرار .

المرجع الكنسى للرسائل الرعوية :

ولكن منذ البداية واجهت دارسى العهد الجديد مشاكل تتعلق بهذه الرسائل . شعر كثيرون أن هذه الرسائل لا يمكن أن تكون قد أتت مباشرة من يد وقلم بولس . ولم يكن هذا شعوراً جديداً : لأن مارسيون **Marcion** أول من كتب قائمة بأسفار العهد الجديد (رغم كونه هرطوقاً) . لم يضع الرسائل الرعوية بين رسائل بولس . لنبحث إذاً فيما يشكك الناس فى إسناد الرسائل مباشرة إلى بولس .

فى هذه الرسائل نواجه بصورة كنيسة على درجة عالية من التنظيم الكنسى هناك شيوخ (١ تيموثاوس ٥ : ١ ، ١٧ــ ١٩ ؛ تيطس ١ : ٥ ــ ٧) ؛ وهناك أساقفة أو نظار (١ تيموثاوس ٣ : ١ ــ ٧ ؛ تيطس ١ : ٧ ــ ١٦) ؛ هناك شمامسة (١ تيموثاوس ٣ : ٨ــ١٣ .) ومن ١ تيموثاوس٥ : ١٧ ، ١٨

نعلم أنه فى ذلك الحين كان الشيوخ موظفين يتقاضون أجراً . الشيوخ الذين يعملون جيداً يستحقون ضعف الأجر ، وتذكر الكنيسة بأن الفاعل مستحق أجرته . هناك على الأقل بداية لنظام الأرامل ، هذا النظام الذى صار فيما بعد بالغ الأهمية فى حياة الكنيسة الأولى (١ تيموثاوس ٥ : ٢ – ١٦) . يبدو واضحاً هنا وجود تنظيم ضخم داخل الكنيسة ، تنظيم يراه البعض كثير التعقيد بالنسبة لتلك الأيام التى عاش وعمل فيها بولس . كان يبدو أن الكنيسة قد قطعت فعلا الخطوات الأولى نحو مؤسسة دقيقة التنظيم وهى التى صارت إليها فيما بعد وما هى عليه الآن .

أيام العقائد :

كما يقال إننا نستطيع أن نلمس فى هذه الرسائل بدء بزوغ فجر الأيام العقائدية . فكلمة **إيمان** تغيرت عن معناها . كان يقصد بالإيمان دائماً **الإيمان فى شخص** وذلك حسب ما جاء فى أعظم رسائل بولس فى الأيام السابقة . الإيمان هو أعظم علاقة شخصية ممكنة من المحبة والثقة والطاعة مع يسوع المسيح . لكن أصبح الإيمان يعنى **إيماناً فى عقيدة** ؛ أو قبول لتعاليم معينة . يقال إننا نستطيع رؤية هذا التغير فى الرسائل الرعوية . فى الأيام الأخيرة يرتد قوم عن **الإيمان** تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين (١تيموثاوس٤ : ١) كما أن الخادم الصالح ليسوع المسيح يجب أن يتغذى **بكلام الإيمان والتعليم الحسن** (١ تيموثاوس ٤ : ٦) . والمهرطقون أناس فاسدة أذهانهم ، مرفوضون من جهة **الإيمان** (٢ تيموثاوس ٣ : ٨) . وواجب تيطس أن يوبخهم بشدة لكى يكونوا أصحاء فى الإيمان (تيطس ١ : ١٣) . يبرز هذا على الخصوص فى تعبير غريب على الرسائل الرعوية . يحث تيموثاوس أن يحافظ على الشئ الصالح الذى أوكل إليه (٢ تيموثاوس ١ : ١٤) . والكلمة

فى اليونانية التى تعنى هذا الشئ الذى أوكل معناها وديعة مؤتمن عليها مصرف أو إنسان للحفاظ عليها . فهى بالضرورة أمانة يجب أن ترد كاملة غير منقوصة ولا تغيير فيها . هنا يتضح التركيز على العقيدة السليمة إذا ، بدلا من العلاقة الشخصية مع يسوع المسيح ، كما كان الحال فى تلك الأيام المثيرة الحية النابضة للكنيسة الأولى ، أصبح الإيمان قبولا لعقيدة ثابتة . ونجد فى الرسائل الرعوية أصداء وأجزاء من أقدم العقائد .

« الله ظهر فى الجسد

تبرر فى الروح

تراءى لملائكة

كرز به بين الأمم

أومن به فى العالم

رفع فى المجد » (١ تيموثاوس ٣ : ١٦)

والحق يقال ، ترن هذه الكلمات فى الآذان كجزء من عقيدة محفوظة تعاد . « أذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى »
(٢ تيموثاوس ٢ : ٨)

وهذه تذكرنا بجملة من عقيدة مقبولة .

لا شك أننا نجد فى الرعويات دلائل على أن الإصرار على تقبل العقيدة السليمة قد بدأ ، وأن تلك الأيام الأولى التى كانت تنبض بالحياة عند اكتشاف المسيح شخصياً قد بدأت فى الأفول .

هرطقة خطيرة

من الواضح أن الرسائل الرعوية قد كتبت لمواجهة موقف نادت به هرطقة خطيرة هددت مصالح الكنيسة المسيحية . إذا استطعنا الاستدلال على مختلف الخواص المميزة لهذه الهرطقة ، ربما تمكنا من التعرف عليها .

كانت تتميز **بالتخمينات العقلية** التى أثارت مناقشات (١ تيموثاوس ١ : ٤) ؛ وقد أولع من انشغل بها بالمناقشات (١ تيموثاوس ٦ : ٤) ؛ عالجت مباحثات غبية وسخيفة ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٣ يجب تجنب أسئلتها الغبية (تيطس ٣ : ٩) . استعملت كلمة يونانية — فى كل مرة جاء فيها ذكر مناقشات أو مباحثات أو أسئلة تعنى **مباحثات تخمينية** . هذه الهرطقة كانت بطبيعة الحال ميداناً يصول فيه المثقفون ، أو بالأحرى أشباه المثقفين بالكنيسة .

كانت تتميز بالكبرياء . المهرطق متكبر ، رغم أنه فى الحقيقة لا يعلم شيئاً (١ تيموثاوس ٦ : ٤) . وهناك دلائل أن هؤلاء المثقفين وضعوا أنفسهم فى مستوى أعلى من المسيحى العادى ؛ وربما كان القصد أن يقولوا إن الخلاص الكامل خارج متناول الشخص العادى ولكنه متاح لهم فقط . هناك مرات كثيرة شددت الرسائل الرعوية على كلمة **جميع** بطريقة واضحة للغاية . لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس (تيطس ٢ : ١١) . إنها إرادة الله أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢ : ٤) . أراد المثقفون أن يجعلوا من أعظم بركات المسيحية حكراً موقوفاً على أقلية مختارة ؛ وعلى النقيض من هذا الاحتكار يؤكد الإيمان الحقيقى محبة الله الشاملة .

كان هناك اتجاهان متعارضان لهذه المرطقة . اتجاه التقشف ؛ حاول المهرطقون وضع قوانين خاصة للطعام ، غافلين عن أن كل ما خلقه الله جيد (١ تيموثاوس ٤ : ٤ ، ٥) . وضعوا قائمة بالأطعمة المحرمة ، متناسين أن كل شئ طاهر للطاهرين (تيطس ١ : ١٥) . ليس مستحيلا إن اعتبروا الجنس غير طاهر أو قللوا من شأن الزواج ، أو حاولوا إقناع المتزوجين بنبذ الزواج ، لأنه فى تيطس ٢ : ٤ تبرز الواجبات البسيطة فى الحياة الزوجية كنوع من القيد على المسيحى . ولكنه من الواضح أيضاً أن هذه الهرطقة اتخذت اتجاهاً لا أخلاقياً . فقد اقتحم المهرطقون حتى البيوت الخاصة وساقوا أمامهم نسوة ضعيفات غبيات مغلوبات بشهواتهن ورغباتهن الشريرة (٢ تيموثاوس ٣ : ٦) . كانوا يتميزون بالشهوة (٢ تيموثاوس ٤ : ٣) يجاهرون بمعرفة الله ، ولكنهم فى واقعهم رجسون (تيطس ١ : ١٦) انطلق هؤلاء الهراطقة ليثقلوا على الناس ، ويؤثثوا لأنفسهم بيوتاً ، ويكتسبوا مالا من تعاليمهم الزائفة . فالربح بالنسبة لهم تقوى (١ تيموثاوس ٦ : ٥) ؛ يعلمون ويخدعون لأجل الربح القبيح (تيطس ١ : ١١) . هكذا أخذت هذه الهرطقة فى إحدى مظاهرها اتجاه تقشف غير مسيحى ، بينما فى الجانب الآخر أنتجت تعليما لا أخلاقياً ولا مسيحياً .

تميزت هذه الهرطقة أيضاً بالكلمات والقصص والأنساب . كانت مليئة بالكلام الباطل والاختلافات التى لا طائل من ورائها (١ تيموثاوس ٦ : ٢٠) ؛ تمخضت عن أنساب لا نهاية لها (١ تيموثاوس ١ : ٤ ؛ تيطس ٣ : ٩) ؛ وأنتجت الخرافات والقصص التى لا أساس لها (١ تيموثاوس ١ : ٤ ؛ تيطس ١ : ١٤) .

كانت الهرطقة مرتبطة على الأقل بطريقة ما وبدرجة ما بالشرع اليهودى

فبعض الموالين لها من الختان (تيطس ١ : ١٠) . غرض المهرطقين أن يكونوا معلمين للناموس (١ تيموثاوس ١ : ٧) . فرضت على الناس خرافات يهودية ووصايا للناس (تيطس ١ : ١٤) .

وأخيراً ، أنكر هؤلاء المهرطقون قيامة الجسد . قالوا إن أى قيامة تنتظر الإنسان قد حدثت فعلا (٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) . من المحتمل أن فى هذا إشارة إلى هؤلاء الذين تمسكوا بعدم قيامة الجسد ، وأن القيامة التى حدثت للمسيحى إنما هى قيامة روحية ترمز لموت الإنسان مع المسيح وقيامته ثانياً معه فى المعمودية (رومية ٦ : ٤) .

ابتداء الغنوسية :

هل هناك إذاً هرطقة تطابق كل هذه المواصفات ؟ . نعم ، واسمها الغنوسية Gnasticism . الفكرة الأساسية فى الغنوسية أن المادة بالضرورة شر وأن الروح فقط هو الصالح . هناك نتائج معينة لهذا الاعتقاد الأساسى .

يؤمن الغنوسى بأن المادة أزلية مثل الله ، وأنه عندما خلق الله العالم كان عليه أن يستعمل بالضرورة هذه المادة الشريرة . وتبع هذا نتائج فكرية هامة للغاية . كان معنى هذا بالنسبة لهم أن الله لم يكن ولا يستطيع أن يكون الخالق المباشر للعالم . لكى يستطيع أن يلمس هذه المادة الفاسدة كان على الله أن يبعث سلسلة من الانبثاقات ــ أطلقوا عليها أيون ، كل انبثاق منها أكثر بعداً عن شخصه حتى جاء فى النهاية انبثاق على بعد كاف من الله يستطيع أن يتعامل مع المادة ويخلق العالم . وهكذا امتد بين الإنسان والله ــ سلم وسلسلة من هذه الانبثاقات . كان لكل انبثاق اسم وأنساب خاصة به . لهذا كانت للغنوسية خرافات وأنساب لا نهاية لها .. إذا أراد إنسان أن يصل فعلا إلى الله ،

كان عليه أن يرتقى هذا السلم من الانبثاقات ؛ ولكى يتمكن من هذا العمل كان يحتاج لمعرفة من نوع خاص جداً تشمل كل أنواع كلمات السر التى تسمح له باجتياز كل مرحلة . لم يكن هناك أمل فى الحصول على هذه المعرفة وإدراك كلمات السر وبالتالى الوصول إلى الله إلا لشخص بلغ القمة فى الثقافة والمعرفة . لم يكن هناك أمل للانسان العادى فى اجتياز إلا بعض المراحل السفلية فى الطريق إلى الله . فهو محكوم عليه أن يظل حبيس الأرض ، أما الإنسان المثقف فهو وحده الذى يستطيع أن يتقن هذه التصورات ويحصل على المعرفة التى تصعد به إلى الله .

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل طالما أن المادة فى مجموعها شريرة ، يصبح الجسد كله شريراً . ومن هذا يمكن أن ينتج احتمالين متضادين . أما أن يضطهد الجسد ، يضرب ، يهمل ، ويهان ، ومن هنا ينتج تقشف زاهد ، يحرم فيه الجسد عن كل ما أمكن من احتياجاته ، وتعدم فيه كل غرائزه ، وعلى الأخص الغريزة الجنسية ؛ أو ، بما أن الجسد فى كليته شرير ، يمكن القول إن ما نفعله بالجسد لا يهم إطلاقاً ؛ إذا يمكن لغرائزه ورغباته وشهواته أن تشبع نهمها وتتبع هواها ، لأن الجسد لا يهم . لهذا أصبح الغنوسى إما متقشفاً ، واما شخصاً تلاشى منه كل احترام للأخلاق .

ثم بناء على ما سبق ، إذا كان الجسد شريراً ، فمن الواضح أن شيئاً مثل قيامة الجسد لا يمكن أن تكون . فلم تكن قيامة الجسد ، بل بالحرى هلاك الجسد هو ما تطلع إليه الغنوسى .

واضح جداً أن ما سبق ينطبق بدقة على الموقف فى الرسائل الرعوية . رأينا فى الغنوسية أن العقل والمنطق أساس المعرفة ، ورأينا غرور الثقافة ،

الخرافات والأنساب ، التقشف والإباحية ، الرفض الكامل لإمكان قيامة الجسد ، كلها جزء وكل من الهرطقة التى كتبت الرسائل الرعوية فى محاربتها .

هناك عنصر واحد فقط فى الهرطقة لم يتم بعد تفسيره – اليهودية والتشريع الذى تكلمت عنه الرسائل الرعوية . لكن فى بعض الأحيان تلاقت الغنوسية واليهودية ، وكما حدث ، دخلا فى اتحاد غير مقدس . سبق أن قلنا إن الغنوسيين أصروا على ضرورة الحصول على معرفة خاصة جداً لإمكان تسلق السلم إلى الله ؛ وأن البعض منهم أصر على ضرورة إتباع تقشف صارم للحصول على الحياة الصالحة . كذلك كان ادعاء بعض العناصر اليهودية أن الناموس اليهودى وأنظمة الأكل اليهودية هى على وجه الدقة التى كفلت هذه المعرفة الخاصة وهذا التقشف اللازم ؛ لهذا نجد أنه فى بعض الأوقات سارت الغنوسية واليهودية يداً فى يد .

من الواضح تماماً أن الهرطقة التى أشارت إليها الرسائل الرعوية كانت غنوسية وهناك البعض الذى حاول استغلال هذه الحقيقة بالذات ليثبت أنه لم يكن ممكناً لبولس أن تكون له علاقة بكتابة هذه الرسائل ، لأن الغنوسية لم تظهر (إلا بعد وقت طويل من بولس . . . ولا شك أن الأنظمة الرسمية العظيمة للغنوسية ، التى صاحبتها أسماء مثل فالنتينس Valentinus . وباسيلدس Basilides ، لم تظهر إلا فى القرن الثانى ؛ ولكن كل ماقامت به هذه الشخصيات الكبيرة أنها وضعت التشريع والتنظيم لما كان موجوداً فعلا . فالخطوط الرئيسية للغنوسية كانت هناك ، تملأ الجو الذى عاشت فيه الكنيسة الأولى ، حتى فى أيام بولس . ومن السهل رؤية الإغراء الذى اشتملت عليه الغنوسية ، ومن السهل أيضاً تصور – إذا سمح لهذه المبادئ أن تنمو وتترعرع دون مقاومة – كيف كان ممكناً أن تتحول المسيحية إلى

فلسفة نظرية تصورية ، وأن يتحطم الدين المسيحى . من السهل رؤية أن الكنيسة فى تصديها للغنوسية إنما واجهت واحداً من أسوأ الأخطار التى هددت الإيمان المسيحى .

لغة الرسائل :

ولكن أكثر الحجج قوة ضد إسناد رسائل الرعويات لقلم بولس هو واقعة واضحة فى اليونانية ، ولكنها ليست بنفس الوضوح فى الترجمة الإنجليزية.

فمجموع كلمات الرسائل الرعوية هو ٩٠٢ ، منها ٥٤ كلمة أسماء أعلام ؛ ومن هذه الـ ٩٠٢ كلمة يوجد ما لا يقل عن ٣٠٦ كلمة لم ترد مطلقاً فى أى من خطابات بولس الأخرى . بمعنى آخر فان ٣٦٪ أى أكثر من ثلث كلمات الرسائل الرعوية ــ لم تستخدم فى لغة بولس فى رسائله الأخرى . كما أن ١٧٥ كلمة فى الرسائل الرعوية لا تتكرر مرة أخرى فى العهد الجديد على الإطلاق . ومن ناحية أخرى ، من الإنصاف أن يقال إن هناك ٥٠ كلمة وردت فى الرسائل الرعوية كما وردت فى رسائل بولس الأخرى ولكنها لا تظهر فى أى مكان آخر فى العهد الجديد . كذلك ، عندما تتكلم الرسائل الرعوية ورسائل بولس الأخرى عن نفس الشئ تختلف الطريقة فى الحالتين ، باستعمال كلمات مختلفة وتعابير مختلفة لوصف نفس الفكرة .

بالإضافة إلى ما سبق ، كثير من كلمات بولس المفضلة لديه غائبة كلية من الرسائل الرعوية . فكلمة الصليب ومشتقاتها تتكرر ٢٧ مرة فى خطابات بولس الأخرى ، ولا ترد إطلاقاً فى الرسائل الرعوية . والكلمات التى تصف الحرية ترد ٢٩ مرة فى رسائل بولس الأخرى ، ولا ترد إطلاقاً فى الرسائل

الرعوية . وكلمة الابن ، وكلمة التبنى ، تأتى ٤٦ مرة فى رسائل بولس الأخرى ، ولا نجدها ولا مرة واحدة فى الرعويات .

وفوق هذا وذاك ، تشمل اللغة اليونانية كثيراً من الكلمات الصغيرة التى تدعى كلمات أو تشكيلات أكثر مما تشمله الإنجليزية . وأحياناً تشير هذه الكلمات أو التشكيلات إلى نبرة معينة فى لفظة الكلمة أكثر من أى شئ آخر. كل جملة يونانية معطوفة على الجملة التى تسبقها بواحدة من هذه الكلمات التى لا ترجمة لها . من هذه الكلمات والتشكيلات ، وحروف الجر ، يوجد ١١٢ فى خطابات بولس الأخرى ، استعملها فى ٩٣٢ موضع ، ولكنها لا ترد مطلقاً فى الرعويات .

وبالنسبة لبلاغة اللغة والأسلوب ، يصعب تصديق أن بولس كتب الرسائل الرعوية بنفس مفهومنا لكتابة الرسائل الأخرى .

نشاطات بولس كما ذكرت فى الرعويات :

ولكن ربما كانت أكثر المشاكل فى الرسائل الرعوية هى ما احتوته من نشاطات لبولس لم يرد لها ذكر فى حياته كما نعرفها من أعمال الرسل . يتضح أنه قام بارسالية إلى كريت (تيطس ١ : ٥) . ويقترح تمضية شتاء فى تيكوبوليس التى فى ايبيريا (تيطس ٣ : ١٢) . ومن الواضح فى حياة بولس كما نعرفها أن هذه الإرسالية لم تحدث كما أن هذا الشتاء بالذات لم تتم فيه الزيارة . وربما نستطيع القول إن تعثرنا هنا يفتح لنا الطريق لحل المشكلة كلها .

هل أفرج عن بولس من سجنه روما ؟

دعونا نتريث لنلم بالموضوع بجملته . رأينا فى الرعويات أن تنظيمات

الكنيسة قد بلغت شأواً بعيداً فى التعقيد أكثر مما فى رسائل بولس الأخرى - ورأينا أن التشديد على صحة العقيدة وعلى حفظ الوديعة تبدو كما لو كانت صادرة من مسيحية القرن الثانى أو الثالث ، عندما بدأت جذوة الاختبار الجديد فى الخمود ، وبدأت الكنيسة طريقها الطويل لتصبح مؤسسة . رأينا بولس يقوم بارسالية أو بأكثر بينما لا يمكن إيجاد دور لهذه الإرساليات فى حياته كما وردت بأعمال الرسل . ولكن الشئ الغريب عن أعمال الرسل أنها تترك فترة بقاء بولس بروما دون أن تجزم بما حدث فيها . بل ينتهى السرد بالقول إن بولس أمضى سنتين كاملتين فيما يشبه نصف مسجون يبشر بالإنجيل بلا خوف أو معارضة (أعمال ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) . ولكن الأعمال لا تنبئنا كيف انتهت فترة السجن هذه ، هل انتهت بالإفراج عنه أم بالحكم عليه وإعدامه . حقيقة يتجه الافتراض العام إلى انتهائها بمحاكمته وموته ، ولكن هناك أيضاً دلائل لا يمكن إهمالها تجزم أنها انتهت بالإفراج عنه ، وتمتعه بالحرية لمدة سنتين أو ثلاث ، ثم إعادة سجنه وإعدامه نهائياً عام ٦٧ ميلادية .

لنبحث هذا الموضوع ، فهو على جانب عظيم من الأهمية . لن يكون فى مقدورنا أن نصل إلى تأكيد ما ، ولكننا على الأقل يمكننا أن نبحث المشكلة حتى لو ظلت مشكلة .

أولا ، واضح أن بولس كان فى السجن فى روما ، ولم يعتبر أن إطلاق سراحه مستحيلا ؛ بل بالعكس يبدو أنه كان يتوقعه . عندما كتب إلى أهل فيلبى من سجنه بروما ، قال إنه يرسل إليهم حالياً تيموثاوس ثم يستطرد « وأثق بالرب أنى أنا أيضاً سآتى إليكم سريعاً » (فيلبى ٢ : ٢٤) . وعندما كتب إلى فيلمون ، ليرد العبد الهارب أنسيمس ، قال « ومع هذا أعدد لى أيضاً

منزلا ؛ لأنني أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم » (فيلمون ٢٢) . واضح أن بولس كان مستعداً لإطلاق سراحه ، سواء حدث هذا فعلا أم لم يحدث .

ثانياً ، لنذكر خطة كانت قريبة جداً إلى قلب بولس . قبل أن يذهب بولس إلى أورشليم فى تلك الرحلة التى قبض عليه فيها ، كتب إلى كنيسة روما ، وفى هذه الرسالة كان يخطط لزيارة أسبانيا . كتب يقول « عندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم ، . . . . . . سأمضى ماراً بكم إلى أسبانيا » (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . كان يعتزم زيارة أسبانيا فى ذلك الوقت ، ويمر بروما فى طريقه إليها ، هل تحققت هذه الزيارة أبداً ؟

عندما كتب كليمنت الرومانى Clement إلى كنيسة كورنثوس عام ٩٠ ميلادية ، ذكر أن بولس بشر بالإنجيل فى المشرق والمغرب ؛ وأنه أرشد العالم كله (أو بمعنى آخر الأمبراطورية الرومانية) إلى البر ، وأنه وصل إلى آخر حدود الغرب ، قبل استشهاده . ماذا كان يعنى كليمنت بآخر حدود الغرب ؟ كثيرون يعتقدون أن كليمنت لم يقصد بهذا أبعد من روما . ربما كان هذا معقولا لو كان الكاتب يعيش فى الشرق ، فى آسيا الصغرى مثلا ، فمن المحتمل أن يظن أن روما هى آخر حدود الغرب . ولكن كليمنت كان يكتب من روما ، ومن الصعب على من كان فى روما أن لا يتصور أن حدود الغرب تنتهى فى أسبانيا . بالتأكيد يبدو أن كليمنت كان واثقاً من وصول بولس إلى أسبانيا .

كتب ايزوبياس Eusebius أعظم مؤرخى الكنيسة الأولى . فى سرده لتاريخ حياة بولس يقول « أنهى لوقا تاريخه لأعمال الرسل عند هذه النقطة ، بعد أن ذكر أن بولس أمضى سنتين كاملتين فى روما كسجين دون

قيد ، مبشراً بكلمة الله دون عائق . ويقال إن الرسول ، بعد أن أدلى بدفاعه ، أرسل ثانياً فى خدمته التبشيرية ، ثم لما عاد إلى المدينة مرة أخرى ذاق الاستشهاد (ايزوبياس ، تاريخ الكنيسة ، ٢٠٢٢٠٢) . لم يذكر ايزوبياس شيئاً عن أسبانيا ، ولكنه كان يعلم بقصة إطلاق سراح بولس من سجنه الأول بروما .

يصف القانون الموراتوريانى — وهو القائمة الأولى لأسفار العهد الجديد — خطة لوقا فى كتابة الأعمال بقوله « سرد لوقا لثاوفيلس عرضاً للحوادث التى كان شاهد عيان لها ، كما وضح ، فى مكان آخر ، استشهاد بطرس (من المحتمل أنه يشير إلى لوقا ٢٢ : ٣٢ ، ٣٣) ولكنه حذف رحلة بولس من روما إلى أسبانيا » .

واضح إذاً أن القانون الموراتوريانى كان يعلم عن رحلة لبولس إلى أسبانيا .

فى القرن الخامس أبدى اثنان من كبار الآباء المسيحيين رأيهما القاطع بشأن رحلة بولس إلى أسبانيا . يقول كريزوستم Chrysostom فى عظته عن ٢ تيموثاوس ٤ : ٢٠ : « بعد إقامته فى روما غادر القديس بولس إلى أسبانيا » . ويذكر جيروم Jerome فى قائمة عن الكتاب « أذن نيرون لبولس بالمغادرة حتى يتمكن من تبشير إنجيل المسيح فى الغرب » .

لا شك أن هناك الكثير من الاعتقادات المتداولة تتمسك بأن بولس رحل فعلا إلى أسبانيا .

فى هذا الشأن يجب أن نصل إلى قرار بأنفسنا .. الشئ الوحيد الذى يشككنا فى تاريخية رحلة بولس إلى أسبانيا أن فى أسبانيا نفسها لم تتداول مطلقاً قصص

عن عمل وتبشير بولس هناك ؛ لا توجد حكايات عنه ، ولا أماكن مرتبطة باسمه . من المستغرب فعلا أن تمحي ذكرى هذه الرحلة محواً تاماً هكذا . من المحتمل جداً أن قصة الإفراج عن بولس ورحلته إلى الغرب برزت ببساطة كنوع من الاستنتاج لرغبة بولس التي أبداها لزيارة أسبانيا في رومية ١٥ . من الحق أيضاً أن يقال إن معظم باحثي العهد الجديد يميلون إلى الاعتقاد أن بولس لم يفرج عنه ، وأن الموت وحده هو الذي أطلق سراحه من سجن روما ؛

بولس والرسائل الرعوية :

ماذا نقول إذا عن صلة بولس بهذه الرسائل ؟ إذا قبلنا الاعتقاد أن بولس أفرج عنه ، وأنه عاد للتبشير والتعليم ، وأن موته تأخر حتى عام ٦٧ ميلادية ، فمن الأولى أيضاً أن نصدق أن الرسائل كما هي جاءت من يده . ولكن إذا لم نستطع تصديق هذا الاعتقاد — وهناك على العموم دلائل ضده — هل نمضي في القول إن الرسائل الرعوية لا صلة لها إطلاقا ببولس ؟ يجب أن نتذكر أن العالم القديم لم ير هذه الأمور كما نراها نحن . لم ير العالم القديم مأخذاً في كتابة رسالة باسم معلم عظيم ، طالما كان مؤكداً أن الرسالة ذكرت نفس الأشياء التي كان هذا المعلم يقولها تحت ظروف مشابهة . بالنسبة للعالم القديم كان طبيعياً للغاية أن يكتب تلميذ باسم أستاذه . لم يتواجد واحد ، سواء في العالم أو في الكنيسة ، يشعر أن هناك خطأ ما إذا واجه تلميذ لبولس موقفاً جديداً خطيراً برسالة تحت اسم بولس . إذا فكرنا في ألفاظ كالغش والتدليس نكون قد أسأنا تماماً فهم عقلية العالم القديم . ماذا بعد ؟ هل نتأرجح إلى الرأي المخالف تماماً فنقول إن أحد تلاميذ بولس كتب هذه الرسائل تحت اسم بولس بعد

سنوات من موته ، وفى وقت بلغت الكنيسة فيه شأواً بعيداً فى التنظيم أعلى بكثير مما كان فى حياة بولس ؟

فى اعتقادنا ، هذا هو بالضبط ما لا نستطيع قوله . ليس من المعقول أبداً أن أى تلميذ يضع على لسان بولس هذه النصيحة أنه أول الخطاة (١ تيموثاوس ١ : ١٥) . الميل الطبيعى للتلميذ أن يبرز قداسة بولس لا أن يتكلم عن خطاياه . ومن غير المعقول أيضاً أن إنساناً يكتب باسم بولس يشير على تيموثاوس بهذه النصيحة البسيطة أن يشرب قليلا من الخمر لأجل صحته (١ تيموثاوس ٥ : ٢٣) . وأصحاح ٤ من رسالة تيموثاوس الثانية كله شخصى ملئ بالأشياء الدقيقة الخاصة والتفاصيل المحببة والتى لا يمكن أن تصدر إلا من بولس نفسه .

أين الحل إذاً ؟ ربما ما حدث يشبه الآتى . من المعلوم تماماً أن كثير من رسائل بولس قد فقدت ، كذلك من الواضح ، أنه بجانب رسائله العامة العظيمة ، كان لبولس مراسلات خاصة مستمرة ، ومن هذه المراسلات الخاصة ، نملك رسالة واحدة فقط ، هى الخطاب القصير إلى فيلمون . هو وحده الذى نجا من الاندثار ، المصير النهائى لكل المراسلات الخاصة . والآن ربما ظهرت فى الأيام التالية بعض أجزاء من مراسلات بولس فى حوزة أحد معلمى المسيحية . رأى هذا المعلم المسيحى أن الكنيسة فى زمانه وفيما يحيط بأفسس مهددة من كل جانب . مهددة بالبدع من الخارج والداخل . مهددة بالانحدار عن مستوى مقاييسها العالية للطهارة والحق . التدهور يهدد الصفات والمثل التى يتحلى بها أعضاؤها وموظفوها . ووجد هذا المعلم أن فى حوزته خطابات قصيرة لبولس تتكلم عن نفس الأشياء التى يجب أن تقال ، ولكنها فى حالتها ، لم تزد عن مقتطفات قصيرة لا تصلح للنشر . فأخذ على عاتقه

أنْ يرتب ويضيف إلى الخطابات حتى أوصلها إلى درجة سامية من ملاءمتها لموقف الكنيسة المعاصر ثم أرسلها إلى الكنيسة .

فى الرسائل الرعوية ما زلنا نستمع إلى صوت بولس ، وكثيراً ما نسمعه يتكلم عن علاقات شخصية ، ولكننا نعتقد أن الصورة الحالية للرسائل ترجع إلى معلم مسيحى هاله ما وصلت إليه الكنيسة فى زمانه فاستعان بصوت بولس وروحه لكى يوجه الكنيسة ويرشدها وما كان يستطيع غير بولس أن يفعل هذا

التفسير

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

الأصحاح الأول

الأمر الملكى

١ بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ بِحَسَبِ أَمْرِ ٱللهِ
مُخَلِّصِنَا وَرَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَجَائِنَا ٢ إِلَى تِيمُوثَاوُسَ
ٱلِابْنِ ٱلصَّرِيحِ فِى ٱلْإِيمَانِ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ مِنَ ٱللهِ
أَبِينَا وَٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا .

(١ تيموثاوس ١ : ١ و ٢)

لم يوجد من عظم وظيفته كما فعل بولس . لم يفعل هذا عن كبرياء ؛ بل عن دهشة وإعجاب أن الله اختاره لعمل كهذا . وفى كلمات الرسالة الافتتاحية يذكر بولس مرتين عظمة الامتياز الذى ناله .

١ — أولا — يدعو نفسه رسولا للمسيح يسوع . كلمة رسول فى اليونانية هى **apostolos** ، التى تأتى بدورها من الفعل **apostellein** وتعنى يرسل خارجاً . الرسول هو من أرسل خارجاً . حتى فى زمن هيرودت كانت الكلمة تعنى مبعوث ، أو سفير ، هذا الذى يرسل خارجاً ليمثل بلده ومليكه . وقد اعتبر بولس نفسه دائماً مبعوثاً وسفيراً للمسيح . وفى الحقيقة ، تلك هى وظيفة كل مسيحى . وأول واجبات السفير تكوين علاقات بين البلد الذى

أرسل إليه وبين البلد الذى أرسل منه . فهو فى هذا وصلة الترابط . وهذا واجب المسيحى الأول ، أن يكون وصلة الترابط بين زملائه من الناس وبين يسوع المسيح .

٢ ـ ثانياً ـ يقول بولس إنه رسول بأمر الله الملكى . والكلمة التى يستعملها كلمة يونانية تعنى الأوامر والواجبات التى يضعها قانون لا نقض فيه على عاتق الفرد ؛ أو الأمر الملكى الذى يصدر إلى إنسان ما من الملك ؛ وفوق هذا وذاك تعنى الكلمة التوجيهات الصادرة إلى شخص إما مباشرة أو بوحى من الله . فمثلا ، يسجل رجل فى حفرية له إهداءه محرقة إلى الآلهة سيبيل ، ويعزو هذا إلى أمر الآلهة الذى أصدرته إليه فى حلم . وكان بولس يعتقد فى نفسه أنه الرجل الذى يتشرف بتكليف الملك . إن إسناد هذا العمل إليه ، تم بأمر ملكى صادر من الله . إذا أمكن لأى إنسان أن يصل إلى هذا الإحساس بأنه مبعوث الله ، فكم تكون الروعة والجمال التى يضيفها هذا الشعور الجديد على الحياة . فمهما كان دوره متواضعاً فيها ، لكنه فى خدمة ملكية .

« ما عاد الملل للحياة
بعد أن فتحنا نوافذنا على سعتها
ورأينا العالم الجبار يمتد خارجها
وهمسنا لأنفسنا بهذا الشئ العجيب
نحن مطلوبون فى خدمة الملك » .

إنه امتياز أن نؤدى حتى أتفه وأحقر الخدمات لمن نحبه ونحترمه ونعجب به ، لمن نعبد فيه البطولة . ويمكن للمسيحى أن يفعل هذا طيلة حياته ، لأنه دائماً يسعى فى خدمة الملك .

ثم يستطرد بولس فيضفى على الله والمسيح لقبين عظيمين .

يصف الله أنه **مخلصنا** . وهذا تعبير جديد لا نجده فى خطابات بولس السابقة . هناك مصدرين يأتى اللقب منهما .

(أ) يأتى من مصادر العهد القديم . يتهم موسى إسرائيل بأن يشورون « رفض الله الذى عمله ، وغبى عن **صخرة خلاصه** » (تثنية ٣٢ : ١٥) . وتغنى المرنم كيف سيحمل نقى القلب براً من **إله خلاصه** (مزمور ٢٤ : ٥) . ورنمت مريم . « تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى **بالله مخلصى** » (لوقا ١ : ٤٦ ، ٤٧) . عندما دعا بولس الله **مخلصاً** ، إنما كان يستمد فكرة كانت دائماً كثيرة الإعزاز لدى إسرائيل .

(ب) وهناك مصدر وثنى . حدث فى هذا الوقت بالذات أن لقب **مخلص** ، كان كثير التداول على ألسنة الناس . استعمله الناس دائماً . لقب الرومان قائدهم العظيم سكيبيو **Scipio** « رجاءنا وخلاصنا » . ولكن فى نفس هذا الوقت كان هو اللقب الذى خلعه اليونانيون على ازكيلابيس **Aesculapius** إله الشفاء دعوه ازكيلابيس : المخلص . وكان أيضاً أحد الألقاب التى اتخذها نيرون ، الإمبراطور الرومانى ، لنفسه ، فادعى أنه حاكم ومخلص العالم . إذا فى هذه الجملة الافتتاحية للرسالة ينتزع بولس اللقب الذى شاع استعماله فى عالم باحث متلهف ويرده إلى الشخص الوحيد الذى له الحق وحده أن يكون اللقب له .

يجب أن لا ننسى مطلقاً أن بولس دعا الله مخلصاً . من المحتمل أن نكون قد كونا لأنفسنا فكرة تامة الخطأ عن الموت الكفارى وعما أتمه يسوع .

أحياناً يصف الناس الكفارة بطريقة تدعو للاعتقاد أنها عمل قام به يسوع فهدأ

غضب الله . فيدفعنا هذا إلى تصور الله كاله غاضب منتقم مختلف تماماً عن يسوع الوديع المحب . الفكرة التى يسوقونها هى اعتزام الله فى غضبه إهلاكنا ثم نحول هذا الغضب إلى محبة بواسطة يسوع . لا يوجد فى أى مكان فى العهد الجديد ما يؤيد هذا الرأى . بل لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أرسل يسوع إلى العالم (يوحنا ٣ : ١٦) . الله هو المخلص . خلف كل عملية الخلاص توجد محبة الله . واجب علينا أن لا نفكر مطلقاً أو نبشر أو نعلم عن إله مطلوب تهدئته وإقناعه بمحبتنا ، لأن كل الأشياء تبدأ بمحبة الله .

رجاء العالم

يستعمل بولس هنا أحد الألقاب التى صارت فيما بعد أحد ألقاب يسوع المسيح العظيمة — « المسيح يسوع رجاؤنا » . وقبل هذا بزمان طويل ساءل صاحب المزامير نفسه : « لماذا أنت منحنية يا نفسى ؟ » . ثم أجاب : « ترجى الله » (مزمور ٤٣ : ٥) . ويتكلم بولس نفسه عن « المسيح فيكم ، رجاء المجد» (كولوسى ١ : ٢٧). وجاء يوحنا فذكر الصورة اللامعة التى واجهت المسيحى ، صورة كونه كالمسيح ؛ ثم يستطرد فيقول : « وكل من عنده هذا الرجاء ، يطهر نفسه » (١ يوحنا ٣ : ٢ ، ٣) .

فى الكنيسة الأولى ، قدر لهذا اللقب أن يصبح أعز ألقاب المسيح . يكتب أغناطيوس من أنطاكية ، وهو فى طريقه إلى الإعدام بروما ، إلى كنيسة أفسس : « افرحوا فى الله الآب وفى المسيح يسوع رجاؤنا المشترك » . ويكتب بوليكاربوس : « فلنثبت إذاً فى رجائنا وفى ضامن برنا ، الذى هو يسوع المسيح » . رأى الناس فى يسوع المسيح رجاءهم .

١ – وجد الناس فى المسيح **أمل انتصار الخلق وغلبة النفس** . لم يكن العالم القديم غافلا عن خطيته ؛ أو غير شاعر بتدهوره الخلقى . ذكر أبيكتيتس آسفاً « ضعفنا فى الضروريات » . وقال سنيكا « إننا نكره رذائلنا ونحبها فى نفس الوقت » . وقال أيضاً ، « لم نقف بشجاعة كافية فى صف نوايانا الطيبة ؛ رغم إرادتنا ومقاومتنا فقدنا براءتنا . ليس فقط أننا تصرفنا بخطأ ، بل سنظل نفعل ذلك حتى النهاية » . وكتب الشاعر الرومانى برسياس فى حسرة وألم : « لينظر المذنبون الفضيلة ، ويتحسروا على فقدانها للأبد » ويتكلم برسياس عن « ناتا القذرة التى سلبتها الرذيلة الإحساس » . كان العالم القديم يدرك جيداً عجزه الأخلاقى ؛ ثم جاء المسيح ، لا ليدل الناس فقط إلى الصواب ، بل أيضاً ليمنحهم القوة لسلوكه . لم يأت برسالة البر فقط ، بل بعطية القدرة لغلبة الخطية أيضاً . رد المسيح للناس ما فقدوه ، الرجاء بانتصار الخلق بديلا لهزيمة الأخلاق .

٢ – وجد الناس فى المسيح **رجاء الانتصار على الظروف** . جاءت المسيحية إلى العالم فى عصر تلاشت منه كل الضمانات الشخصية . عندما وصل المؤرخ الرومانى تاسيتس إلى كتابة تاريخ هذه الحقبة بالذات التى ظهرت فيها الكنيسة المسيحية ، بدأها بهذا الوصف ، « إنى أدخل فترة من التاريخ غنية بالمآسى ، كئيبة بالحروب ، ممزقة بالانقلابات ؛ وحشية حتى فى أفضل ساعات سلامها . هلك أربعة أباطرة بالسيف ؛ واندلعت ثلاث حروب أهلية ؛ وأكثر من ذلك مع الدول الأخرى ؛ وبعض هذه الحروب شمل الداخل والخارج معاً وفى وقت واحد . . أتت الحرائق على روما ؛ احترقت أقدم معابدها ؛ ولم يسلم مجلس الشيوخ من النيران التى أشعلتها أيد رومانية ؛ تدنست التقاليد المقدسة ، وشاع الفجور بين الطبقات العليا ؛ ازدحم البحر بالمنفيين ، وارتوت صخور الجزيرة بدماء القتلى ؛ ولكن أبشع ما فى الكل

الجنون الذى ساد روما ؛ نبالة الأصل ، الثروة ، رفض وظيفته ، أو قبولها ، كل شئ أعتبر جريمة ، وأقصر الطرق إلى الدمار هو التمسك بالفضيلة . لم تكن مكافأة المخبرين بأقل شناعة من أعمالهم . تفشى النهب والفساد بين الكهنة ، بين القناصل ، بين حكام الأقاليم وفى حمى العرش ذاته . كل شئ كان كابوساً ثقيلا من الكراهية والرعب ؛ يرشى العبيد ليخونوا سادتهم ، والأحرار لينكلوا بمن أحسن إليهم ،ومن خلى من الأعداء أوقع بهالأصدقاء». (تاسيتس ، تاريخ ١ ، ٢) . وكما قال جيلبرت مورى **Gilbert Murray** كان الجيل كله يعانى من « انهيار الأعصاب » . تلهف الناس إلى حائط دفاع يستندون إليه ضد « فوضى العالم الزاحفة » . فى مثل هذه الظروف جاء المسيح ليعطى للناس القوة ليعيشوا ، والشجاعة ليموتوا إن لم يكن من الموت بد . وفى اليقين أنه لا شئ على الأرض يستطيع أن يفصلهم عن محبة الله فى المسيح يسوع ، وجد الناس الغلبة على ظروف فرضتها ضراوة العصر .

٣ــ وجد الناس فى المسيح **رجاء الانتصار على الموت** . وجدوا اليقين فى أن هناك ما هو أكثر من مجرد حياة معذبة يعقبها فناء . وجدوا اليقين فى حياة تكتمل فى مكان آخر . وجدوا فى المسيح قوة للحياة الزائلة وفى نفس الوقت رجاء بالخلود . المسيح ، رجاؤنا . هذا هو نداء المعركة فى حياة الكنيسة .

ابنى تيموثاوس

أرسل هذا الخطاب لتيموثاوس ، ولم يكن بولس يستطيع أن يذكر تيموثاوس دون أن ينفعل صوته بالعاطفة والمودة .

كان تيموثاوس مواطناً من ليسترا فى إقليم غلاطية ، إحدى المستعمرات الرومانية ؛ أطلقت على نفسها « ليسترا المستعمرة اللامعة » . رغم أنها فى الحقيقة لم تزد عن مكان صغير فى أقاصى العالم المتمدين . ترجع أهميتها إلى وجود حامية رومانية تعسكر هناك لكبح جماح القبائل المتوحشة القاطنة فى جبال أزوريان الممتدة خلف المدينة . وصل بولس وبرنابا إلى ليسترا فى أولى رحلاتهما الإرسالية (أعمال ١٤ : ٨ — ٢١) . فى ذلك الحين لم يأت ذكر لتيموثاوس ؛ وإن كان محتملا أن بولس ، أثناء وجوده فى ليسترا ، أقام فى بيت تيموثاوس ، لأن بولس كان يعرف جيداً إيمان وتعبد أم تيموثاوس أفنيكى وجدته لوئيس (٢ تيموثاوس ١ : ٥) . لا بد أن تيموثاوس كان حدثاً صغيراً أثناء تلك الزيارة الأولى ، ولكن الإيمان المسيحى بهره ، وأصبح بولس بطلا بالنسبة له . وابتدأت الحياة بالنسبة لتيموثاوس أثناء زيارة بولس لليسترا خلال رحلته الإرسالية الثانية (أعمال ١٦ : ١ — ٣) . رغم حداثته ، صار تيموثاوس أحد درر الكنيسة المسيحية فى ليسترا . كان الصبى ممتلئاً بالحماس والجاذبية مما جعل الجميع يذكرونه بالثناء بالنسبة لبولس ، وبدأ تيموثاوس الشخص الذى سيكون له عوناً ومساعداً . وفكر بولس حينذاك أنه يتعهد هذا الصبى بالتعليم والتوجيه والمران ليتابع عمله بعد أن تنتهى أيامه . كان تيموثاوس ثمرة زواج مختلط ؛ أمه يهودية ، وأباه يونانى (أعمال ١٦ : ١) . لهذا أخذه بولس وختنه . لم يكن ذلك لأن بولس كان عبداً للناموس ، أو أنه رأى فى الختان أى ميزة خاصة ، بل لأن بولس قدر جيداً ما سيصادفه تيموثاوس من تعنت إذا عمل بين اليهود وهو غير مختون وقد اتخذ بولس هذه الخطوة كضرورة عملية تزداد بها فائدة تيموثاوس التبشيرية .

من ذلك الحين صار تيموثاوس رفيق بولس المستديم . عندما هرب بولس إلى أثينا تركه خلفه مع سيلاس فى بيريه ، ثم لحقا ببولس بعد ذلك

(أعمال ١٧ : ١٤ ، ١٥) وصل تيموثاوس إلى أثينا فى الوقت المناسب (أعمال ١٨ : ٥) . أرسل إلى مقدونية كمبعوث لبولس . (أعمال ١٩ : ٢٢) كان حاضراً عند جمع حصيلة من الكنائس لأجل أورشليم (أعمال ٢٠ : ٤) لازم بولس فى كورنثوس أثناء كتابة الرسالة إلى أهل رومية (رومية ١٦ : ٢١) مثل بولس فى كورنثوس عندما ساد الاضطراب هذه الكنيسة الغير منتظمة (١ كورنثوس ٤ : ١٧؛ ١٦ : ١٠) . كان مع بولس أثناء كتابة رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٢ كورنثوس ١ : ١ ، ١٩) . أرسله بولس لينظر الأمور فى تسالونيكى وكان معه عندما كتب بولس رسالته لهذه الكنيسة (١ تسالونيكى ١ : ١ ؛ ٣ : ٢ ، ٦) . رافق بولس فى السجن عندما كتب بولس رسالته إلى أهل فيلبى ، وكان بولس مزمعاً أن يرسله إلى فيلبى كممثل له (فيلبى ١ : ١ ؛ ٢ : ١٩) . زامل بولس أثناء كتابته للكنيسة فى كولوسى ولفيلمون (كولوسى ١ : ١ ؛ فيلمون ١ : ١) . كان تيموثاوس بجانب بولس دائماً ، وكان هو الرجل الذى يرسله بولس فى كل المهام الصعبة كان صوته يتّهدج بالمحبة والعاطفة العميقة عندما كان يتكلم عن تيموثاوس . وعندما أرسله إلى تلك الكنيسة المنقسمة فى كورنثوس ، كتب يقول : « لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب والأمين فى الرب » (١ كورنثوس ٤ : ١٧) . وعندما اعتزم إرساله إلى فيلبى كتب يقول : « لأنه ليس لى أحد آخر نظير نفسى . . . . . وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الإنجيل » (فيلبى ٢ : ٢٠ ، ٢٢) . هنا يدعو بولس تيموثاوس « ابنه الصريح » . الكلمة التى يستعملها لصريح هى **gnésios** وهى تحمل معنيين. معناها المعتاد هو الطفل الشرعى بالمقارنة مع الطفل الغير شرعى . ومعناها الآخر هو حقيق ، ذهب ، على النقيض من زائف ومغشوش .

كان تيموثاوس الشخص الذى يستطيع بولس ائتمانه . كان تيموثاوس الشخص الذى يستطيع بولس إرساله إلى أى مكان ، واثقاً أنه سيذهب . حقاً ما أسعد القائد الذى يملك مساعداً مثل هذا . تيموثاوس هو مثالنا فى الخدمة بالإيمان . إن المسيح وكنيسة المسيح فى حاجة لخدام مثل تيموثاوس .

نعمة ورحمة وسلام

بدأ بولس رسائله دائماً بطلب بركة (رومية ١ : ٧ ؛ ١ كورنثوس ١ : ٣ ؛ ٢ كورنثوس ١ : ٢ ؛ غلاطية ١ : ٣ ، أفسس ١ : ٢ ؛ فيلبى ١ : ٢ ؛ كولوسى ١ : ٢ ؛ ١ تسالونيكى ١ : ١ ؛ ٢ تسالونيكى ١ : ٢ ؛ فيلمون ٣) . ولكن فى كل هذه الرسائل وردت كلمتان فقط — نعمة وسلام . ترد هذه الكلمة الثالثة رحمة فقط فى رسائله إلى تيموثاوس وإلى تيطس (٢ تيموثاوس ١ : ٢ ؛ تيطس ١ : ٤) . هلموا نتأمل فى هذه الكلمات الثلاث العظيمة .

١ — فى الكلمة نعمة توجد دائماً ثلاث أفكار غالبة .

(أ) فى اليونانية الكلاسيكية تعنى الكلمة نعمة خارجية أو تفضيل ، جمال ، جاذبية ، عذوبة ، حلاوة . كانت الكلمة تطلق عادة على الأشخاص ولكن ليس دائماً . والكلمة الإنجليزية charm أكثر ما تكون قرباً فى التعبير عن معناها . خاصية النعمة الشئ المحبوب العذب .

(ب) فى العهد الجديد هناك دائماً فكرة الكرم الخالص . النعمة هى ما لم يكتسب وما لم يستحق ، شئ لا يمكن أن يكون قد اكتسب ولا يمكن أن يكون قد استحق . هى ضد ما هو دين . يقول بولس إنه إذا كان الأمر

اكتساب أشياء ، لا تكون المكافأة نوعاً من النعمة ، بل من الدين (رومية ٤ : ٤) . النعمة شئ لا يكتسب . وهى تتعارض مع الأعمال . يقول بولس إن انتقاء الله لمختاريه ليس نتيجة للأعمال ، بل بالنعمة (رومية ١١ : ٦) . النعمة هبة تعطى وليست شيئاً نستحقه .

(حـ) فى العهد الجديد هناك دائماً فكرة الشمول الكامل . مرة بعد أخرى يستعمل بولس كلمة النعمة فى تعليقه على قبول الأمميين داخل عائلة الله . فهو يشكر الله لنعمته المعطاة لأهل كورنثوس فى المسيح يسوع (١ كورنثوس ١ : ٤) . ويتكلم عن نعمة الله التى وهبت لكنائس مقدونية (٢ كورنثوس ٨ : ١) . ويذكر عن أهل غلاطية أنهم مدعوون إلى نعمة المسيح (غلاطية ١ : ٦) . الرجاء الذى شمل أهل تسالونيكى جاء خلال النعمة . (٢ تسالونيكى ٢ : ١٦) . وكانت هى نعمة الله التى جعلت من بولس رسولا للأمم (١ كورنثوس ١٥ : ١٠) . وبنعمة الله استطاع بولس أن يتحرك بين الكورنثوسيون (٢ كورنثوس ١ : ١٢) . وبالنعمة دعاه الله وأفرزه من بطن أمه (غلاطية ١ : ١٥) . وهى النعمة المعطاة له من الله التى مكنته أن يكتب بشجاعة إلى كنيسة روما (رومية ١٥ : ١٥) . بالنسبة لبولس كان أعظم شاهد على نعمة الله قبول الأمم فى الكنيسة واختياره رسولا إليهم . النعمة شئ رائع ، النعمة عطية مجانية ، والنعمة كاملة الشمول . ما أجمل وصف ف. ج. هورت F.J. Hort « النعمة كلمة مفصحة شاملة ، تجمع فى معانيها كل ما يمكن أن تعبر عنه ابتسامة ملك سماوى يرقب شعبه » .

٢ ـ كلمة سلام كانت عادة ثانى كلمات بولس العظيم للتحية . سلام كانت أيضاً كلمة اليهود المعتادة للتحية ، وفى المنطوق العبرى لم تكن الكلمة مجرد تعبير سلبى يقصد به غياب المتاعب بل كانت « أكثر الكلمات إفصاحاً

وتعبيراً للتمنى بحياة كريمة طيبة » . السلام هو كل شئ يرفع الإنسان إلى أسمى حالاته . السلام هو الحالة التى يبلغها الإنسان عندما تحتويه محبة الله . يكتب هورت : « السلام هو المضاد لكل أنواع الخلاف والحرب والمضايقات ، مضاد للعداوات الخارجية والانشغالات الداخلية » .

« ثقل الخطية أحنى ظهرى
وضغط إبليس يدمى الجروح
الحرب حولى والخوف داخلى
آتى إليك لأستريح » .

من هنا يبدأ الحنين للسلام .

٣ ــ كلمة رحمة هى الكلمة الجديدة فى البركة الرسولية . فى اليونانية الكلمة هى eleos وفى العبرية Chesedh . والآن Chesedh هى الكلمة التى كثيراً ما ترجمت فى العهد القديم إلى طيبة محبة . لهذا عندما صلى بولس طالباً الرحمة لتيموثاوس كان يعنى ببساطة « ليكن الله طيباً نحوك يا تيموثاوس » . ولكن للكلمة معنى أكثر من هذا . استعملت هذه الكلمة Chesedh ما لا يقل عن مائة وسبعة وعشرين مرة فى المزامير . وكانت فى كل مرة تعنى « العون فى وقت الحاجة » . وهى بهذا تشير ، على حد قول بارى Parry ، إلى « تدخل الله الفعال ليعين » أو كما قال هورت ، « هو نزول الساكن العلى لعون المستضعفين » . فى مزمور ٤٠ : ١١ يهلل المرنم ، « تنصرنى رحمتك ، وحقك دائماً » . وفى مزمور ٥٧ : ٣ يقول ، « يرسل من السماء ويخلصنى . . . . . . يرسل الله رحمته وحقه » . وفى مزمور ٨٦ : ١٤ ــ ١٦ يفتكر بقوات الأشرار التى اتحدت ضده ، ويعزى

نفسه بهذا التأمل « الله رحيم ورؤوف طويل الروح كثير الرحمة والحق » . أنه حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات (١ بطرس ١ : ٣) . أما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة (رومية ١٥ : ٩) التى أنقذتهم من الخطية واليأس . رحمة الله تعنى الله عامل ليخلص . من المحتمل جداً أن بولس أضاف كلمة رحمة إلى كلمتيه المعتادتين ، نعمة وسلام ، لأن تيموثاوس كان فى موقف لا رحمة فيه ، فأراد بولس بكلمة واحدة أن يخبره بأن الساكن العلى عون لمن لا عون لهم .

خطأ وهرطقة

٣ كَمَا طَلَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَمْكُثَ فِي أَفَسُسَ إِذْ
كُنْتُ أَنَا ذَاهِباً إِلَى مَكِدُونِيَّةَ لِكَيْ تُوصِيَ قَوْماً أَنْ
لاَ يُعَلِّمُوا تَعْلِيماً آخَرَ ٤ وَلاَ يُصْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ
وَأَنْسَابٍ لاَ حَدَّ لَهَا تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ ٱللهِ ٱلَّذِي
فِي ٱلْإِيمَانِ . ٥ وَأَمَّا غَايَةُ ٱلْوَصِيَّةِ فَهِيَ ٱلْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ
طَاهِرٍ وَضَمِيرٍ صَالِحٍ وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ . ٦ ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي
إِذْ زَاغَ قَوْمٌ عَنْهَا ٱنْحَرَفُوا إِلَى كَلاَمٍ بَاطِلٍ ٧ يُرِيدُونَ أَنْ
يَكُونُوا مُعَلِّمِي ٱلنَّامُوسِ وَهُمْ لاَ يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ
وَلاَ مَا يُقَرِّرُونَهُ .

(١ تيموثاوس ١ : ٣ – ٧)

واضح أن الرسول يشير في رسائله الرعوية إلى هرطقة معينة عرضت الكنيسة للخطر . ومن الأفضل في بدء دراستنا لهذه الرسائل أن نفحص هذه الهرطقة وأن نحاول تبين ما هي . لهذا نبدأ الآن بتجميع الحقائق عنها .

يواجهنا هذا الجزء بالذات باثنتين من خواصها الهامة . كانت الهرطقة تتعامل مع خرافات وأنساب لا نهاية لها . لم تكن هاتان الخاصيتان غريبتين عن هذه الهرطقة ؛ فقد كانت عميقتي الجذور اصطبغ بهما فكر العالم القديم .

أولا ، كانت هناك **الخرافات** . إحدى خواص العالم القديم ميل الشعراء بل وحتى المؤرخين إلى تأليف قصص عاطفية وخرافية عن أساس المدن وأصل العائلات . أولعوا بتشييد قصص طويلة وأساطير تابعوا فيها أساس المدينة وأصل العائلة حتى أوصلوها للآلهة . كان يحلو لهم أن يقصوا كيف جاء أحد الآلهة إلى الأرض وأسس المدينة ، أو كيف نزل بعض الآلهة إلى هذا العالم وتزاوجوا من بنات الناس فأنشأوا بذلك فرعاً يمتد أصله إلى السماء . كان العالم القديم مليئاً بقصص كهذه .

ثانياً . كانت هناك **أنساب لا حد لها** . كان بالعالم القديم لهفة قوية للأنساب . ونستطيع أن نرى ذلك حتى فى العهد القديم بأصحاحاته المزدحمة بالأسماء : وفى العهد الجديد بأنساب يسوع التى بدأ بها متى ومرقس إنجيليهما . رجل كالإسكندر الأكبر اصطنعت له شجرة نسب كاملة عادت بأصله إلى آشيل **Achilles** واندروماك **Andromache** من جانب ، وإلى برسس **Perseus** وهرقل **Hercules** من الجانب الآخر . كان هناك شئ ما فى الأنساب أثار إعجاب ودهشة العالم القديم . ولهذا كان من السهل جداً على المسيحية فى العالم أن تضيع فى هذا الفيض من الأساطير الخرافية العاطفية التى لا تنتهى وفى هذه الأنساب المحبوكة المعقدة الخيالية . كانت هناك خطورة كامنة تشوب الوضع كله الذى تطور فيه الفكر المسيحى ونما .

كان ذلك الخطر شديد التهديد على الخصوص من ناحيتين :

تهديد من الناحية اليهودية . بالنسبة لليهود فان كتب العهد القديم لا يعادلها كتاب آخر . أمضى علماؤهم العمر كله فى دراستها وتفسيرها . فى العهد القديم توجد أصحاحات وأقسام عديدة لا تزيد عن كونها قوائم طويلة ، بأسماء وأنساب كثيرة . كانت إحدى مشغوليات علماء اليهود المفضلة تشييد تاريخ

جنيالى حافل لكل اسم فى القائمة . ويمكن للشخص أن يستمر فى مثل هذا العمل إلى الأبد ؛ وربما كان هذا بعض ما جال بذهن بولس . وكأنه يقول « مع أن واجبكم أن تعملوا وتكافحوا فى سبيل الحياة المسيحية لكنكم تسترخون لتخترعوا تواريخ وأنساب خيالية » . قد يكون هذا تحذير لنا نحتاجه دائماً فلا نسمح للمسيحية ولا للفكر المسيحى أن يضيع وقته فى مجالات وخيالات لا قيمة لها .

النظريات اليونانية

ولكن هذا الخطر أتى بتهديد أكبر من الجانب اليونانى . فى هذه الحقبة من التاريخ بدأ الفكر اليونانى يتطور نحو اتجاه جديد هو ما عرف فيما بعد بالغنوسية Gnosticism نستشف هذا على الخصوص فى خلفية الرسائل الرعوية ، فى الرسالة إلى أهل كولوسى وفى الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) .

كانت الغنوسية تصوراً عقلياً محضاً . بدأت بمسألة أصل الشر « والخطية والعذاب . من أين أتت هذه الأشياء ؟ لو كان الله كامل الصلاح ، لا يعقل أن يكون قد خلق هذه الشرور . إذاً كيف دخلت إلى العالم ؟ والجواب الغنوسى هو أنه فى البدء لم تخلق الخليقة من لاشئ ؛ فقبل أن يبدأ الزمان كانت المادة . وكانوا مؤمنين أن هذه المادة بالضرورة خاطئة ، إنها غير كاملة ، وأنها شئ شرير . بهذا أمكنهم تعليل الخطية والعذاب وعدم الكمال فى العالم . ولكن سرعان ما أوصلهم هذا التعليل إلى مشكلة أخرى . إذا كانت المادة بالضرورة شريرة والله بالضرورة صالح ، إذاً لا يمكن لله بذاته أن يلمس أو يمسك ويشكل ويكون أشياء من هذه المادة . لهذا بدأوا مجموعة أخرى من النظريات . قالوا إن الله بعث انبثاق ، وأن هذا الانبثاق بعث

انبثاقاً آخر ، وأن ثالث انبثاق بعث انبثاقاً رابعاً وهكذا دواليك حتى الى انبثاق على بعد كاف من الله يستطيع إزاءه أن يلمس ويمسك المادة . وأن هذا الانبثاق ، لا الله ، هو الذى خلق العالم . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ذهبت تصوراتهم إلى أبعد من ذلك . تمسكوا بالرأى بأن كل انبثاق تال فى سلسلة الانبثاقات كان علمه عن الله أقل فأقل ؛ حتى وصلت مرحلة جهلت فيها الانبثاقات كل شئ عن الله ؛ ليس هذا فقط بل أنه فى المرحلة الأخيرة فى السلسلة لم تكن الانبثاقات جاهلة فقط بالله بل فعالة فى معاداته . أى أنهم وصلوا فى التفكير أن الإله الذى خلق العالم كان جاهلا فعلياً ومعادياً تماماً للاله الواحد الحقيقى . ثم ذهبت أفكارهم إلى حدود أبعد ، فطابقوا بين إله العهد القديم وهذا الإله الجاهل المعادى ، خالق العالم ، وبين إله العهد الجديد مع الإله الواحد الحقيقى . ثم زودوا كل واحد من الانبثاقات بتاريخ حياة كامل . وهكذا شيدوا علماً ضخماً لأساطير الآلهة والانبثاقات ، كل له قصة وتاريخ حياته وأنسابه . ولا شك أن العالم القديم قد تأثر بهذا النوع من التفكير ، حتى أن الكنيسة نفسها لم تسلم منه . عندما دخل هذا التفكير الكنيسة جعل من يسوع أعظم الانبثاقات ، أى أكثرها قرباً من الله . وضعته كأعلى وصلة فى السلسلة التى لا تنتهى بين الله والإنسان . وبهذا لم يعد ليسوع هذا الوضع الفريد ، ولكن مجرد وصلة فى سلسلة .

إن هذا التفكير الغنوسى قد تميز بخواص معينة ، وأن هذه الخواص قد وضحت خلال كل الرسائل الرعوية كخواص المهرطقين الذين هددت هرطقاتهم الكنيسة وطهارة الإيمان .

١ — كانت الغنوسية واضحة فى ارتكازها بشدة على التصورات العقلية ، وبسبب هذا ، كانت تتميز بغطرسة ثقافية بالغة . كانت تعتقد أن كل هذه

الشطحات الثقافية أكبر جداً من استيعاب ذهن الشخص العادى البسيط ، وأن هذا النوع من التعليم لا يصلح إلا لفئة أرستقراطية الثقافية ، أقلية مختارة، أرقى ممن فى الكنيسة . لهذا حذر تيموثاوس ضد « الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم » (١ تيموثاوس ٦ : ٢٠) . وحذر أيضاً ضد دين مبنى على مباحثات خرافية بدلا من الإيمان المتواضع (١ تيموثاوس ١ : ٤) . وحذر ضد الشخص المتعجرف بثقافته ، وهو فى الحقيقة لا يفهم شيئاً ، ولكنه مولع بالمباحثات ومماحكات الكلام (١ تيموثاوس ٦ : ٤) . ويقال له أن يجتنب . « الأقوال الباطلة الدنسة » لأنها لا تثمر إلا الفجور (٢ تيموثاوس ٢ : ١٦) . وأن يجتنب « المباحثات الغبية والسخيفة » التى لا تولد فى النهاية غير الخصام (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٣) . وأخيراً ، تتجه الرسائل الرعوية لأن تؤكد هذه الحقيقة ، أن فكرة أرستقراطية مثقفة، زبدة مختارة ، فكرة خاطئة تماماً ، لأن محبة الله محبة شاملة . الله يريد جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢ : ٤) الله مخلص جميع الناس ، ولا سيما المؤمنين (١ تيموثاوس ٤ : ١٠) . ليس للكنيسة المسيحية ارتباط بأى نوع من الإيمان المؤسس على الخيالات الثقافية ، وهى التى تتسبب فى خلق ارستقراطية متغطرسة متعجرفة داخل الكنيسة .

٢ ــ كانت هذه الغنوسية مشغولة بهذه المجموعة الطويلة من الانبثاقات . وقد أضافت لكل منهم تاريخ حياة وشجرة أنساب ، وأفردت لكل منهم مكان ومرحلة فى الطريق إلى الله ، وأهمية معينة فى السلسلة الممتدة بين الله والناس .

كان الغنوسيون مشغولون « بأنساب لا حد لها » (١ تيموثاوس ١ : ٤). قبلوا على أنفسهم ترويج « الخرافات الدنسة العجائزية » (١ تيموثاوس

٤ : ٧) . يصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات (٢تيموثاوس ٤:٤) . تعاملوا بخرافات كالخرافات اليهودية (تيطس ١ : ١٤) . وأسوأ الكل ، اتجه تفكيرهم إلى وجود إلهين ، واعتبروا يسوع واحد فى مجموعة كاملة من الوسطاء بين الله والناس ؛ بينما فى الحقيقة « مع أنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح » (١ تيموثاوس ٢ : ٥). يوجد ملك واحد فقط ، ملك الدهور الذى لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده (١ تيموثاوس ١ : ١٧) . إذا أزلنا عن الله ويسوع المسيح مكانتهما الفريدة ، فلا وجود للديانة المسيحية .

أخلاقيات الهرطقة

لم تكن الخطورة الغنوسية ثقافية فقط . بل كانت لها نتائج أخلاقية وسلوكية خطيرة للغاية . لا بد أن نتذكر أن عقيدتها الأساسية هى أن المادة بالضرورة ناقصة شريرة ، وأن الروح وحده هو الصالح . وفى تطبيق هذا المبدأ على المعتقدات الأخلاقية والسلوك نخرج بنتيجتين متعارضتين .

١ ــ بما أن المادة شريرة ، إذاً الجسد شرير ؛ ويجب أن يخضع ويحتقر ويحط كرامته . وكان أن اتخذت هذه الغنوسية تقشفاً صارماً اعتبرت فيه الجسد شراً بالغاً . منعت الناس من الزواج ، لأنه يجب كبت غرائز الجسد كلية . وضعت قوانين صارمة للأطعمة ، لأن احتياجات الجسد يجب أن تستأصل بقدر الإمكان . لهذا نجد الرعويات تتكلم عمن يمنعون الزواج وينهون عن أطعمة معينة (١ تيموثاوس ٤ : ٣) . والرد على هؤلاء الناس هو أن كل خليقة الله جيدة ، ولا يرفض شئ إذا أخذ بالشكر (١ تيموثاوس ٤ : ٤):

اعتبر الغنوسي أن الخليقة رديئة ، خلقها إله شرير . أما المسيحي فيرى في الخليقة عملا نبيلا ، صنع يدى وعطية إله صالح . اعتقد الغنوسى أن إلهاً شريراً صنع كل شئ سيئاً ؛ ويؤمن المسيحي أن إلهاً صالحاً صنع كل شئ جيداً . المسيحى يعيش فى عالم فيه كل الأشياء طاهرة ؛ والغنوسي يحيا فى عالم كل ما فيه قد تلقس . (تيطس ١ : ١٤) .

٢ ــ ولكن أمكن لهذه الغنوسية أن تخرج بمعتقد أخلاقى متعارض تماماً مع التطبيق السابق : بما أن الجسد شرير ، لا يهم ماذا يفعل الإنسان به . الجسد ليس بذات أهمية ؛ كل ما يهم هو الروح . إذاً ليشبع كل إنسان شهوته ، وبشراهة ؛ فليست هذه الأشياء بذات قيمة ؛ لهذا يستطيع الشخص أن يطلق لشهواته العنان فلن يغير هذا شيئاً . من أجل ذلك تتكلم الرعويات عن هؤلاء الذين يسبون نسوة غبيات حتى يحملن بالخطية ويصبحن ضحايا لكل أنواع الشهوة (٢ تيموثاوس ٣ : ٦) . هؤلاء الناس يعلنون معرفتهم بالله ، ولكنهم يعيشون حياة كريهة مقيتة رجسة (تيطس ١ : ١٦) . اعتقد هؤلاء الغنوسيون أنه طالما أن الجسد لا أهمية له إطلاقاً وهو كلى الشر ، لا يهم ماذا يفعل به إنسان ؛ لهذا أطلقوا العنان لشهواتهم ، وعواطفهم وأدنى رغباتهم . واستغلوا معتقداتهم الدينية ليوغلوا فى فساد كامل .

٣ ــ تمخضت هذه الغنوسية عن نتيجة ثالثة . آمن المسيحى بقيامة الجسد . هذا لا يعنى أن المسيحى قد اعتقد إطلاقاً بقيامة هذا الجسد البشرى الفانى ، ولكن إيمانه أنه بعد القيامة من الأموات سيعطى الله للانسان جسداً روحياً . يبحث بولس هذا السؤال فى ١ كورنثوس ١٥ . ولكن الغنوسى تمسك بعدم وجود قيامة للجسد (٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) . اعتقادهم أنه بعد الموت يصير الإنسان روحاً بلا جسد . والفرق الرئيسى هنا هو إيمان الغنوسى

بهلاك الجسد ، بينما يؤمن المسيحى بفداء الجسد . آمن الغنوسى بما دعاه خلاص النفس ؛ ويؤمن المسيحى بالخلاص الكلى .

إذا خلف الرسائل الرعوية تصادف هذه الهرطقات الخطيرة ، هؤلاء الناس الذين أسلموا حياتهم لخيالات ثقافية ؛ هؤلاء الناس الذين رأوا العالم عالماً شريراً وإلهه الخالق إلهاً شريراً ؛ هؤلاء الناس الذين فصلوا بين العالم والناس وبين الله بسلسلة لا تنتهى من الانبثاقات وآلهة أقل مقاماً ، هؤلاء الذين أمضوا زمانهم يزودون كل منها بالأساطير والأنساب دون حدود ؛ هؤلاء الناس الذين استصغروا من شأن يسوع المسيح فوضعوه فى مقام وصلة فى سلسلة وأزالوا عنه شخصيته الفريدة ، هؤلاء الناس الذين عاشوا حياتهم إما فى تقشف صارم أو فى إباحية بلا حدود ؛ هؤلاء الناس الذين أنكروا قيامة الجسد . كانت هذه هى المعتقدات المهرطقة الخطيرة ، التى كتبت الرعويات لتدحضها وتقاتلها .

عقلية المهرطق

فى هذا الجزء صورة واضحة لعقلية المهرطق الخطير . هناك نوع من الهرطقة يختلف فيه شخص مع إيمان قويم صادق نتيجة لبحثه بأمانة فيما يتضمنه هذا الإيمان وعدم استطاعته الموافقة عليه . هذا الشخص لا يسعى نحو إرضاء كبريائه فى كونه مخالفاً ، أو يخالف لكى يعرف ، بل هو ببساطة ، لا يستطيع أن يفعل غير هذا . هذا النوع من الهرطقة لا يؤثر فى أخلاق الشخص ؛ بل ربما جعلت منه فعلا شخصية محبوبة ، فرفضه لحياة تسير حسب معتقدات منقولة جاء نتيجة بحث جدى أمين فيما يؤمن به . ولكن هذه

ليست الصورة المرسومة هنا للمهرطق . وفيما يلي خمس خواص مميزة للمهرطق الخطير .

١ ــ هو مدفوع برغبة البحث عن الجديد أو المستحدث . شأنه في ذلك شأن من يتبع آخر موضة ويسير حسب آخر صيحاتها . يحتقر القديم من الأشياء لا لسبب غير قدمها ، ويرغب في الأشياء الجديدة لا لفضل سوى كونها جديدة . كان أمام المسيحية مشكلة دائمة تستوجب الحل . مشكلة تقديم الحق القديم في ثوب جديد . الحق نفسه لا يتغير ، بل طريقة تقديمه . ما أصدق القول إن كل جيل يجب أن يكتشف طريقته الخاصة في تقديم الحق المسيحي . على كل معلم ومبشر أن يخاطب الجمهور بلغة مفهومة . ولكن الحق المعروض يظل كما هو . العرض الجديد والحق القديم يسيران معاً دائماً .

٢ ــ المهرطق يرفع من قيمة العقل على حساب القلب . فكرته عن الدين نظرية غير اختبارية . لم تطلب المسيحية أبداً أن يتوقف أي شخص عن التفكير لنفسه ، ولكن المسيحية أوصت أن تفكير شخص يجب أن ينبعث من اختبار شخصي مع يسوع المسيح .

٣ ــ يهتم بالمناقشات بدلا من العمل . فهو يهتم أكثر بالمباحثات الصعبة الغير واضحة بدلا من الإدارة الحاسمة لبيت الإيمان . ينسى أن الحق لا يقبله الشخص فقط بعقله ، بل يترجمه أيضاً إلى عمل في حياته . منذ أمد طويل تم تعريف الفرق بين اليوناني واليهودي . أحب اليوناني المناقشة لمجرد المناقشة ؛ لم يكن لديه أفضل من الانغماس مع أصدقائه في تبادل الفوازير الذهنية ، والاستمتاع باثارة هذا المشوار العقلي الطويل . ولكنه لم يكن يتوق للتوصل

إلى نتيجة ، أو استحداث مبدأ للعمل . لم يحب فى المناقشة أكثر من كونها مناقشة ، وأحب المحادثات لمجرد كونها محادثات . أحب اليهودى أيضاً المناقشة ؛ ولكنه رغب فى أن يصل بكل مناقشة وبكل محادثة إلى نتيجة ما ؛ كان يتوق أن تنتهى إلى قرار يتطلب عملا . هناك دائماً خطر الهرطقة إذا أولعنا بالكلام وأهملنا الأعمال ، لأن الأعمال هى المحك الحقيقى لاختبار كل مناقشة .

٤ ــ هو مدفوع مغرور وليس فيه تواضع . رغبته أن يعلم لا أن يتعلم . يعامل بسطاء العقول بشئ من الاحتقار ، لأنهم عاجزون عن متابعة شطحاته الخيالية . فهو يعتبر هؤلاء الذين لا يصلون إلى نفس استنتاجاته جهلة أغبياء . أما المسيحى فعليه أن يجمع بين يقين لا يتبدل وتواضع رقيق ؛ وعلى المسيحى أن يكون مستعداً أن يتعلم حتى نهاية يومه .

٥ ــ جامد عن غير فهم . فهو فى الحقيقة لا يعلم بماذا يتكلم ، ولا يفهم قيمة الأشياء التى يجزم بها . أغرب شئ عن المناقشة الدينية أن أى شخص وكل شخص يعتقد أن له الحق أن يعبر عن رأى جامد لا يناقش . فى كل فروع المعرفة الأخرى تشترط فيمن يضع القانون أن يكون حائزاً على نوع معين من المعرفة . ولكن أولئك الذين يجزمون بما فى الكتاب المقدس وتعاليمه رغم عدم محاولتهم إطلاقاً معرفة ما قاله المختصون والباحثون فى اللغة والتاريخ . من المحتمل جداً أن القضية المسيحية قد عانت من جهل الجمود أكثر من أى شئ آخر .

عندما نتأمل خواص هؤلاء الذين أثاروا متاعب كنيسة أفسس نجد أن أحفادهم ما زالوا معنا .

عقلية المفكر المسيحى

مثلما رسم هذا الجزء صورة المفكر الذى عكر صفو الكنيسة ، كذلك يرسم صورة المفكر المسيحى الحقيقى . وهو أيضاً يتميز بخواص خمس :

١ — تفكيره مبنى على إيمان . الإدارة الفعالة لبيت الله يجب أن تؤسس على إيمان . يعنى الإيمان ببساطة أخذ الله عند كلمته ؛ يعنى الإيمان ببساطة تصديق أن الله هو الذى أعلنه لنا يسوع المسيح . أى أن المفكر المسيحى يبدأ من المبدأ الأول وهو أن يسوع المسيح قال الكلمة الأخيرة عن الله وأعطى الرؤيا الكاملة عنه . المفكر المسيحى يفكر دائماً فى إطار يسوع المسيح .

٢ — يدفع تفكيره ويغلب عليه المحبة . كل تخطيط بولس أن يخلق محبة تفكيرنا بمحبة ينجينا من أشياء معينة . ينجينا من التفكير بكبرياء . ينجينا من التفكير باحتقار . يجنبنا إدانة ما لا نوافق عليه أو ما لا نفهمه . يجنبنا من عرض مناقشاتنا ووجهات نظرنا بطريقة تجرح الآخرين . المحبة تحفظنا من التفكير الهدام . والكلام الهدام . التفكير بمحبة هو دائماً تفكير برأفة . والشخص الذى يناقش بمحبة يناقش ليكسب معارضة لا ليهزمه .

٣ — تفكيره ينبعث من قلب طاهر . الكلمة المستعملة هنا ذات أهمية خاصة . فى الأصل تعنى ببساطة النظيف (عكس القذر) . ولكن تطورت بعد ذلك لتفيد معانى معينة . استعملت لتصف الذرة التى غربلت ونقيت من كل القشر . استعملت لتصف جيشاً تم غربلته وتطهيره من كل العناصر الجبانة الغير منظمة بحيث لا يتبقى غير محاربين من الطراز الأول . استعملت عن شئ لم يختلط به ما يحط من قيمته . إذا ، قلب طاهر تعنى قلباً دوافعه

مطلقة الطهارة لم تخالطها أية شائبة . فى قلب المفكر المسيحى لا يوجد أدنى تفكير فى عرض الذات ، أو رغبة فى استعراض ذكائه ، أو شوق لإحراز انتصار فى معركة كلامية بحتة ، أو ميل لإظهار جهل غريمه ، أو رغبة فى الفوز على الشخص الذى يتحادث معه عن الإيمان . رغبته الوحيدة أن يساعد وينير ويقود أكثر قرباً إلى الله . المفكر المسيحى ناكر لذاته فى تكريسه للحق وفى رغبته للعون . ولا يدفعه إلا محبة الحق ومحبة الناس .

٤ ــ تفكيره ينبعث من ضمير صالح . الكلمة اليونانية للضمير ومعناها الحرفى معرفة بشئ . والمعنى الحقيقى للضمير هو معرفة بنفسك . إن الإنسان الذى يملك ضميراً صالحاً هو الذى يكون قادراً أن ينظر إلى ما يعرفه هو وحده فى الوجه مباشرة ولا يجد فيه ما يعيبه . قال أمرسون عن سنيكا إنه تفوه بأعذب الأشياء لكن هل كان له الحق أن يقول هذه الأشياء . المفكر المسيحى هو ذلك الشخص الذى تعطيه أفكار قلبه ، وأعمال حياته ، الحق فى أن يقول ما يقول ــ وهذا هو أكثر الاختبارات حدة ومرارة .

٥ ــ المفكر المسيحى هو من كان إيمانه بلا رياء . والجملة تعنى حرفياً الإيمان الذى لا غش فيه أو نفاق . وهذا يعنى ببساطة أن ميزة المفكر المسيحى الكبرى الصدق والأمانة . هو صادق فى رغبته أن يجد الحق ؛ وهو صادق فى رغبته أنه ينقل هذا الحق إلى آخرين . وكلتا العمليتان . تفكيره ، ودوافعه للتعليم يجب أن تتعرض لفحص الله المدقق .

هؤلاء الذين لا يحتاجون لناموس

٨ وَلٰكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّامُوسَ صَالِحٌ إِنْ كَانَ أَحَدٌ
يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا ٩ عَالِماً هٰذَا أَنَّ ٱلنَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ
لِلْبَارِّ بَلْ لِلْأَثَمَةِ وَٱلْمُتَمَرِّدِينَ لِلْفُجَّارِ وَٱلْخُطَاةِ لِلدَّنِسِينَ
وَٱلْمُسْتَبِيحِينَ لِقَاتِلِي ٱلْآبَاءِ وَقَاتِلِي ٱلْأُمَّهَاتِ لِقَاتِلِي
ٱلنَّاسِ ١٠ لِلزُّنَاةِ لِمُضَاجِعِي ٱلذُّكُورِ لِسَارِقِي ٱلنَّاسِ
لِلْكَذَّابِينَ لِلْحَانِثِينَ وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ ٱلتَّعْلِيمَ
ٱلصَّحِيحَ ١١ حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللهِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلَّذِي
ٱؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهِ .

(١ تيموثاوس ١ : ٨ – ١١)

يبدأ هذا الجزء بفكرة كانت مفضلة فى العالم القديم . وظيفة الناموس محاسبة فاعلى الشر . لا يحتاج البار لناموس يضبط أفعاله أو يهدده بالعقاب وفى عالم من الأبرار لا توجد حاجة لأى ناموس على الإطلاق .

أصاب انتيفانس اليونانى عين الحق إذ قال : « من لم يرتكب خطأ لا يحتاج لقانون » . وقال أرسطو : « تمكن الفلسفة الإنسان أن يعمل بدون ضابط خارجى ما لا يستطيع غيره أن يفعله إلا مخافة من القوانين » . وكتب أمبروز ، الأسقف المسيحى العظيم ، فقال : « للعادل مقياس ومرجع هو قانون عقله ، وعدم تحيزه ، وعدالته ؛ لهذا يكون رجوعه عن الخطأ لا مخافة

من العقاب بل طوعاً لحكم الشرف » . إتفقت الوثنية والمسيحية أن مصدر الصلاح الحقيقي هو قلب الإنسان ؛ وأن ذلك أمر مستقل عن أى مكافأة أو عقاب قانونى .

ولكن اختلفت المسيحية عن الوثنية فى شئ واحد . كان تطلع الوثنى إلى عصر ذهبي قديم انعدمت فيه الحاجة للقانون وحسنت فيه كل الأمور . وكانت لهفة قلوبهم المشتاقة ترنو بحسرة إلى تلك الأيام الطيبة الماضية . وقد رسم الشاعر الرومانى أوفيد صورة بالغة الروعة لهذا الماضى الذهبي (ميتامور فوسيس ١ : ٩٠ — ١١٢) « ما أروع هذا الجيل الأول ، حفظ الإيمان وفعل الصواب ، لم يفرض عليه أحد ذلك ، ولم يدفعه قانون ما ، بل كان عملا حراً بارادته هو . لم يكن هناك خوف من عقاب ، أو كلمات الوعيد تقرأ من ألواح نحاسية ، لم تتجمع الجماهير لترتجى فى خوف وجه القاضى ، فقد عاش الناس فى أمان دون حاجة للقاضى . لم تكن شجرة الصنوبر قد اقتلعت بعد من موطنها الجبلى ، حيث نزلت إلى السهل المرتوى وتشعبت إلى أراض كثيرة ، كما لم يعرف الناس شواطئاً خلاف ما يخصهم . لم تكن الخنادق العميقة قد أحاطت بعد بالمدن ، كما أن النفير أو البوق النحاسى أو السيوف أو الخوذات لم تكن قد ظهرت بعد . لأنه باستتباب الأمن وتوقف الحروب انعدمت الحاجة للجيوش المسلحة وأمضت الدول السنين فى سلم جميل » . كانت تلك هى الأيام الذهبية التى اختفى فيها الشر والخوف من الناس . رسم المؤرخ الرومانى تاسيتس نفس الصورة « فى الأزمنة الأولى ، لم تكن العواطف الشريرة قد غلبت الناس بعد ، فعاشوا حياة بلا لوم أو ذنب حياة لم تستوجب عقاباً أو قيوداً . إنقادوا لطبيعتهم فى اتباع كل ما هو فاضل ، والتمسك بكل ما هو صواب دون المطالبة بمكافأة ما ، لهذا لم يتعرض أحد

لإيلام أو لعقوبة » . تلفت العالم القديم إلى الماضى يتلهف على أيام مضت دون رجعة . ولكن المسيحية تتميز بالنظر إلى الأمام لا إلى الخلف . لا يتلفت الإيمان المسيحى إلى الوراء متحسراً على عصر ذهبى قد ولى ؛ بل يثبت نظرته إلى الأمام إلى اليوم الذى تصبح فيه محبة المسيح فى قلب الإنسان قانون العالم الأوحد ، لأن المسيحية تؤمن أن عهد الناموس لن ينتهى قبل أن يبزغ فجر المحبة .

يجب أن يكون هناك عامل واحد فقط متحكم فى حياة كل واحد فينا . يجب أن ينبعث صلاحنا ، لا من مخافة الناموس،ولا حتى من مخافة الدينونة ، ولكن حرصاً على أن لا نخيب محبة المسيح أو نحزن قلب الله الآب . قوة المسيحى الفعالة لحياة صالحة ترتكز على هذه الحقيقة ، أن الخطية لا تكسر ناموس الله فقط بل قلبه أيضاً . إن محبة الله ، لا ناموسه ، هى التى تقيدنا وتحدد أفعالنا .

هؤلاء الذين يدينهم الناموس

فى الدولة المثالية ، عندما يأتى ملكوت الله ، لن تكون هناك ضرورة لأى قانون خلاف محبة الله والخير فى قلب الإنسان ؛ ولكن والأحوال كما هى الآن فالأمر مختلف تماماً . هنا يضع أمامنا بولس قائمة مصنفة للخطايا التى يجب أن يرقبها القانون ويدينها . كانت هذه القائمة من الخطايا والشرور تصف فى الحقيقة العالم الذى عاش فيه المسيحيون الأوائل وتحركوا وعملوا لم يسبق لنا مشاهدة هذه الصورة الواضحة للكنيسة المسيحية ، وكأنها جزيرة صغيرة طاهرة فى وسط بحر فاسد موبوء . نتكلم أحياناً عن صعوبة المحافظة

على مسيحيتنا فى وسط مدينة عصرية ؛ يكفينا أن نقرأ وصفاً كهذا لنرى كيف كان الأمر شاقاً مما لا يقاس بالنسبة للظروف التى أحاطت بنشأة الكنيسة . دعونا نبحث بنود هذه القائمة المرعبة .

كان هناك **الأئمة** . وهم أولئك الذين يعرفون قوانين الخطأ والصواب ، ومع ذلك يكسرونها عمداً وبسبق إصرار . لا يستطيع أحد أن يلوم شخصاً على كسر قانون لا يعرف عنه شيئاً ؛ ولكن الآثم يعلم جيداً القانون ويكسره متعمداً ليرضى طموحه ورغباته .

كان هناك **المتمردون** ، وهم من لا نظام لهم ولا يخضعون لأحد . هم من يرفضون تقبل أو إطاعة أى سلطة . مثلهم فى ذلك كالجنود الذين يثورون عاصين للأوامر . متمردين على كل الرتب . هم إما متكبر أو جامح حتى أنه لا يقبل أى ضبط أو ربط .

وكان هناك **الفجار** . وهذه الكلمة فى اليونانية كلمة رهيبة . فهى لا تصف فقط الاستخفاف ، أو الانزلاق والسقوط فى الخطية . بل تصف العمل الإيجابى الفعال ضد الدين ، تصف الروح التى تتحدى وتتمادى حرمان الله من حقه . تصف الطبيعة الإنسانية فى معركة ضد الله . فالفاجر هو ذلك الإنسان الذى يسلك سبيله متحدياً الله أن يفعل أسوأ ما يستطيع .

هناك **الخطاة** . يمكن استعمال هذه الكلمة فى وصف عبد منحل الأخلاق . فالكلمة تصف الشخص الذى فقد كل مقومات الخلق .

هناك **الدنسون** . anosioi . الكلمة اليونانية hosios كلمة نبيلة ؛ فهى تصف ، على حد قول ترنش ، « شرائع الحق الأبدية ، التى لم تشملها قوانين الناس الوضعية أو عقائدهم ، لأنها تسبق كل القوانين

والعادات » . الأشياء التى يطلق عليها hosios تكون جزءاً من مكونات الكون ذاته ، تكون مقدساته الأبدية . وعلى سبيل المثال ، استقبح اليونانى العادة المصرية القديمة زواج الأخ من اخته ، أو العادة الفارسية زواج الابن من أمه ، فأطلق عليها anosion ، أى دنس ، غير مقدس . الشخص الذى يدعى دنس أسوأ ممن يكسر القانون . لأنه الشخص الذى يجترئ على المقدسات السامية ولا يرعى حرمة لقيم الحياة النبيلة .

هناك المستبيحون وهى كلمة قبيحة لها تاريخ غريب . فى الأصل كانت تعنى ببساطة الشئ الذى يمكن أن يوطأ بالأقدام ، على النقيض من الشئ المقدس لبعض الآلهة ، فانه لا يمس . ثم تطورت الكلمة فأصبحت تعنى نجس المضادة للمقدس . ثم تطورت لتعنى الشخص الذى ينجس الأشياء المقدسة ، الشخص الذى يدنس يوم الرب ، ولا يطيع شرائعه ، ويحقر من شأن عبادته ، ويلطخ الحياة التى أعطاها له الرب بالأوحال . من يدعى مستبيح ينجس كل شئ يلمسه .

هناك قتلة الآباء والأمهات . نص القانون الرومانى على أن الابن الذى يضرب والديه مستحق للموت . والكلمات تعنى الابن (أو الابنة) الذى فقد كل إحساس بالجميل أو بالاحترام أو بالخجل . ويجب أن يذكر دائماً أن هذه الضربة البالغة القسوة ليست فقط ضربة تحيق بالجسد ، بل تجرح القلب .

هناك أيضاً القتلة وتعنى حرفياً قتلة الناس . لا بد أن بولس كان يفكر فى الوصايا العشر وكيف تميز العالم الوثنى بنقض وصية بعد الأخرى منها . عندما نقرأ هذا يجب أن لا يتوارد إلى أذهاننا أنه لا شأن لنا بهذه الخطية على الأقل ، لأن يسوع مد مضمون هذه الوصية لتشمل ، بجانب عملية القتل ، كل إحساس بالغضب ينطوى عليه قلب الإنسان نحو أخيه .

هناك الزناة ومضاجعي الذكور . من الصعب علينا أن نشير إلى حالة العالم القديم فى أمور الجنس وأخلاقيات الجنس . لقد كانت ملطخة بشر غير طبيعي . وأعجب الأشياء هو الارتباط الحقيقى بين الفسق والدين . كان معبد أفروديت بكورنثوس يضم ألفاً من الكاهنات المكرسات للدعارة المقدسة ، فكن ينزلن كل مساء إلى شوارع المدينة لممارسة تجارتهن . ويقال إن سولون كان أول قانونى فى أثينا يسمح رسمياً بممارسة الدعارة ، ويقال أيضاً إنه أنشأ بيوت عامة للدعارة فى أثينا ، وأنه من الأرباح العائدة من هذه البيوت أنشأ معبداً جديداً لأفروديت ، آلهة الحب . جاء فى تعليق براون المرسل بالهند ، على الرسائل الرعوية (فيما يختص بهذا الجزء) أن العجيب فى قانون العقوبات الهندى الذى نص على تحريم المناظر الفاضحة أنه استثنى عرض التماثيل والحفريات والصور الفاضحة فى المعابد ، أو نقل هذه التماثيل فى السيارات التى تستخدم فى الأغراض الدينية . من الأشياء الغريبة أن الفسق والقباحة انتعشت مرات كثيرة تحت ستار الدين فى جميع هذه الأديان الغير مسيحية . حقاً أن العفة هى الفضيلة الكاملة الجديدة التى أدخلتها المسيحية إلى العالم . علينا إذاً أن نفكر فيما كانت عليه مهمة المسيحى فى الأيام الأولى عندما كان يحاول جاهداً تطبيق الأخلاق المسيحية فى حياته فى وسط عالم كهذا .

هناك سارقو الناس . تعنى الكلمة **تجار العبيد** أو **خاطفو العبيد** . وربما شملت الكلمة المعنيين معاً . حقيقة كان الرق جزءاً متكاملا من حياة العالم القديم . ومن الحقيقى أيضاً أن أرسطو أعلن أن المدينة تقوم على الرق ، وأن طبقة معينة من الرجال والنساء قد خلقت لقطع الأخشاب وسحب الماء ، وأنها تعيش لتؤدى المهام الدنيئة فى الحياة لأجل راحة الطبقات المثقفة . ولكن حتى

فى هذا العالم القديم ارتفعت أصوات ضد الرق . فتكلم أفلاطون عن تجار الرقيق أنهم هؤلاء الذين يسلبون الناس أعز وأغلى مقتنياتهم ، حرياتهم » . ربما كان هذا الوصف أكثر انطباقاً على خاطفى العبيد . كان العبيد سلعة غالية . عبد عادى بدون مواهب أو مهارة خاصة كان يساوى ١٦ إلى ٢٠ دولار . عبد متمرن تمريناً خاصاً كأن يتقن بعض الصناعات اليدوية كان يساوى ثلاثة إلى أربعة أمثال هذه القيمة . الشباب الحسن الطلعة كان مطلوباً بشدة للعمل كخدام خصوصيين أو سقاة للخمر ، وكان يساوى بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ دولار . ويقال إن ماركورس أنطونيوس دفع ٢٠٠٠ دولار ثمناً لشابين متناسقين كان يظن خطأ أنهما توأمين . فى الأيام التى شغفت فيها روما على الخصوص بتعلم فنون اليونان ، غلا سعر العبيد المثقفين فى الأدب والموسيقى والفن اليونانى ، يوجد سجل يثبت أن عبداً معيناً بيع بـ ٣٥٠٠ دولار . نتيجة لكل هذا زاد إغراء خطف العبيد ذوى القيمة . أصبحت ظاهرة عادية فى الحياة القديمة أن يخطف العبد الجميل أو من يوسم فيه صفات خاصة .

وأخيراً هناك الكذابون والحانثون ، هؤلاء هم من لا يتورعون عن الكذب ، وتمويه الحق للحصول على أغراض غير شريفة .

هذه هى صورة حية للجو الذى عاشت ونمت فيه الكنيسة الأولى ، وقد قصد كاتب الرعويات برسائله أن يحذر ويحض المسيحيين فى عهده ضد هذا الوباء .

الكلمة المطهرة

يخبرنا هذا الجزء عن ثلاث مميزات للرسالة المسيحية التي جاءت إلى العالم .

١ ــ **إنها تعليم صحيح** : الأصل اليوناني لكلمة صحيح وتعني حرفياً واهب الصحة . خاصية المسيحية العظيمة أنها دين أخلاقي . لا تتطلب من الإنسان الحرص فقط على طقوس دينية معينة ، بل أن يعيش الحياة الفاضلة . يجب أن نتذكر دائماً أن المسيحية لا تعني التمسك بتقليد ما ، حتى لو اشتمل هذا التقليد على دراسة الكتاب والذهاب إلى الكنيسة ، إنما تعني الحياة الفاضلة . إذا كانت المسيحية حقيقية لا ادعاء فيها تطهرت بها الحياة والأخلاق لأنها واهبة الصحة الخلقية .

٢ ــ **إنها إنجيل ممجد أو بالأحرى الأخبار الحسنة المجيدة** . إنها أخبار حسنة عن مغفرة خطايا الماضي ، وعن قوة جديدة لغلبة الخطية في المستقبل . إنها أخبار حسنة عن رحمة الله ، عن تطهير الله وعن نعمة الله .

٣ ــ إنها أخبار حسنة **تلك التي تأتي من الله** . الإنجيل المسيحي ليس اكتشاف إنسان ، بل هو الأخبار الحسنة التي كشف عنها الله . الإنجيل ليس من عمل الإنسان أو اكتشافه ، بل هو هبة من الله وعطية من عنده . الإنجيل يتكفل لا بعون الإنسان فقط ، بل بمنحه قوة الله .

٤ ــ هذه الأخبار الحسنة **تأتي بواسطة الناس** . كانت أخبار حسنة تلك التي أؤتمن عليها بولس لتوصيلها للآخرين . الله يعرض عطيته والله يحتاج لمن يتولون نقلها . والمسيحي الحقيقي هو من أغلق على نفسه باب العالم وقبل عطية الله ، والذي تحقق أنه لا يستطيع أن يحتفظ بالأخبار الحسنة لنفسه ، فآلى أن يذيعها وينقلها ويشارك فيها الآخرين الذين لم يجدوها بعد .

تخلص ليخدم

١٢ وَأَنَا أَشْكُرُ ٱلْمَسِيحَ يَسُوعَ رَبَّنَا ٱلَّذِى قَوَّانِى إِنَّهُ
حَسَبَنِى أَمِيناً إِذْ جَعَلَنِى لِلْخِدْمَةِ ١٣ أَنَا ٱلَّذِى كُنْتُ
قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً . وَلٰكِنَّنِى رُحِمْتُ لِأَنِّى
فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِى عَدَمِ إِيمَانٍ ١٤ وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدًّا
مَعَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْمَحَبَّةِ ٱلَّتِى فِى ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ. ١٥ صَادِقَةٌ هِىَ
ٱلْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى
ٱلْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ ٱلْخُطَاةَ ٱلَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا. ١٦ لٰكِنَّنِى
لِهٰذَا رُحِمْتُ لِيُظْهِرَ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ فِىَّ أَنَا أَوَّلاً كُلَّ أَنَاةٍ
مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيٰوةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ. ١٧ وَمَلِكُ
ٱلدُّهُورِ ٱلَّذِى لاَ يَفْنَى وَلاَ يُرَى ٱلْإِلٰهُ ٱلْحَكِيمُ وَحْدَهُ لَهُ
ٱلْكَرَامَةُ وَٱلْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ ٱلدُّهُورِ . آمِينَ .

(١ تيموثاوس ١: ١٢ – ١٧)

هذا الجزء يبدأ بأغنية رائعة للشكر ، رغب بولس أن يشكر يسوع المسيح على أربعة أمور جبارة .

١ – يشكره لأنه اختاره . لم يخطر ببال بولس قط أنه هو الذى اختار

المسيح ، لكن المسيح هو الذى اختاره . كأنما كان مندفعاً بقوة إلى هلاك محقق ، فأمسكت به يد المسيح وأوقفت مسيرته القاتلة . كأنما كان منشغلا بتبذير حياته هباء وإذا بالمسيح يسوع يعيده فجأة إلى صوابه . تعرفت أثناء الحرب بطيار بولندى . احتشدت حياته بقصص هروب مذهلة من مخالب الموت وما هو أسوأ من الموت ، فاق عددها فى سنين قليلة ما لا يستطيعه معظم الناس فى كل حياتهم . أحياناً كان يقص قصة هروبه من أوربا المحتلة ، وهبوطه بالمظلة من الجو ، أو عملية إنقاذه من البحر ، وأخيراً فى نهاية هذه الرحلة الطويلة العجيبة ، كان يختمها دائماً بقوله ، وفى عينيه نظرة دهشة وتعجب « والآن إنى رجل الله » . وهذا هو تماماً ما أحس به بولس ، كان هو رجل المسيح لأن المسيح اختاره .

٢ — يشكره لأنه ائتمنه . كان أمراً مدهشاً بالنسبة لبولس أن المسيح يختاره هو بالذات ، عدو الكنيسة اللدود ، مرسلا ورائداً له . لم يغفر المسيح له فقط بل ائتمنه أيضاً . أحياناً نصفح نحن فى أمورنا البشرية — عمن ارتكب خطأ ما أو إثماً معيناً ، ولكن ماضيه يجعل من المستحيل ائتمانه على أى مسئولية أخرى . ولكن المسيح لم يعف عن بولس فقط ، بل أوكل إليه عملا لكى يؤديه . فأصبح مضطهد المسيح سفير المسيح .

٣ — يشكره لأنه عينه . وكل ما فى تفكير بولس أنه عين للخدمة ، لا لشرف ما ، أو لتقدير خاص أو لنوال السلطة أو القيادة داخل الكنيسة . كان مجده وفخره هو أنه خلص ليخدم . ويخبرنا بلو تارك أنه عندما يفوز أحد الإسبرطيين فى إحدى الألعاب ، تكون مكافأته الوقوف بجانب الملك فى المعركة . ويحكى عن مصارع اسبرطى أنه عرضت عليه رشوة سخية ليتخلى عن صراع رهيب فى أحد الألعاب الأولمبية ولكنه رفض ، وبعد انتصاره

قال له أحدهم ساخراً « والآن ، أيها الأسبرطى ، ماذا يجديك هذا الانتصار الغالى الثمن ؟ » فأجابه : « لقد فزت بامتياز وقوفى أمام مليكى فى ساحة القتال » . كانت مكافأته أن يخدم وإذا دعت الضرورة ، أن يموت لأجل مليكه . هكذا كان يعلم بولس لماذا اختير ، اختير للخدمة ، لا للتشريف .

٤ — يشكره لأنه قواه . كان بولس من أوائل من اكتشفوا أن المسيح لا يكلف شخصاً بمأمورية ما دون أن يهبه القوة لأدائها . لا يمكن لبولس أن يقول ، « أنظروا ماذا فعلت » لكنه كان دائماً يقول « انظروا ماذا قدرنى يسوع المسيح أن أفعل » . لا يوجد إنسان صالح ، أو قوى ، أو طاهر أو حكيم لدرجة أن يكون جديراً بخدمة المسيح . ولكن إذا أعطى إنسان نفسه للمسيح ، فسيمضى رافلا فى قوة ربه لا فى قوة ذاته .

وسائل الرجوع إلى الله

لا تزال هناك نقطتان لطيفتان . فى هذا الجزء يبرز ماضى بولس اليهودى — يقول بولس إن يسوع المسيح رحمه لأنه ارتكب خطاياه ضد المسيح وضد كنيسته فى أيام جهله ، قبل أن يعرف الإيمان . الفكرة السائدة لدينا هى ، أنه من وجهة النظر اليهودية ، الذبيحة تكفر عن الخطية . فاذا أخطأ الإنسان ، وضايقت الخطية الله وقطعت العلاقة بينهما ؛ نحرت الذبيحة فيهدأ غضب الله وتعود العلاقة بين الله والإنسان . ربما كانت هذه فعلا الفكرة المهينة الشائعة عن الذبيحة . ولكن الفكر اليهودى أصر على أمرين . أولها أن الذبيحة لا يمكن أن تكفر عن الخطية المتعمدة ، خطية الكبرياء والغرور ، خطية القلب المتغطرس والذراع الرفيعة . ولكنها تستطيع أن تكفر فقط عن

الخطايا التى ارتكبت عن جهل ، بدون قصد ، بل فى لحظة انفعال . إذا لا يمكن للذبيحة أن تغطى الخطية المقصودة التى ترتكب فى تحد وغرور . ثانيهما أن الذبيحة لا يمكن أن تكفر عن أى خطية على الإطلاق إذا لم يصحبها توبة وشعور بالخزى والألم فى قلب من قدمها . نجد هنا بولس يتكلم من وحى ماضيه اليهودى . انكسر قلبه أمام رحمة المسيح ؛ خطاياه ارتكبت عن جهل قبل أن يعرف المسيح ويلمس محبته . بسبب هذه الظروف كان بولس يشعر أن باب الرحمة ما زال مفتوحاً له .

ولكن لا يزال فى هذا الجزء نقطة لطيفة ، أشار إليها أ. ف. براون . الآية ١٤ « وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع » آية صعبة ولو أن الجزء الأول فيها سهل ويعنى أن نعمة الله علت فوق خطية بولس . ولكن ما هو على وجه الدقة معنى الجزء « مع الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع » ؟ يقترح أ. ف. براون أن المعنى المقصود هو هذا : أن عمل نعمة المسيح فى قلب بولس قواه وسنده الإيمان والمحبة التى صادفهما بولس فى أعضاء كنيسة المسيح ؛ أن تأثير نعمة المسيح قد ازداد بالعطف والفهم والرقة التى أظهرها نحوه رجال كحنانيا ، الذى فتح عينيه ودعاه أخاً (أعمال ٩ : ١٠ — ١٩) ، وكبرنابا ، الذى وقف معه عندما ارتابت فيه بقية الكنيسة (أعمال ٩ : ٢٦ — ٢٨) والفكرة هنا أن عطية نعمة المسيح تسندها الرأفة المسيحية التى يبديها أعضاء الكنيسة الذين يعيشون فى المسيح . وهى فكرة عميقة ، إذا أردنا تطبيقها وجدنا أن هناك ثلاثة عوامل تتضامن فى رجوع أى إنسان إلى الله .

— أولا : هناك الله . كانت صلاة إرميا : « أرددنا يا رب إليك فنرتد » (مراثى إرميا ٥ : ٢١) . ما لم يعمل روح الله فى قلب الإنسان ، لن

تمر بخاطره رغبة فى الله . وكما قال أغسطينوس ، لا يمكن أن نكون قد بدأنا البحث عن الله ما لم يكن الله قد وجدنا أولا . القوة المحركة هى الله ؛ خلف رغبة الإنسان الأولى نحو عمل الخير ، توجد محبة الله الفاحصة الباحثة .

ـ ثانياً : هناك نفس الإنسان : يقول الكتاب « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) . هذا يعنى بالتأكيد أنه لا بد من وجود استجابة بشرية للدعوة الإلهية . أعطى الله الإنسان إرادة حرة وللانسان كامل الحرية فى قبول أو رفض عطية الله . الإنسان نفسه هو الذى يجب أن يأخذ الخطوة الضرورية فى تسليم ذاته لله .

ـ ثالثاً ـ هناك العامل الإنسانى فى شخص مسيحى آخر . كان بولس مقتنعاً أنه مرسل إلى الأمم « لكى يفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا » (أعمال ٢٦ : ١٨) وكان يعقوب مقتنعاً أن من يرد خاطئاً عن طريق ضلاله إنما يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا » (يعقوب ٥ : ١٩ ، ٢٠) إذاً . هناك واجب مزدوج علينا . قيل إن القديس هو من يسير فى طريق الإيمان بالله ، وأن القديس هو شخص يعيش فيه المسيح مرة أخرى . واجبنا أن نشكر من أرشدونا إلى المسيح ، من كانت كلماتهم وقدوتهم طريقاً إليه ؛ وواجبنا أن نجاهد لكى نصبح قوة ذات تأثير ولكى نكون نوراً يقود الآخرين إلى الله .

فى موضوع الرجوع إلى الله تتحد عوامل ثلاثة ، الإحساس يبدأ بتأثير الله ، تتبعه استجابة من نفس الإنسان ، وتقويه قدوة إنسان مسيحى آخر .

١ - العار الذى لاينسى
والإلهام الذى لا يموت

أهم ما فى هذه الفقرة إصرار بولس على تذكر خطيته . فهويكتب مجموعة من الألفاظ ليبين كم فعل ضد المسيح والكنيسة . كان مهيناً محتقراً للكنيسة ؛ قذف المسيحيين بشتائمه الساخنة الغاضبة ، متهماً إياهم بالإجرام فى حق الله ، وهو وحده المجرم . كان مضطهداً ، اتخذ كل وسيلة أتاحها له الناموس اليهودى ليقضى على الكنيسة المسيحية . ثم يأتى الوصف المرعب ، أنه كان إنساناً مفزعاً وحشى العنف . الكلمة فى اليونانية تعنى رغبة فى التدمير يصحبها غرور ، تعنى شخصاً غرضه اتباع الألم والإصابة لمجرد شعوره بالارتياح والسرور لهذا . ويعرف أرسطو هذه الكلمة بأنها « تعنى إيذاء وجلب الحزن للناس ، بطريقة تجعل العار يحيق بمن أوذى . لا لمكسب خاص يلحق بمن تسبب فى الأذى والإيلام ، بل لمجرد أنه يجد متعة وسروراً فى إظهار قسوته وفى عذاب الآخرين . فى هذه الكلمة توجد متعة سادية فى إلحاق الألم . وهذا هو حال بولس فى تعامله مع الكنيسة المسيحية . لم يكتف بألفاظ التحقير والإهانة ، فاندفع إلى أقصى حدود الاضطهاد التى يسمح له بها الناموس . حتى هذا لم يرضه ، فاندفع فى قسوة سادية محاولا محو الدين المسيحى . تذكر بولس ذلك؛وحتى آخر أيامه كان يرى نفسه أول الخطاة . أنه مازال أول الخطاة وليس فقط فى الماضى . ومصداقاً للقول ، لم ينس بولس قط أنه خاطئ صفح عنه ، ولكنه لم ينس قط ماضيه الخاطئ . لماذا يتذكر بولس خطيته إذاً بهذه الشدة ؟

١ - ذكرى خطيته كانت أضمن رادع له ضد الكبرياء :

لا يمكن أن يلمغ إنسان فعل مثل ما فعله بولس بكبرياء روحى . كان

جون نيوتن واحداً من أعاظم الوعاظ وأعظم كاتب لترانيم الكنيسة ؛ ولكن في وقت ما كان جون نيوتن متهماً بكل خطية ، وانحدر إلى أدنى مهاوي الرذيلة التي يمكن لإنسان أن يبلغها . كان ذلك في الأيام التي عبر فيها البحار في مركب تجارة العبيد . لذلك عندما رجع جون نيوتن إلى الله وأصبح مبشراً للانجيل ، كتب يافطة في حروف كبيرة وعلقها في أبرز مكان في مكتبه لكيلا تضيع عن نظره مطلقاً : « تذكر أيام عبوديتك في أرض مصر وافتداء الرب إلهك لك » . وألف جون نيوتن هذه المرثاة لتنقش على شاهد قبره » « جون نيوتن ، موظف ، ساقط وكافر في وقت ما ، خادم للعبيد في أفريقيا، ولكنه برحمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ، حفظ من الهلاك ، أعيد إلى البر ، صفح عنه ، وعين ليبشر الإيمان الذي جاهد كثيراً للقضاء عليه » . لم ينس جون نيوتن قط أنه خاطئ غفرت له خطاياه ؛ كذلك لم ينس بولس ذلك . ويجب علينا نحن أن لا ننسى . أنه من الأفضل أن يذكر الإنسان خطاياه فيصونه ذلك من الكبرياء الروحي .

٢ — ذكرى خطية كانت أضمن دافع يحفظ شكره مشتعلا :

أن نذكر ما غفر لنا أضمن طريقة توقظ حبنا وشكرنا ليسوع المسيح . يخبرنا ف. و. بورهام عن خطاب كتبه البيوريتاني العجوز توماس جودوين إلى ابنه . « كلما شعرت بالبرود يزحف إلى خدمتي في الكنيسة ، كلما شعرت باقتراب صباح يوم الرب وقلبي لم يمتلئ بعد بالدهشة إزاء نعمة الله ، كلما حان وقت توزيع عشاء الرب ، هل تدري ماذا كنت أفعل ؟ كنت آخذ جولة بين خطايا حياتي الماضية ، وكنت دائماً أعود من جولتي بقلب منكسر مغلوب بالألم ، مشتعل بالعظة ، العظة عن غفران الخطايا » . وقال « لاأظنني ذهبت مرة إلى سلم المنبر دون أن أتوقف لحظة عند أسفله لأتذكر خطايا السنين الماضية . لا أظنني رتبت عظة دون أن آخذ مسيرة حول مكتبي

ناظراً إلى الخلف ، إلى خطايا الشباب وخطايا كل حياتى حتى اللحظة الحاضرة « كم من صباح أحد ، تكون نفسى باردة جافة لإهمالى الصلاة خلال الأسبوع ، ولكن جولة قصيرة فى حياتى الماضية قبل ذهابى إلى المنبر كافية لتكسر قلبى القاسى ، وتدنينى من إنجيل الرب فتجهز نفسى للعظة » . عندما نفكر فى كيف آذينا الله وآذينا من أحبونا وآذينا رفقاءنا من الناس ، وعندما نذكر كيف أن الله والناس قد صفحوا عنا ، لا بد أن هذه الذكرى كافية لإيقاظ شعلة الشكر داخل قلوبنا .

٣ – ذكرى خطية كانت حافزاً مستديماً نحو مجهود أكبر :

لا يمكن لإنسان أن ينال رضاء الله أو يستحق محبته ؛ ولكنه لا يستطيع التوقف عن محاولة إظهار تقديره للمحبة والرحمة التى غيرته عندما نحب أحداً لا يمكننا أن نغالب رغبتنا فى إظهار هذه المحبة . لأن هذا أمر طبيعى تمليه علينا الغريزة . لهذا عندما نذكر كم يحبنا الله وكم نحن غير مستحقين لهذه المحبة ، عندما نذكر أنه لأجلنا عذب المسيح وصلب هناك فى الجلجثة ، لا بد أن هذا سيدفعنا ويحفزنا نحو مجهود أكبر . نستطيع أن نقول لله إننا نعرف مقدار ما فعله لنا ، ونظهر ليسوع المسيح أن تضحيته العظمى لم تذهب هباء .

٤ – ذكرى خطية كانت ضماناً لتشجيع مستمر للآخرين :

يستخدم بولس صورة حية . فيقول إن ما حدث له كان مثالا لما سيحدث لهؤلاء الذين يقبلون المسيح فيما يأتى من الأيام . والكلمة التى يستعملها تعنى صورة مشروع أو تقرير ابتدائى أو نموذج مبدئى . كما لو كان بولس يريد القول ، « انظروا ماذا فعل المسيح لى ! إذا أتيح لشخص مثلى أن يخلص ،

هناك رجاء لأى إنسان لم يخلص بعد » . لنفترض أن شخصاً مريضاً بمرض خطير وأن عليه أن يجتاز عملية جراحية شديدة الخطورة ، ألا يكون أعظم مشجع له أن يقابل ويحادث شخصاً مر بنفس العملية الخطيرة وخرج منها سليماً معافى ؟ لم يخش بولس أن يعرف ماضيه ؛ بل أعلنه جهاراً مدوياً ، حتى يعلمه الجميع ويمتلئوا بالرجاء أن النعمة التى غيرت بولس قادرة أن تغيرهم هم أيضاً .

لم تكن خطية بولس شيئاً يريد أن يتناساه . وكما قال ذو القلب الكبير Great heart لأولاد المسيحى : « يجب أن تعلموا أن الأخضر الغافل Forgetful Green هو أشد الأماكن خطورة فى جميع هذه البقاع » .

رفض بولس أن ينسى خطيته ، لأنه فى كل مرة كان يذكر مدى شناعة خطيته ، كان أيضاً يذكر عظمة يسوع المسيح التى تفوق بكثير جرمه الكبير . لم تسبب ذكراه لخطيته اكتئاباً نفسياً يسوقه لليأس ، بل إيقاظاً لينبوع الفرح إزاء محبة ونعمة يسوع المسيح الشاملة الكاملة .

الدعوة التى لا يمكن أن ترفض

١٨ هٰذِهِ ٱلْوَصِيَّةُ أَيُّهَا ٱلِٱبْنُ تِيمُوثَاوُسُ أَسْتَوْدِعُكَ
إِيَّاهَا حَسَبَ ٱلنُّبُوَّاتِ ٱلَّتِي سَبَقَتْ عَلَيْكَ لِكَيْ تُحَارِبَ
فِيهَا ٱلْمُحَارَبَةَ ٱلْحَسَنَةَ ١٩ وَلَكَ إِيمَانٌ وَضَمِيرٌ صَالِحٌ
ٱلَّذِي إِذْ رَفَضَهُ قَوْمٌ ٱنْكَسَرَتْ بِهِمِ ٱلسَّفِينَةُ مِنْ جِهَةِ
ٱلْإِيمَانِ أَيْضاً ٢٠ ٱلَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَٱلْإِسْكَنْدَرُ
ٱللَّذَانِ أَسْلَمْتُهُمَا لِلشَّيْطَانِ لِكَيْ يُؤَدَّبَا حَتَّى لَا يُجَدِّفَا .

(١ تيموثاوس ١ : ١٨ — ٢٠)

الفقرة الأولى فى هذا الجزء مختصرة مضغوطة للغاية . لا بد أن اجتماعاً تم انعقاده بين أنبياء الكنيسة . كان الأنبياء معروفون بأنهم حائزون على ثقة ومشورة الله . « أن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء » (عاموس ٣ : ٧) . فى اجتماع الأنبياء هذا نوقشت الحالة التى كانت تهدد الكنيسة وانتهى إلى أن تيموثاوس هو أفضل من يصلح لمواجهتها . نستطيع أن نرى كيف تصرف الأنبياء تصرفاً مطابقاً فى أعمال ١٣ : ١ — ٣ . فى هذا الوقت بالذات كان يواجه الكنيسة هذا القرار الخطير ، هل تؤخذ رسالة الإنجيل إلى الأمم خارج اليهودية أو لا تؤخذ ؛ وكان رد الروح القدس هلى الأنبياء الرسالة الآتية ، « افرزا لى برنابا وشاول لأجل العمل الذى دعوتهما له » (أعمال ١٣ : ٢) وهذا ما حدث لتيموثاوس . اختاره الأنبياء

لمواجهة الحالة الطارئة على الكنيسة . ومن المعقول جداً أن يكون تيموثاوس قد انكمش إزاء جلال المأمورية الموضوعة أمامه، لهذا يشجعه بولس فى هذا الجزء ويشعل فيه الحماس لإعتبارات معينة .

١ – يقول له بولس « أنت الذى اخترت ولا يمكنك أن ترفض مأموريتك » حدثت قصة شبيهة بذلك لجون نكس . كان يدرس فى « سانت أندروز » ، ورغم أن تدريسه كان خاصاً لكن كثيرين أتوا لاستماعه ، فقد كان واضحاً أنه شخص ذو رسالة . لهذا نصحه الناس « أن يأخذ على نفسه مسئولية الوعظ . ولكنه رفض بتاتاً ، متعللا بأنه لا يمكن أن يسعى حيث لم يدعه الله . . . . وبناء عليه تشاوروا فيما بين أنفسهم وكان معهم فى المجلس سير دافيد لندسى ، وانتهوا إلى أن يكلفوا جون بمهمة ، وأن يكون هذا علناً على لسان واعظهم » . كان جون نوكس رجلا مختاراً ، ورغم هذا تردد كثيراً إزاء المسئولية الضخمة المطلوبة منه . جاء يوم الأحد ، وكان جون نوكس حاضراً فى الكنيسة والواعظ جوّن روف John Rough يقوم بالوعظ . فقال : يا أخى ، أرجو أن لا تتكدر رغم أنى أكلمك بما عهد إلى من جميع أولئك الحاضرين هنا : باسم الله وابنه يسوع المسيح ، وباسم أولئك الذين يدعونك الآن على لسانى ، أطلب منك أن لا ترفض هذه المهمة المقدسة ، . . . وأن تأخذ على نفسك مسئولية الوظيفة العامة ومسئولية الوعظ ، ناظراً إلى تجنب مضايقة الله ، راغباً فى مضاعفة نعمته عليك ؛ وفى النهاية خاطب الموجودين قائلا : « ألم يكن هذا تكليفكم لى ؟ وهل لاتوافقون على هذه الوظيفة ؟ فأجابوا : « نعم ، ونحن نوافق عليها » عند ذلك غلب الخجل على جون وانفجر فى فيض من الدموع ، وانسحب إلى حجرته : منذ ذلك اليوم حتى اليوم الذى اضطر فيه أن يقدم نفسه لمكان الوعظ العام ، دلت طلعته وسلوكه بوضوح تام عن مدى الحزن والاضطراب الذى ساد

قلبه ؛ فلم يلاحظ فيه أحد أى بادرة للسرور ، كما أنه لم يداخله فرح لرفقة أى إنسان ، لعدة أيام » . اختير جون نوكس؛ ولم يرغب جون نوكس فى تلبية الدعوة ؛ ولكن لم يكن هناك مفر لجون نوكس ، لأن الاختيار جاء من عند الله . بعد عدة سنوات وقف مورتون الوصى على العرش عند قبر جون نوكس ونطق مرثاته الشهيرة « بالنسبة أنه كان يحمل رسالة الله ، وأمامه وحده سيعطى حساباً عنها ، فانه رغم ضعفه وعدم استحقاقه وكونه رجلا مرعباً لم يخف من وجوه الناس » .

إحساسه أنه مختار أعطاه الشجاعة . وهكذا يقول بولس لتيموثاوس : « لقد اخترت ؛ لا يمكنك أن تخيب أمل الله والإنسان » . اختيار الله يأتى لكل واحد فينا ؛ وعندما ندعى لعمل ، لا نجسر على رفضه .

٢ ــ من المحتمل أن يقول بولس لتيموثاوس : « يا تيموثاوس ، كن صادقاً لاسمك » فاسم تيموثاوس مكون من كلمتين يونانيتين ، تيمو وتعنى شرف ثيوس وتعنى إله . أى أن الاسم تيموثاوس كان يعنى شرفا لله . ويبدو أن بولس يريد أن يقول لتيموثاوس » . تيموثاوس ، كن جديراً باسمك » . ونحن ندعى باسم مسيحيين ، أى أتباع المسيح ، ويجب أن نكون أمناء لهذا الاسم .

٣ ــ وأخيراً ، يقول بولس لتيموثاوس « لقد أؤتمنت على عمل ما » « وإنى أوكلك فى هذه المأمورية » . والكلمة التى يستعملها بولس عن يأتمن هى كلمة تستعمل عن ائتمان شئ غال وثمين فى أمانة عند إنسان . فهى تستعمل ، مثلا ، عن إيداع فى بنك ، أو ترك شخص تحت رعاية شخص آخر . وهى دائماً تعنى أن أمانة ما أودعت لدى إنسان ، وأن ذلك الإنسان

سيعطى حساباً يوماً ما عن الأمانة لهذا يقول بولس لتيموثاوس : «ياتيموثاوس إنى أستودعك أمانة مقدسة . أنظر أن لا تفشل فيها . » وقد أودع الله أمانته فى أيدينا وضع شرفه و كنيسته . ويجب علينا أن نعمل حتى لا نفشل .

مرسل لحرب الله

ما هو إذاً الذى أؤتمن عليه تيموثاوس ؟ ولأى غرض أرسل ؟

أرسل تيموثاوس ليجاهد الجهاد الحسن . تصوير الحياة كميدان حرب ظلت دائماً فكرة مثيرة لخيالات الناس . قال ماكسيموس من مدينة صور : « الله هو القائد ، الحياة هى ميدان القتال ، والإنسان هو الجندى » وقال سنيكا : « الحياة بالنسبة لى ، يا عزيزى لوسيليوس ، أن أكون جندياً » عندما يصبح شخص ما تابعاً للالهة إيزيس ، ويبدأ تعريفه بأسرار الإلهة المقدسة ، كانت الدعوة إليه : « التحق بعسكر إيزيس المقدس » .

هناك ثلاث أشياء يجب ملاحظتها هنا .

١ ــ لم ندع لمعركة بل لميدان حرب . الحياة ميدان حرب طويلة ؛ الحياة خدمة طويلة لا إفراج فيها . الحياة ليست صراعاً حاداً قصير الأمد يلقى الرجل بعده سلاحه ويستريح فى سلام . الحياة حرب مستمرة مشتعلة الأوار حتى نهاية اليوم الأخير فيها . وتشبيه الحياة بسباق قصير تشبيه قاصر لأنها ماراثون عنيف . هنا تكمن خطورة الحياة . فمن الضرورى أن تكون دائماً على حذر وعلى احتراس . « اليقظة الدائمة ثمن الحرية » . إغراءات الحياة ، وأخطاء الحياة ، لا تكف أبداً عن هجومها وعن بحثها الدائم عن ثغرة فى درع المسيحى . لا توجد فترات استرخاء فى الحياة المسيحية . أحد

الأخطار المعتادة فى الحياة أن نتقدم فى متتابعة من القفزات . عندئذ نمر بفترة جهاد حقيقى وحرب حقيقية ، تتبعها فترة خمول تبدأ فيها القيم فى الانزلاق . يجب أن نذكر أننا مدعوون لحرب ستستمر طالما استمرت الحياة .

٢ ــ أن تيموثاوس مدعو لجهاد حسن . نجد هنا مرة أخرى الكلمة Kalos المغرمة بها الرعويات . لا تعنى هذه الكلمة kalos ما هو حسن وقوى فقط ؛ بل تعنى أيضاً ما هو جيد وجذاب وجميل ورائع . ليس جندى المسيح مجنداً يخدم عن ضيق متبرماً خائر العزيمة ؛ بل هو متطوع يخدم بروح الشهامة والفروسية . فهو ليس عبداً للواجب ، بل خادماً مبتهجاً .

٣ ــ يوصى تيموثاوس بأن يأخذ معه نوعين من الأسلحة .

(أ) يجب أن يأخذ إيمان : حتى إذا ادلهمت الأمور ووصلت إلى أحلك ساعاتها ، يجب أن يحتفظ بإيمانه فى عدالة وصواب قضيته ، وبإيمان فى انتصار الله النهائى . كان هو الإيمان الذى حفظ جون نوكس فى وقت يأسه مرة عندما كان عبداً ، مرت سفينته على مرأى من « سانت اندروز » كان ضعيفاً لدرجة أنهم حملوه ليستطيع الرؤية . أروه برج الكنيسة وسألوه هل يعرفه فأجاب « نعم ، إنى أعرفه جيداً ، وإنى مقتنع تماماً ، أنه مهما بدا من ضعفى الحالى ؛ فلن أغادر هذه الحياة حتى يمجد لسانى اسمه المقدس فى ذات المكان » . ويصف مشاعره عام ١٥٥٤ عندما اضطر للهروب من البلد لينجو من انتقام مارى تيودور فيقول ، « عندما تتفق كل المفاهيم الطبيعية ، على أن قضيتى لا علاج لها . يبتغى الجسد الضعيف ، المنهك بالخوف المحطم بالألم ، خلاصاً ، حاقداً دائماً متراجعاً دائماً عن بذل وعد بالطاعة . أيها الإخوة المسيحيون ، إنى أكتب عن خبرة . . . إنى أعلم تبرمات و شكاوى

الجسد . إنى أعلم الغضب ، وسورة العنف ، والحقد التى تخالج الجسد ضد الله ، متشككة فى كل وعوده ، ومستعدة دائماً للافلات المستديم من يده فى أى لحظة لا يوجد غير الإيمان ليقف ضد هذه جميعاً » . يحتاج الجندى المسيحى إلى إيمان لا يتزعزع فى أحلك الساعات .

(ب) يجب أن يأخذ دفاع ضمير صالح . أو بقول أوضح ، يجب على الجندى المسيحى أن يحاول على الأقل المعيشة طبقاً لتعليمه شخصياً ومبادئه الخاصة . يجب أن يكون قادراً على القول : « حاولت دائماً أن أطبق فى حياتى ما أعظ به وأن أعيش بما أعلمه » . لا بد أن الفضيلة تهرول متباعدة من رسالة إنسان يبكته ضميره أثناء كلامه .

تعنيف قاس

ينتهى الجزء بتعنيف قاس موجه إلى عضوين من الكنيسة المسيحية أساءا إلى الكنيسة ، وأحزنا بولس ، وحطما سفينة حياتهما . يأتى ذكر هيمينايس مرة أخرى فى ٢ تيموثاوس ٢ : ١٧ ؛ أما الإسكندر فربما هو نفسه الذى يشار إليه فى ٢ تيموثاوس ٤ : ١٤ . كان لبولس ثلاث شكاوى ضد هذين الرجلين .

١ — رفضا مشورة الضمير . سمحا لرغباتهما وأغراضهما الشخصية أن تتكلم بأكثر قوة وإقناع عن صوت الله . جعلا إرادتهما ، لا إرادة الله المتحكمة فى حياتهما .

٢ — كان محتماً أن يسقطا فى أفعال شريرة . عندما هجرا الله ، تردت

الحياة فى الوحل والسفاهة . متى اختفى الله من الحياة ، اختفى معه الجمال وكل عذوبة فى الحياة .

٣ ـ اتخذا طريق التعليم الفاسد . مرة أخرى هذا أمر محتم : متى ما خطا الإنسان فى الطريق الخاطئ ، يكون أول رد فعل غريزى له هو إيجاد الأعذار وتبرير ما فعله . يأخذ عن التعاليم المسيحية ما يستطيع تحويره وتشويهه لتتمشى مع موقفه. من الصواب يصطنع حججاً ملتوية لتبرير الخطأ .يلتمس فى كلام المسيح أعذاراً يبرر بها طرق إبليس . فى اللحظة التى يرفض فيها الإنسان إطاعة صوت الضمير ، يتدهور سلوكه ، ويلتوى تفكيره :

لهذا يمضى بولس فى القول إنه «أسلمهما للشيطان» . ما معنى هذه الجملة الرهيبة ؟ لا نستطيع أن ندلى برأى قاطع ، ولكن يوجد احتمالات ثلاثة :

١ ـ ربما كان يدور بخلده الحرمان المتبع فى اليهودية . كان التقليد المتبع فى المجمع هو هذا ، إذا سلك شخص فى فعل الشر ، يوبخ أولا علناً . فاذا لم تجدى هذه الطريقة،يطرد من المجمع لمدة ثلاثين يوماً . فاذا أصر على غيه وعدم توبته ، يوضع تحت الحرمان ، أى يصبح شخصاً ملعوناً ، محروماً من مجتمع الناس ورفقة الله . فى مثل هذه الظروف يمكن أن يقال إن هذا الإنسان قد سلم إلى الشيطان .

٢ ـ ربما كان ما يقصده بولس هو أنه حرمهما من الكنيسة وأطلقهما ليعيشا دون قيد فى العالم . فى مجتمع وثنى كان من المحتم ظهور حاجز صعب العبور بين الكنيسة والعالم . الكنيسة أرض الله ؛ والعالم مملكة الشيطان ؛ إذا حرم الإنسان من الكنيسة فمعنى هذا تسليمه إلى تلك الأرض التى يملك زمامها

الشيطان . . أى أن معنى الجملة أن هذين الشخصين اللذين سببا المتاعب داخل الكنيسة قد تركا للعالم .

٣ ــ هناك تفسير ثالث هو أكثر الثلاثة احتمالا . اعتبر الشيطان المسئول عن آلام وعذاب البشر. كان هناك رجل فى الكنيسة الكورنثوسية متهم بخطية زواج المحرمات الرهيبة . وكان رأى بولس أن يسلم هذا الرجل إلى الشيطان « لا هلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب ، يسوع المسيح » . (١ كورنثوس ٥ : ٥) . والفكرة فى ذلك هو أن على الكنيسة أن تصلى لأجل تأديب بدنى يحيق بالرجل حتى يعود ، خلال آلامه الجسدية ، إلى حواسه العقلية. فى قصة أيوب كان الشيطان هو المتسبب فى توقيع عذاب الجسد على أيوب ٢ : ٦ ، ٧) . وفى العهد الجديد نفسه تطالعنا النهاية المرعبة لحنانيا وسفيره (أعمال ٥ : ٥ ، ١٠) والعمى الذى سقط على عليم الساحر لمقاومته للانجيل (أعمال ١٣ : ١١) . من المعقول جداً أن صلاة بولس هو أن يتعرض هذان الرجلان لعذاب بدنى ، يكون بالنسبة لهما تحذيراً وعقاباً .

وهذا هو الرأى الغالب ، لأن بولس لم يكن يرجو لهذين الرجلين الهلاك والضياع ، بل كان يود أن يؤدبا حتى يطردا الشر من طرقهما . لم يكن العقاب بالنسبة لبولس ــ وكما يجب أن يكون بالنسبة لنا ــ مجرد إشباع لرغبة انتقامية ، بل كان دائماً تأديباً علاجياً . لم يكن القصد منه الإيلام بقدر ما كان المرجو منه البرء والشفاء .

شمول الإنجيل

الأصحاح الثانى

١ فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُقَامَ طَلَبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ
وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لِأَجْلِ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ ٢ لِأَجْلِ ٱلْمُلُوكِ
وَجَمِيعِ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصَبٍ لِكَيْ نَقْضِيَ حَيٰوةً مُطْمَئِنَّةً
هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ . ٣ لأَنَّ هٰذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ
لدَى مُخَلِّصِنَا ٱللهِ ٤ ٱلَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ ٱلنَّاسِ يَخْلُصُونَ
وَإِلَى مَعْرِفَةِ ٱلْحَقِّ يُقْبِلُونَ. ٥ لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ
وَاحِدٌ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ ٱلإِنْسَانُ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ ٦ ٱلَّذِي
بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ ٱلْجَمِيعِ ٱلشَّهَادَةُ فِي أَوْقَاتِهَا
ٱلْخَاصَّةِ ٧ ٱلَّتِي جُعِلْتُ أَنَا لَهَا كَارِزاً وَرَسُولاً . ٱلْحَقَّ
أَقُولُ فِي ٱلْمَسِيحِ وَلاَ أَكْذِبُ . مُعَلِّماً لِلأُمَمِ فِي ٱلإِيمَانِ
وَٱلْحَقِّ .

(١ تيموثاوس ٢ : ١ – ٧)

قبل أن نبدأ دراسة هذا الجزء بالتفصيل ، يجب أن نلاحظ شيئاً واحداً يسطع خلال السطور كلها بطريقة واضحة لا تغيب عن أحد . لا يوجد إلا قليل من هذه الكتابات فى العهد الجديد التى تؤكد وتوضح شمول الإنجيل. الصلاة ترفع لأجل جميع الناس ؛ الله هو المخلص الذى يريد أن جميع الناس

يخلصون ؛ يسوع بذل نفسه فدية لأجل الجميع . أو كما يقول والتر لوك : « مشيئة الله للخلاص لا يعادلها فى الشمول إلا مشيئة فى الخلق » . هذا لحن يتكرر سماعه مرات ومرات خلال العهد الجديد . الله الذى صالح العالم لنفسه بيسوع المسيح (٢ كورنثوس ٥ : ١٨ ، ١٩) هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه (يوحنا ٣ : ١٦) . كان يسوع تام الثقة ، فى أنه متى رفع على الصليب ، سيجذب جميع الناس إليه ، إن عاجلا أو آجلا (يوحنا ١٢ : ٣٢) . فى تعليق أ. ف. براون على هذا الجزء يطلق عليه « ميثاق العمل المرسلى » ويقول إنه برهان كاف أن جميع الناس بامكانهم قبول الله . يحتمل أن يضيع الناس ، ولكن يمكن إيجادهم . يحتمل جهل الناس ولكن يمكن إخبارهم . يحتمل أن يكونوا خطاة ولكن فى الإمكان خلاصهم . يكتب جورج ويشارت ، الصوت السابق على جون نوكس ، فى ترجمته للاعتراف السويسرى الأول : « النهاية والقصد من الكتاب هو إعلان أن الله محب ودود للبشر ، وأنه أعلن هذه الرأفة بيسوع المسيح ابنه الوحيد ؛ هذه الرأفة التى تقبل بالإيمان » . ذلك إذا هو السبب لماذا يجب أن ترفع الصلاة لأجل الجميع . الله يريد جميع الناس ، وكذلك كنيسة الله يجب أن تريد جميع الناس .

١ — **يشمل الإنجيل المرتفع والذليل .** سواء الامبراطور فى جبروته أو العبد فى مسكنته ، الاثنين ضمتهما دعوة الإنجيل الشاملة . الفيلسوف فى حكمته والبسيط فى جهله ، كلاهما يحتاج للنعمة والحق التى يعطيها الإنجيل . بين دفتى الإنجيل تختفى الفوارق الطبقية . الملك والرعاع ، الغنى والفقير ، نبيل المحتد وأجير الأرض ، السيد والمسود . الجميع شملتهم ذراعا الإنجيل اللانهائية .

٢ — **يشمل الإنجيل الجيد والردئ .** هناك خطر غريب دخل الكنيسة فى الأزمنة الحديثة . أصبح مبدأ معترفاً به ، كما يبدو من كثرة حدوثه

وتكراره ، أن لا يسمح إلا للشخص المحترم بالدخول إلى الكنيسة ، أما الخطاة الذين يتطلعون إلى دخول أبوابها لا يحظون من الكنيسة إلا بنظرة شذرة جانبية . الحق يقال أصبح من أشق الأمور على الخاطئ أن يدخل إلى كنيسة حديثة دون أن يكون هدفاً للنظرات المرتابة أو المتسائلة أو الناقدة أو العدائية أحياناً ، وبدون أن يكون موضوعاً للهمس والنقد المفتوح ، للفضول وصدور الأحكام المختلفة ضده . ولكن العهد الجديد صريح العبارة فى أن الكنيسة توجد ، لا لتقوى الصالح فقط ، بل لترحب وتخلص الخاطئ أيضاً . اعتاد المرسل العظيم س. ت. استد C.T. Studd أن يكرر ثلاثة أسطر من الزجل :

« البعض يريد أن يحيا فى نطاق الكنيسة
ولكنى أريد أن أدير محلا للخلاص
ولو على بعد خطوة من الجحيم » .

يعتبر كاجاوا Kagawa واحداً من أعظم قديسى العصور الحديثة ، بل وكل العصور . اختار كاجاوا أفقر حوارى شنكاوا ليجد رجالا ونساء للمسيح . عاش هناك فى أقذر وأحط وأبشع بؤرة فى العالم . ويصف و. ج. سمارت الموقف : « كان جيرانه طغمة مختلطة من عاهرات غير مسجلات ، لصوص يتفاخرون بمقدرتهم على خداع كل بوليس المدينة ، قتلة لا يتورعون عن الإضافة إلى قائمة ضحاياهم ليرتفع مركزهم فى نظر حثالة القوم حولهم . وجميع الناس ، بدون استثناء ، سواء المريض ، أو ضعيف العقل أو المجرم ، كانوا يعيشون فى بؤس بشع ، فى شوارع زلقة من قذارة المتراكم عليها ، حيث تزحف الفيران من المجارى المفتوحة لتهلك . كانت رائحة العفن تزكم

الجو كله . فتاة معتوهة ، جارة لكاجاوا ، تجعل من ظهرها مرسماً وقحاً فاسقاً لتغرى ذوى الشهوة إلى عرينها . فى كل مكان كانت الأجساد البشرية تتعفن ويأكلها الزهرى » . أراد كاجاوا أناساً كهؤلاء ، وهكذا أيضاً يريد يسوع المسيح ، لأنه يريد جميع الناس ، الجيد والردئ على السواء .

٣ - يشمل الإنجيل المسيحى وغير المسيحى . الصلاة يجب أن ترفع لأجل جميع الناس . كان الأباطرة والحكام والرؤساء الذين تطالبنا هذه الرسالة بالصلاة لأجلهم غير مسيحيين : بل فى الحقيقة كانوا أعداء للكنيسة ؛ ورغم هذا كان المطلوب رفعهم إلى عرش النعمة بصلوات الكنيسة . لأنه بالنسبة للمسيحى الحقيقى لا يوجد شئ اسمه عدو فى جميع هذا العالم . لا يوجد أحد خارج عن مجال صلواته ، لأنه لا يوجد أحد يخرج عن نطاق محبة المسيح ، ولا يوجد أحد خارج عن نطاق أغراض الله ، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون .

طريقة الصلاة

فى هذا الجزء نجد أربع كلمات مختلفة عن الصلاة مجتمعة معاً . حقيقة لا يجب التمييز بينها بشدة ؛ ومع هذا عندما نمتحن كل منها على حدة ، نجد أن كل كلمة منها تخبرنا شيئاً عن طريقة الصلاة .

١ - أولها الكلمة التى ترجمناها طلبة . ليست كلمة دينية مطلقة ؛ فيمكن استعمالها عن طلبة تقدم إلى إنسان زميل أو إلى الله . ولكن الفكرة الأساسية هى الإحساس بالحاجة . لن يتقدم أحد بطلبته دون إحساسه بحاجة دفعته إلى تقديمها . والصلاة تبدأ باحساس بالحاجة . تبدأ بالاقتناع أننا لن

نقوى على الحياة بمفردنا . تبدأ بلمس عجزنا الشخصى . تبدأ بالإحساس بالضعف البشرى . هذا الإحساس بالضعف البشرى أساس كل تقرب بشرى نحو الله .

تبدأ الصلاة بالتعرف على ضعف البشرية .

٢ ـ الكلمة الثانية التى ترجمناها صلاة . والاختلاف الأساسى بين الطلبة والصلاة هو أن الطلبة يمكن أن توجه للانسان أو لله ، بينما الصلاة لا تستعمل قط إلا للتقرب من الله . هناك احتياجات معينة لا يحققها غير الله . وهناك احتياجات معينة لا يمكن أن نأتى بها إلا إليه . هناك قوة لا أحد غيره يستطيع أن يعطيها ؛ وهناك مغفرة لا يستطيع أن يمنحها سواه ؛ وهناك يقين لا ينساب إلا من عنده وحده فقط . من المحتمل جداً أن ضعفنا يطاردنا لأننا كثيراً ما ذهبنا باحتياجاتنا إلى المكان الخطأ .

٣ ـ الكلمة الثالثة هى التى ترجمناها ابتهال . ومن بين الكلمات الثلاث هذه أطرفهم فهى كلمة لها تاريخ شيق . هى اسم مشتق من الفعل الذى يعنى فى الأصل يقابل ، أو يقع مع شخص آخر ؛ ثم تطورت لتعنى يقوم بمحادثة متداخلة مع إنسان آخر ؛ ثم اتخذت معنى فنياً خاصاً ؛ فأصبحت تعنى يدخل إلى حضرة الملك ويقدم التماساً له . وصار لها المعنى الفنى للالتماس المرفوع إلى حاكم أو ملك . وهذا يخبرنا بالكثير عن الصلاة . يخبرنا أن الطريق إلى الله مفتوح أمامنا ؛ وأنه قد أتيحت لنا هذه الفرصة التى لاتقدر بثمن فرصة الحديث الدقيق الخاص مع الله ؛ وأن لنا الحق فى إحضار التماساتنا إلى من هو أعظم من ملك . المسيحى هو الشخص الذى نال حق رفع طلباته مباشرة إلى حضرة الله الملكية .

من المستحيل أن يكون التماسك أكبر من قدرة الملك .

٤ ـ الكلمة الرابعة هي التى ترجمناها شكر . الشكر جزء مكمل لاينفصل عن الصلاة . فالصلاة لا تعنى فقط طلب أشياء من الله ؛ ولكنها تعنى أيضاً شكر الله على عطاياه . لكثيرين منا ما الصلاة التى نصليها إلا تمرين على الشكوى ، بينما يجب أن تكون تمريناً على الشكر . اعتاد ابيكتيتس ، الذى لم يكن مسيحياً بل فيلسوفاً صوفياً ، أن يقول : « ماذا يستطيع إنسان ضئيل أعرج كبير السن مثلى أن يفعل خلاف رفع المديح والشكر لله ؟ » . نحن نملك الحق فى إحضار احتياجاتنا ورغباتنا وطلباتنا إلى الله ؛ ولكن علينا واجب رفع تشكراتنا باستمرار إليه .

الصلاة لمن لهم السلطان

هذا الجزء يوصى فى وضوح وجلاء بضرورة الصلاة لأجل الملوك والأباطرة وجميع من يتصدرون مناصب السلطة . كان هذا مبدأ أساسياً رئيسياً فى الصلاة المسيحية الجماعية . يحتمل أن الأباطرة كانوا قساة . ويحتمل أن من بيدهم السلطان كانوا يعتزمون إفناء المسيحيين . ولكن الكنيسة المسيحية لم تتوقف ، حتى فى أمر ساعات اضطهادها ، عن الصلاة لأجلهم .

من المدهش تتبع تصرفات الكنيسة الأولى خلال تاريخها كله فى تلك الأيام الحالكة ، وظلت الكنيسةتعتبر أحد واجباتها المطلقة أن تصلىللامبراطور وإلى ممثليه من الملوك والحكام . يقول بطرس : « خافوا الله ، أكرموا الملك » (١ بطرس ٢ : ١٧) ، كما يجب أن نتذكر أن هذا الملك لم يكن سوى الوحش القاسى نيرون . ويعد تيرتوليان أن صلاة المسيحى للامبراطور كانت

الأجل « عمر طويل ، حكم مضمون ، أمان البيت ، برلمان مخلص ، شعب بار ، وعالم فى سلام » . كتب يقول « نحن نصلى لحكامنا ، لأحوال العالم ، لأجل سلام كل الأشياء ، ولرجاء تأجيل النهاية » . وكتب أيضاً : « المسيحى لا يعادى أحداً ، وآخر الجميع الامبراطور ، لأننا نعلم أنه طالما تعين بأمر الله ، فمن الضرورى علينا أن نحبه ، ونوقره ، ونكرمه ، ونطلب سلامه ، مع سلام كل الامبراطورية الرومانية . لذلك نحن نضحى لأجل سلامة الامبراطور » . وفى رسالة إلى ديمتريانوس ، يتكلم عن الكنيسة المسيحية « كضحية مسترضية الله ليل نهار لأجل سلامك وأمانك » . فى عام ٣١١ ميلادية طلب الامبراطور جاليروس فعلياً صلوات المسيحيين ، ووعدهم بالرحمة والرفاهية لو صلوا للدولة . فكتب تاتيان : « هل يأمرنا الامبراطور بدفع الجزية ؟ نحن نقدمها عن طيب خاطر . هل يأمرنا الحاكم بعمل خدمة أو بعبودية ؟ نحن نعترف بعبوديتنا . ولكن الرجل يجب أن يكرم كما يليق برجل ، أما الله فله وحده التوقير » . . ويكتب ثيوفيليس من أنطاكية : « الإكرام الذى سأقدمه للامبراطور أعظم الكل ، لأنى لن أعبده ، بل سأصلى لأجله . لن أعبد إلا الإله الواحد الحق ، لأنى أعلم أن الامبراطور قد عين بواسطة . . . . هؤلاء الذين يعطون الامبراطور تكريماً حقيقياً هم الذين يميلون له ، والذين يطيعونه والذين يصلون لأجله » . وكتب جوستان مارتر « إننا نعبد الله وحده ، ولكن فى جميع الأشياء الأخرى نخدمك بسرور . معترفين بالملوك وحكام الناس ، مصلين أن يوجدوا ولهم المنطق الخالص مع هيبة ملكية » . . ولكن أعظم الصلوات للامبراطور جاءت فى رسالة كليمنت الرومانى الأولى إلى كنيسة كورنثوس والتى كتبت حوالى عام ٩٠ ميلادية بينما كانت وحشية الامبراطور ماثلة فى الأذهان . « أنت ، يارب ويا سيد قد أعطيت القائمين علينا وحكامنا قوة السلطان من سلطانك ومجدك الرائع

الذى لا يوصف ، حتى إذ نعلم نحن المجد والتكريم الذى أسبغته عليهم ، نقدم أنفسنا لهم راضين ، غير مقاومين إرادتك فى أى شئ . لهذا ، يارب ، نطلب أن تمنحهم صحة ، وسلاما ، وتوافقا ، واستقراراً ، حتى يتمكنوا من إدارة الحكومة التى أعطيتها لهم دون فشل . لأنك ، يا سيد السماء ، وملك الدهور ، قد أعطيت لأبناء الناس الكرامة والسلطان على جميع الأشياء التى فوق الأرض . وجه ، يا رب ، مشورتهم حسب ما يطيب ويحسن فى عينيك ، حتى متى استعملوا القوة التى وضعتها بين أيديهم فى سلام ورقة مع تقوى ، نالوا رضاك . أنت ، يا من وحدك قادر على هذه الأشياء ، وما يفوقها بكثير فى الخير لأجلنا ، نحمدك ونشكرك خلال الكاهن الأعظم وحافظ نفوسنا ، يسوع المسيح ، الذى له المجد والكرامة من الآن وإلى كل الدهور ، وإلى الأبد . آمين » . اعتبرت الكنيسة دائماً واجباً عليها أن تصلى لأجل الذين فى مراكز السلطة فى ممالك الأرض . وقد حملت الكنيسة حتى مبغضيها ومضطهديها إلى عرش النعمة بصلواتها المستديمة لهم .

عطايا الله

صلت الكنيسة لأجل أشياء معينة لمن فى مراكز السلطة .

١ ـ صلت الكنيسة لأجل « حياة هادئة مطمئنة » . كانت هذه صلاة لعصر سلام ، خال من الحروب ، خال من الثورات ، خال من كل ما يمكن أن يعكر سلام الحكم . هذه صلاة المواطن الصالح لأجل بلده .

٢ ـ ولكن الكنيسة صلت لما هو أفضل كثيراً من ذلك . صلت لأجل « حياة تصرف فى التقوى والوقار » . نجد هنا كلمتين عظيمتين تعتبر من

الخطوط الرئيسية فى الرسائل الرعوية . هما كلمتان تصفان ما يجب أن يتحلى به الحاكم ، وما يجب أن يصبو إليه كل مسيحى .

أولا ، هناك تقوى Eusbeia ، وهى واحدة من أعاظم الكلمات اليونانية التى لا توجد لها ترجمة دقيقة . تعنى الكلمة الوقار والتبجيل نحو الله والإنسان . تصف موقفاً عقلياً يحترم الإنسان ويكرم الله ويثق بذاته . عرفها ايزوبيوس بأنها « توقير للاله الواحد الأحد ، ونوع الحياة التى يود لنا أن نحياها » . بالنسبة لليونانيين ، كان سقراط النموذج العظيم للتقوى ، ويصف اكسينوفون سقراط كما يلى : « شديد الورع ،ملتهب الإيمان حتى أنه لا يخطو خطوة واحدة بعيداً عن إرادة السماء ؛ كثير العدل والاستقامة حتى أنه لم يتسبب قط فى إصابة تافهة لنفس حية ؛ ضابط للنفس معتدل الطبع ، حتى أنه لم يختر لنفسه الحلو بدل المر فى أى وقت من الأوقات ؛ شديد الحساسية عميق الحكمة حكيم التصرف حتى أنه لم يخطئ قط فى التمييز بين الأفضل والأسوأ ».هذه الكلمة «تقوى» قريبة المعنى جداً من الكلمة اللاتينية العظيمة الرومانية pietas . ويصف وارد فوللر الـ pietas : « رغم التجارب والضجيج ، فان الصفة التى يعرفها الرومان بـ pietas تسمو فوق انفعالات العواطف الشخصية ، والسهولة التى تغرى بكثرة التداول . إن pietas اينياس صارت إحساساً بالواجب نحو إرادة الآلهة ، ونحو أبيه وابنه وشعبه ؛ هذا الواجب لن يفارقه أبداً » . من الواضح أن Eusebeia كلمة شئ عظيم جداً . فهى لا يمكن أن تنسى التوقير الواجب نحو الله ؛ ولا حقوق الناس ؛ ولا الاحترام الواجب نحو الذات . فهى دائماً مدركة للواجب البشرى والإلهى . وتصف أخلاق الرجل الذى لا يمكن أن يخيب أمل الله ، أو الإنسان أو نفسه .

ثانياً ــ هناك وقار من اليونانية Semnotès ، هنا أيضاً نجد أنفسنا فى عالم الكلمات الغير قابلة للترجمة . الصفة المشتقة Semnos إحدى صفات الآلهة . يقول ر. س. ترنش إن الرجل الــ Semnos « ينبثق منه جمال وجلال ، لا تخلعهما عليه الأرض » . ويقول إنه شخص « مجرد مرآة يثير ويوحى بالوقار دون أن يطلبه » . كان أرسطو معلم اليونان الأخلاق العظيم . وكانت له طريقة فى وصف أى فضيلة كمتوسط بين حدين متباعدين . على أحد الجانبين يوجد حد الزيادة ، وعلى الجانب الآخر حد النقصان ، وبين الاثنين المتوسط ، الوسط السعيد الذى ترقد فيه الفضيلة وعلى هذا يعرف أرسطو كلمة الوقار بأنها المتوسط بين الضعة والغرور . ويمكن القول بأن الحياة كلها بالنسبة للرجل الوقور ما هى إلا عمل واحد متصل مستمر من العبادة ؛ أن الحياة كلها تصرف فى حضرة الله ؛ وهو يتحرك خلال العالم ، دون أن يحدث فيه تغييراً ، ولكن كما لو كان هذا العالم معبداً للاله الحى . هو لا ينسى قط قداسة الله أو جلال الإنسان . هو الشخص الذى يسلك صواباً نحو الله والإنسان .

هاتان صفتان عظيمتان ، صفتان ملكيتان يجدر بكل إنسان أن يرنو إليهما باشتهاء ويصلى دائماً لنوالها .

إله واحد ومخلص واحد

يختم بولس هذا الجزء بفقرة عن أعظم حقائق الإيمان المسيحى .

١ ــ هناك إله واحد . نحن لا نعيش فى عالم كالذى اختلقه الغنوسيون حيث يوجد إلهان متناحران دائماً . ونحن لا نعيش فى عالم كالذى اختلقه

الوثنيون حيث تظهر جحافل من الآلهة المتنافسة في حروب مستمرة فيما بينها . يقص علينا المرسلون أن أعظم اطمئنان تأتي به المسيحية للوثني هو الإيمان بالله واحد فقط . قبل ذلك ، كانوا يعيشون في عالم تسكنه مئات الآلهة ؛ ولم يكن بامكانهم أبداً أن يعرفوا متى أغفلوا تكريماً واجباً لإله ما فاستحقوا نقمته . لهذا عاشوا في رعب مستمر من الآلهة . إن اكتشافهم لإله واحد اسمه الآب وطبيعته المحبة حررهم من عبودية الخوف من الآلهة .

٢ — هناك وسيط واحد . حتى اليهود يمكنهم القول بوجود وسطاء كثيرون بين الله والإنسان . الوسيط هو من يقف بين طرفين (غالباً متنازعين) ويعمل واسطة بينهما أو يحاول جمعهما معاً . يمكن لليهود أن يقولوا إن الملائكة وسطاء ، جاء في كتاب دان « تقربوا من الله ، ومن الملاك الذي يتشفع لكم ، لأنه وسيط بين الله والإنسان » . أما اليونانيون فلديهم كل أنواع الوسطاء . قال بلوتارك إنها إهانة لله تصور أن الله ليس له أي ارتباط مباشر بالعالم ؛ تعامله مع العالم يتم عن طريق ملائكة وشياطين وأنصاف آلهة ، الذين كانوا يمثلون في الواقع ضباط اتصال بينه وبين العالم . إذاً في الفكر اليهودي أو اليوناني لم يكن هناك طريق مباشر بين الإنسان والله . ولكن ، في يسوع المسيح ، يجد المسيحي صلة مباشرة مع الله ، بدون عوائق .

بالإضافة ، هناك وسيط واحد . ويقص علينا أ. ف. براون أن الهندوس يجدون هذه الحقيقة صعبة التصديق جداً . يصعب عليهم تصديق أن الله لا يملك غير طريقة واحدة لخلاص جميع البشر . فيقولون « دينكم حسن لكم ، وديننا لنا » . ولكن إذا لم يكن هناك إله واحد ووسيط واحد لا يمكن أن يوجد شيء اسمه أخوة الإنسان . إذا كان هناك عديد من الآلهة وعديد من الوسطاء ، لكان معنى هذا وجود عديد من الآلهة وعديد من الوسطاء بجميعها

فى تنافس للفوز باخلاص وولاء ومحبة الناس . ويصبح الدين حينذاك سبباً للتفرقة بين الناس بدلا من توحيد صفوفهم . فلأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد أمكن للناس أن يكونوا أخوة بعضهم البعض .

ثم يمضى بولس فيدعو يسوع الذى بذل نفسه فدية للجميع. ومعنى هذا ببساطة أن الله تكلف فى رد الناس إليه هذا الثمن الباهظ ، حياة وموت ابنه : يحكى عن رجل أنه فقد إبناً فى الحرب ، وكان رجلا دنيوياً عاش حياة لاهية عابثة دون أن يعرف له إلهاً ؛ ولكن موت ابنه أعاد إليه صوابه ، وأتى به وجهاً لوجه مع الله فى موقف لم يمر به من قبل . تغير الرجل وأصبح إنساناً آخر . وفى يوم من الأيام كان يقف بجوار نصب الحرب التذكارى فى بلدته ، شاخصاً إلى اسم ابنه المنقوش عليه . وفى منتهى السرعة تمتم قائلا : « أعتقد أنه كان عليه أن ينزل إلى أسفل ليرفعنى أنا إلى أعلى » وهذا هو ما فعله يسوع بالضبط ؛ فقد تكلف الأمر حياة وموت وآلام وفداء يسوع المسيح حتى يعرف الناس محبة الله وحتى يعود الناس إلى الله .

ثم ينتقل بولس إلى الكلام عن نفسه والوظائف الأربع التى يشغلها .

١ ـــ هو كارز (أو منبئ) بقصة يسوع المسيح . الكارز هو من يعلن الحق . الكارز هو من يعطى تصريحاً ويقول « هذا حق » . الكارز هو من يأتى باعلان ليس صادراً منه بل آتياً من الملك .

٢ ـــ هو شاهد لقصة المسيح . الشاهد هو من يقول : « هذا حق ، إنى أعلمه » . الشاهد هو من لم يكتف بالقول إن « هذا حق » بل ويضيف إليه « وأنه يعمل فعلا » والشاهد هو من لم يكتف بقصة يسوع بل ويقص أيضاً ما فعله يسوع له شخصياً .

٣ ــ وهو رسول . الرسول هو من كان واجبه تقديم وتمثيل بلده فى أرض أجنبية . ورسول فى المعنى المسيحى هو إذا من قدم وأوصى بقصة يسوع لآخرين . الرسول هو من رغب فى نقل القصة إلى آخرين ، فيأخذون منها غذاء بقدر ما أخذ منها هو شخصياً .

٤ ــ هو معلم . الكارز هو من أعلن الحقائق ؛ والشاهد هو من أعلن قوة الحقائق ؛ والرسول هو من قدم وأوصى بالحقائق ؛ أما المعلم فهو من قاد الرجال إلى معانى الحقائق . ليس كافياً أن نعلم أن المسيح عاش ومات ؛ بل يجب أن نستخرج من هذه الحياة وهذا الموت معانيهما . للرجل رأس وقلب ؛ له عقل وعواطف ، له ذكاء وأحاسيس ، لا يكف أن يحس بالإعجاب نحو قصة المسيح ، بل عليه أن يستخلص منها حياة لنفسه وللباقين .

٨ فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ ٱلرِّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ رَافِعِينَ
أَيَادِيَ طَاهِرَةً بِدُونِ غَضَبٍ وَلاَ جِدَالٍ . ٩ وَكَذٰلِكَ
أَنَّ ٱلنِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ ٱلْحِشْمَةِ مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ
لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ ٱلثَّمَنِ ١٠
بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى ٱللهِ بِأَعْمَالٍ
صَالِحَةٍ .١١ لِتَتَعَلَّمِ ٱلْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ ١٢.
وَلٰكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى ٱلرَّجُلِ
بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ .١٣ لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ .١٤
وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ لٰكِنَّ ٱلْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي ٱلتَّعَدِّي.١٥
وَلٰكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ ٱلأَوْلاَدِ إِنْ ثَبَتْنَ فِي ٱلإِيمَانِ
وَٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْقَدَاسَةِ مَعَ ٱلتَّعَقُّلِ .

١ تيموثاوس ٢ : ٨ – ١٥

أخذت الكنيسة الأولى الطريقة اليهودية فى الصلاة . كان اليهودى يصلى واقفاً ، ويداه ممدودتان وكفاه متجهتان إلى أعلا . ثم جاء ترتليان فيما بعد ليقول إن طريقة الصلاة هذه تصور وضع المسيح على الصليب .

كان اليهود يعلمون جيداً عن العوائق التى تقف بين صلاة الإنسان والله . سمع إشعياء الله يكلم الشعب : « فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم ، وإن كثرتم الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملآنة دماً » . (إشعياء ١ : ١٥) . المطلوب أشياء معينة .

١ — من يصلى يرفع أيدى طاهرة . يجب أن يبسط لله يدين لم تمسكا أو تلمسا أشياء محرمة . لا يعنى هذا مطلقاً أن الخاطئ محروم من الله ؛ ولكنها تعنى أنه لا جدية فى صلاة يرفعها رجل ثم يخرج خارجاً ليدنس يديه بأشياء محرمة ، كما لو كان لم يصل مطلقاً . لا ينطبق هذا على إنسان عاجز واقع فى قبضة خطية ما أو عبد لشهوة أو عادة معينة ، محاولا فى يأس الفكاك منها ، مدركاً فى مرارة فشله المتكرر . بل أن الوصية للشخص الذى يرفع صلاته كروتين تعود عليه ، الذى يصلى ثم يخرج إلى العالم وإلى حياته كأن شيئاً لم يحدث .

٢ — من يصلى لا يجب أن يضمر فى قلبه غضباً . قيل إن « المغفرة لا تنقسم » المغفرة البشرية والإلهية يمضيان يداً فى يد . مرات ومرات يؤكد يسوع الحقيقة أنه لا رجاء لنوال مغفرة الله طالما نضمر الكراهية والعداوة لزملائنا « فان قدمت قربانك إلى المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك ، وحينئذ تعال وقدم قربانك » (متى ٥ : ٢٣ ، ٢٤) . « وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (متى ٦ : ١٥) . ويقص يسوع قصة ما حدث للخادم القاسى القلب الذى لم يصفح ، فلم يجد صفحاً هو نفسه ، ويختمها هكذا : « وهكذا أبى السماوى يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (متى ١٨ : ٣٥) . لكى يغفر لنا ، لا بد أن

تكون غافرين . وقد أوجز ، أقدم كتاب مسيحى عن العبادة العامة ويرجع تاريخه إلى عام ١٠٠ ميلادية ، فذكر : « لا تدع أحداً فى خصام مع جاره يأتى إلينا ، حتى يصطلحا » . المرارة فى قلب إنسان عائق يمنع وصول صلواته لله .

٣ — من يصلى لا يجب أن يحتفظ بشكوك فى عقله . هذه الجملة لها معنيين والكلمة المستعملة يمكن أن تعنى جدال أو شك . لو أخذناها بمعنى ، جدال فسيتكرر ببساطة ما سبق أن ذكر . ستعاد الحقيقة أن المرارة ، والخصام ، والجدال الحاد ، والمناقشات المسمومة ما هى إلا معوقات للصلاة . من الأفضل إذا أخذ المعنى الثانى وهو الشك . قبل أن تستجاب الصلاة يجب أن يكون هناك إيمان أن الله سيستجيب . إذا صلى رجل فى يأس وتشاؤم ، إذا صلى وهو لا يؤمن أن صلاته لها أى فائدة ، فالمؤكد أن صلاته ستسقط قبل أن يتاح لها صعود . قبل أن يشفى الرجل ، يجب أن يثق أنه يمكن شفاؤه ؛ وقبل أن يتمكن الشخص من التعلق بنعمة الله ، يجب أن يؤمن أولا بنعمة الله . يجب أن نأخذ صلواتنا إلى الله فى كامل الثقة أن الله هو الإله الذى يستمع ويستجيب للصلاة .

النساء فى الكنيسة

الفقرة الثانية من هذا الجزء تعالج مركز النساء فى الكنيسة .

لا يمكن قراءة هذا الجزء دون معرفة التاريخ الذى أحاط به ، فهو وليد الظروف التى كتبت فيها . وهو مكتوب فى ظل تاريخ مزدوج .

١ — كتب فى ظل تاريخ يهودى . فى وجهة النظر اليهودية الرسمية ،

كانت المرأة فى مستوى دنىء . حقيقة لم تنل المرأة فى شئون العائلة والمنزل مكانة مثل تلك التى حصلت عليها فى الدولة اليهودية ؛ ولكن مركز المرأة رسمياً ظل فى الحضيض . لم يعتبر القانون اليهودى المرأة شخص له كيان ، بل شيء . كانت بكل ما لها . تحت إمرة أبيها أو زوجها . كانت ممنوعة من دراسة الناموس ؛ وتعليم المرأة فى الناموس كالقاء اللآلئ أمام الخنازير . لم يكن للنساء أى دور فى خدمة المجمع ؛ بل كن يحجزون فى قسم خاص بالمجمع ، أو فى ال gallery ، حيث لا يشاهدون ، ولا يسمح لهن بممارسة أى خدمة . يأتى الرجل إلى المجمع ليتعلم ؛ ولكن ، على أكثر تقدير ، تأتى المرأة للستمع . فى المجمع ، تقرأ الكتابات المقدسة بواسطة أعضاء من المجتمعين ، ولكن لا يسمح للنساء بالقراءة ، لئلا يقلل هذا من «كرامة المجمع» . وكان محرماً بتاتاً على المرأة أن تدرس فى مدرسة ؛ حتى ولو كان هذا لأصغر الأطفال . وكانت المرأة معفاة من طلبات الناموس المعروفة. فلم يكن محتما عليها حضور الاحتفالات المقدسة والأعياد . احتسب النساء ، والعبيد والأطفال فى طبقة واحدة . فى الصلاة اليهودية الصباحية ، يشكر الرجل الله أن الله لم يجعله « أممياً ، أو عبداً أو امرأة » . فى كتاب « أقوال الآباء » يذكر المعلم جوزيه بن جوهانان : « ليكن بيتك مفتوحاً ، وليكن الفقراء أهلك وعشيرتك ، ولا تتحادث كثيراً مع امرأة ؛ وكان يقصد بهذا زوجته ، ويقل الحديث كثيراً إذا كانت المرأة زوجة آخر . لهذا قال الحكماء : من تكلم كثيراً مع امرأة ، يجلب الشر على نفسه ، ويتوقف عن عمل الناموس ، وأخيراً يصل إلى جهنم » . والمعلم الأصيل لا يسلم على امرأة فى الشارع ، حتى لو كانت زوجته أو ابنته أو أمه أو أخته . وقيل عن النساء : « عملها أن ترسل أطفالها إلى المجمع ؛ الاهتمام بالشئون المنزلية ؛ تترك زوجها حراً لكى يدرس فى

المدارس ؛ وتدبر له البيت حتى يعود » . يجب أن نذكر أنه من مثل هذه البيئة اليهودية نشأت الكنيسة .

٢ ــ كتب فى ظل تاريخ يونانى . المنشأ اليونانى ضاعف من صعوبة الأشياء . كان مكان المرأة فى الدين اليونانى منخفضاً . ضم معبد أفروديت فى كورنثوس ١٠٠٠ كاهنة كن عاهرات مقدسات يعرضن بضاعتهن كل مساء فى شوارع المدينة . وضم معبد ديانا فى أفسس مئات من الكاهنات وكانت وظيفتهن مماثلة . كانت المرأة اليونانية المحترمة تحيا حياة محدودة تماماً . تعيش داخل جناحها الذى لا يدخله إلا زوجها . لم تكن تظهر حتى لتنال الطعام . ولا يمكن أن تخرج بمفردها إلى الشارع ؛ ولا يمكن أن تذهب إلى اجتماع عام ، أو تشارك بكلام أو عمل . والحقيقة هى أنه لو كانت النساء المسيحيات فى مدينة يونانية قد شاركت بعمل فعلى فى نشاطات الكنيسة من تعليم ووعظ ، لكان من المحتم وصم الكنيسة بأنها مركز للنساء الخليعات الفاسدات .لذلك لم يكن ممكناً فى أى مجتمع يونانى وضع تنظيمات غير الموجودة فعلا .

وفوق هذا ، تواجدت نساء فى المجتمع اليونانى ، لم يكن اهتمام حياتهن منحصراً إلا فى اقتناء الملابس الفاخرة وتضفير الشعر . ومن روما ، يقص علينا بليني Pliny أن عروساً ، لوليا بولينا بالاسم ، تكلف فستان زفافها ما قيمته حالياً ٤٣٢,٠٠٠ دولار . بلغت محبة الملبس ومحبة العرض ، ومحبة الحلى بين بعض نساء اليونان والرومان درجة كانت تصدم اليونانيين والرومان أنفسهم . دعيت أديان اليونان العظيمة ديانة الأسرار ، وهى تتضمن ، على وجه الدقة ، نفس الأنظمة عن الملابس . هناك حفرية تقرأ كالتالى : « المرأة المكرسة لا تقتنى حلياً ذهبية ، أو أحمر شفاه ، أو بودرة للوجه ، أو عصابة

للرأس ، أو شعراً مضفراً ، أو أحذية إلا ما كان مصنوعاً من اللباد أو جلود حيوانات القرابين » . لم تضع الكنيسة المسيحية هذه الأنظمة على أنها أنظمة دائمة ، ولكنها وجدتها ضرورية لتستطيع الكنيسة أن تتعايش مع الظروف التي وجدت فيها .

على أي حال هناك الكثير ضد المرأة . مما جاء في القصة القديمة فالمرأة خلقت بعد الرجل ، وأن المرأة هي التي سقطت تحت إغراء الحية ؛ ولكنه حقيقي أيضاً أن مريم الناصرية حملت وربت الطفل يسوع ؛ وأن مريم المجدلية كانت أول من رأى رب المجد المقام ؛ وبين جميع التلاميذ لم يقف عند الصليب إلا أربع نسوة . كانت بريسكيلا مع زوجها أكيلا معلماً له وزنه في الكنيسة الأولى ، معلماً قاد أبوللوس إلى معرفة الحق (أعمال ١٨ : ٢٦) . أفوديه وسنتيخي ، رغم خصامهما ، جاهدتا في الإنجيل (فيلبي ٤ : ٢ و٣) . وكان للانجيلي فيليب أربع بنات كن أيضاً نبيات (أعمال ٢١ : ٩) . من حق المتقدمات في السن أن يعلمن (تيطس ٢ : ٣) . وكان بولس يحتفظ للوثيس وأفنيكي بأكرم مقام (٢ تيموثاوس ١ : ٥) ؛ وهناك كثير من أسماء النساء المكرمات في رومية ١٦ . كل ما جاء في هذا الإصحاح إنما هي تعليمات وقتية وضعت لمواجهة موقفاً معيناً . إذا أردنا أن نعرف رأى بولس الحقيقي الدائم في هذا الأمر ، نجده في غلاطية ٣ : ٢٨ : « ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » . كل اختلافات المكان والكرامة والمركز والوظيفة داخل الكنيسة تزول وتختفي في المسيح .

ورغم هذا ، فان هذا الجزء يختم بحق ثابت . فيقول إن النساء سيخلصن بولادة الأولاد . هناك احتمال معنيين هنا . احتمال ضعيف أن في هذه العبارة

إشارة إلى الحقيقة وهى أن مريم ، وهى امرأة ، كانت أم يسوع . وربما كان هذا يعنى أن النساء سيخلصن ، كما سيخلص جميع الناس ، بهذا العمل الأسمى من « ولادة الأولاد » والذى جاء به ابن الله إلى العالم . ولكن المعنى الأبسط لهذه الجملة أكثر احتمالا ، وهذا المعنى هو أن النساء سيجدن حياة وخلاصاً ، ليس فى حضور اجتماعات ، أو فى مخاطبة جماهير ، بل فى الأمومة التى هى تاجهن . فالمرأة ملكة داخل بيتها .

لا يجب أن نأخذ هذا الجزء على أنه عائق ضد أعمال وخدمة النساء داخل الكنيسة ؛ بل يجب أن نقرأه فى ضوء تاريخه اليهودى وفى ضوء الموقف فى مدينة يونانية . كما يجب أن ننظر وجهة نظر بولس الدائمة التى تخبرنا أن كل الاختلافات قد زالت ، وأن الرجال والنساء ، العبيد والأحرار ، اليهود والأمميين ، الجميع واحد لهم نفس الحقوق فى خدمة المسيح .

ٱلْأَصْحَاحُ الثالثُ

قادة الكنيسة

١ صَادِقَةٌ هِيَ ٱلْكَلِمَةُ إِنِ ٱبْتَغَى أَحَدٌ ٱلْأُسْقُفِيَّةَ
فَيَشْتَهِي عَمَلاً صَالِحاً . ٢ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلْأُسْقُفُ
بِلاَ لَوْمٍ بَعْلَ ٱمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ صَاحِياً عَاقِلاً مُحْتَشِماً مُضِيفاً
لِلْغُرَبَاءِ صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ .٣ غَيْرَ مُدْمِنِ ٱلْخَمْرِ وَلاَ ضَرَّابٍ
وَلاَ طَامِعٍ بِٱلرِّبْحِ ٱلْقَبِيحِ بَلْ حَلِيماً غَيْرَ مُخَاصِمٍ وَلاَ مُحِبٍّ
لِلْمَالِ ٤. يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَناً لَهُ أَوْلاَدٌ فِي ٱلْخضوعِ بِكُلِّ
وَقَارٍ . ٥ وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ
فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ ٱللهِ . ٦ غَيْرَ حَدِيثِ ٱلْإِيمَانِ لِئَلاَّ
يَتَصَلَّفَ فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ . ٧ وَيَجِبُ أَيْضاً أَنْ
تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ لِئَلاَّ
يَسْقُطَ فِي تَعْيِيرٍ وَفَخِّ إِبْلِيسَ .

١ تيموثاوس ٣ : ١ — ٧

هذا الجزء هام جداً من ناحية إدارة الكنيسة ، فهو يتعلق بالرجل الذى يدعوه الكتاب الأسقف Bishop .

جاء بالعهد الجديد كلمتان تشرحان صفات حاملى الوظائف الرئيسية

بالكنيسة ، هؤلاء الذين تواجدوا فى كل اجتماع للكنيسة ، والذين كان لإدارتهم وتصرفاتهم كان الفضل فى نجاح الاجتماعات أو فشلها .

١ ــ هناك الشيخ (elder, presbuteros) . المشيخة هى أقدم الوظائف داخل الكنيسة . كان لليهود مشايخهم ، ويعود تاريخهم إلى المناسبة التى عين موسى على أثرها سبعين رجلا لمساعدته فى حكم ورعاية الشعب أثناء تجوالهم بالبرية (عدد ١١ : ١٦) كان لكل مجمع شيوخه ، وكان هؤلاء الشيوخ القادة الحقيقيين للمجتمع اليهودى . ترأسوا العبادة فى المجمع ؛ وتولوا توجيه التأديب والتعنيف حيثما وجد هذا ضرورياً ؛ فضوا المنازعات والمشاحنات والأحوال التى احتاجت لمحاكم فى البلاد الأخرى . كان للشيوخ احترام خاص بين اليهود ، وقد باشروا سلطة أبوية على الأمور الروحية والمادية فى المجتمع اليهودى . ولكن كانت هناك شعوب كثيرة بخلاف اليهود تتبع نظام المشيخة . فكان للاسبرطيين مجلس حاكم اسمه gerousia ويعنى مجلس الشيوخ .

دعى برلمان روما مجلس الشيوخ the Senate ، التى تأتى من senex وتعنى رجلا كبير السن . وفى انجلترا كان الرجال الذين يباشرون شئون المجتمع يدعون aldermen ، وتعنى الشيوخ . وفى مصر ، لكل قرية مصرية مشايخها الذين يتولون شئونها .

للشيوخ تاريخ طويل ، ولهم مكان فى حياة كل مجتمع تقريباً .

٢ ــ ولكن أحياناً يستعمل العهد الجديد كلمة أخرى ؛ يستعمل كلمة episkopos ، والتى ترجمت إلى أسقف bishop ، والتى تعنى حرفياً الناظر أو المشرف . لهذه الكلمة أيضاً تاريخ طويل مشرف . فى الترجمة السبعينية للتوراة ، تستعمل الكلمة عن رؤساء العمل الذين كانوا يباشرون

مشروعات الأعمال والمبانى العامة (١ أيام ٣٤ : ١٧) . واستعملها اليونانيون عن الرجال الذين أرسلوا من العاصمة لتنظيم الشئون فى مستعمرة منشأة حديثاً فى مكان بعيد . واستعملت الكلمة أيضاً عن أولئك الذين ندعوهم الآن مجلس المدينة الذين يقومون بالإشراف على شئون المدينة . واستعملها الرومان عن الموظفين العموميين المعينين للاشراف على مبيعات الطعام داخل مدينة روما . واستعملت أيضاً عن مندوبى الملك لمراقبة تنفيذ الأحكام والقوانين والتشريعات التى يصدرها الملك . هذه الكلمة episkopos كانت دائماً تحمل معنيين . أولا ، كانت تعنى نظارة على منطقة معنية أو على دائرة عمل ما ؛ ثانياً ، كانت تعنى مسئولية أمام جهة أو سلطة أعلى . فهى إذا كلمة ذات تاريخ مشرف ومسئول .

والسؤال الهام هنا هو : ماذا كانت العلاقة فى الكنيسة الأولى بين الشيخ وبين الناظر ، الرجل الذى يلقبه الكتاب بالأسقف والذى دعوناه بالناظر ؟

يتجه تفكير كل الباحثين العصريين إلى أنه فى الكنيسة الأولى كان الشيخ والأسقف (أو الناظر) شخصاً واحداً . وتعليل ذلك ما يأتى :

(ا) كان الشيوخ يعينون فى كل مكان . بعد رحلتهما الإرسالية الأولى ، عين بولس وبرنابا شيوخاً فى جميع الكنائس التى أنشأها (أعمال ١٤ : ٢٣) . يوجه تيطس إلى تعيين وتنصيب شيوخ فى كل مدن كريت (تيطس ١ : ٥)

(ب) صفات الشيوخ والأساقفة كانت متطابقة فى جميع الأغراض . (١ تيموثاوس ٣ : ٢ — ٧ ؛ تيطس ١ : ٦ — ٩)

(جـ) فى بداية الرسالة إلى أهل فيلبى ، يرسل بولس تحياته إلى الأساقفة وإلى الشمامسة (فيلبى ١ : ١) . ومن المستحيل أن لا يرسل

بولس تحيات مطلقاً إلى الشيوخ ، الذين ، كما رأينا ، كانوا فى كنيسة ؛ لهذا فان الأساقفة والشيوخ لا بد كانوا واحداً ، نفس المجموعة من الناس .

(د) فى رحلة بولس الأخيرة إلى أورشليم ، أرسل إلى الشيوخ من أفسس لمقابلته فى ميليتس (أعمال ٢٠: ١٧) ، وفى سياق الحديث معهم قال إن الله جعلهم نظاراً ، وأساقفة لرعاية كنيسة الله ، (أعمال ٢٠ : ٢٨) . أى أن بولس خاطب نفس المجموعة من الرجال ، أولا كشيوخ وثانياً كأساقفة أو نظار .

(ه) عندما كتب بطرس إلى شعبه خاطبهم هكذا — من شيخ إلى شيوخ — (١ بطرس ٥ : ١) ، ثم مضى ليقول أن عملهم هو رعاية شعب الله (١ بطرس ٥ : ٢) ، والكلمة التى يستعملها لرعاية هى الفعل episkopein التى جاءت منها كلمة episkopos الأسقف . أى أن جميع الشواهد تشير إلى أنه فى زمن العهد الجديد كان الشيخ والأسقف واحداً بل نفس الشخص .

هذا يفسح المجال لسؤالين . أولا ، إذا كانوا واحداً ، لماذا استعمل اسمين لهما ؟ والجواب أن كلمة شيخ كانت تصف واقع ، وطبيعة هؤلاء الرجال . كانوا كبار السن ، أكبر وأكثر الأعضاء احتراماً بين الجميع . أما كلمة أسقف ، فهى تصف الوظيفة ونوع العمل ، وهو النظارة والإشراف على حياة وعمل الكنيسة . كلمة تصف الرجل ، والكلمة الثانية تصف عمل الرجل .

السؤال الثانى هو : إذا كان الشيخ والأسقف أصلا شخصاً واحداً ، كيف صار الأسقف إلى ما صار عليه ؟ والجواب على ذلك سهل . من المحتم

أن مجموعة الشيوخ نفسها كانت ستنتهى إلى إيجاد قائد لها . شخص ليقود ويترأس كان ضرورة من المحتم أن تظهر . وكلما ازداد تنظيم الكنيسة ، كلما ازدادت الحاجة إلى مثل هذا الشخص وكان لا بد من أن يبرز . وهكذا قدر للشيخ الذى برز فى صف القيادة أن يدعى ناظراً للكنيسة أو أسقفاً . ولكن الملاحظ أنه كان قائداً بين زملاء يتساوون معه . فى الحقيقة كان شيخاً اجتمعت الظروف والمزايا الشخصية أن تجعل منه قائداً لعمل الكنيسة .

وسنرى أن ترجمة episkopos إلى أسقف فى زمن العهد الجديد يعطى للكلمة الآن مفهوماً خاطئاً . من الأفضل ترجمتها إلى **ناظر أو مشرف** .

تعيين وواجبات قادة الكنيسة

الطريف فى هذا الجزء أيضاً أنه يخبرنا عن تعيين قادة الكنيسة وواجبات وظروف خدمتهم .

١ ـ أفرز القادة رسمياً وعلنياً لأجل هذه الوظيفة كان على تيطس أن يمسح شيوخ فى كل كنيسة (تيطس ١ : ٥) . فالموظف فى الكنيسة لم يكن يعين فى الخفاء ، بل يمسح ويفرز للوظيفة أمام جميع الناس . يعرف الرجال وضعه ، وهو يمثل الكنيسة أمامهم ، وتسلم إليه مسئوليات علناً .

٢ ـ كان على القادة تمضية فترة تجريبية اختبارية . (١ تيموثاوس ٣ : ١٠) . لا يبنى أحد بناء أو يصمم ما كينة من معدن لم يفحص ويختبر من قبل . ويحسن بالكنيسة أن تكون أكثر تدقيقاً فى اختبار قادتها .

٣ ـ كان يدفع للقادة قيمة العمل الذى يؤدونه . الفاعل مستحق أجرته (١ تيموثاوس ٥ : ١٨) . لا يعمل القائد المسيحى لأجل الأجر ، ولكنه

محتاج أن يعيش ، وواجب الكنيسة التى اختارته للعمل فيها أن تعطيه ما يسد عوزه ومعيشته .

(٤) كان القادة معرضين للرقابة (١ تيموثاوس ٥ : ١٩ — ٢٢) .
كان لحامل الوظيفة فى الكنيسة الأولى عملين : فهو القائد والمشرف على الكنيسة ، ولكنه كان أيضاً خادم وأمين الكنيسة . كان مسئولا عن وكالة . ولا يحق لأى قائد مسيحى أن يتخذ موقف عدم المسئولية أمام أحد . فهو مسئول أمام الله ، وهو مسئول أمام الشعب الذى أعطاه له الله لكى يرعاه .

(٥) كان على القادة واجب رياسة الاجتماع المسيحى وتعليم الشعب .
الإدارة والتعليم . (١ تيموثاوس ٥ : ١٧) . ربما كان أحد مآسى الكنيسة الحديثة أن العمل الإدارى طغى كلية على العمل التعليمى فى واجبات حامل الوظيفة . وعلى سبيل المثال ، من الأشياء المؤسفة أن نرى حفنة قليلة من الشيوخ مشغولين جدياً فى العمل التعليمى لمدارس الأحد .

٦ — إحدى النصائح الطريفة أن لا يكون حامل الوظيفة حديث الإيمان ويعطى سببان لهذا . الأول واضح تماماً وهو « لئلا يتعالى باحساسه بأهميته » والسبب الثانى ليس فى مثل هذا الوضوح ، إنه كما جاء فى الكتاب ، « لكى لا يسقط فى دينونة إبليس » . هناك ثلاثة إيضاحات محتملة لهذه الجملةالغريبة.

(ا) كانت الكبرياء سبب سقوط إبليس . كبرياء إبليس أثارته ضد الله ، وبالتالى إلى طرده من السماء . ربما كان هذا ببساطة تحذيراً ثانياً ضد الكبرياء .

(ب) وربما عنت الجملة ، أن حديث الإيمان إذا سقط فى خطية الكبرياء ، أتاح للشيطان فرصة توجيه الاتهام إليه . حامل الوظيفة

المغرور يعطى للشيطان فرصة إثارة منتقدى الكنيسة بقوله : « انظروا ، هذا هو إنسانكم المسيحى ! هذا هو عضو الكنيسة ! هذا هو نوع حامل الوظيفة ! » حامل الوظيفة المتهم بالكبرياء يعطى فرصة للشيطان أن يهمس باتهاماته ضد الكنيسة فى آذان أولئك الذين ينتظرون أى عصاة يضربون بها الكنيسة .

(ح) كلمة diabolos لها معنيان . تعنى الشيطان وهذا هو المعنى الذى اتبعه الكتاب (الترجمة المعتمدة) . ولكنها أيضاً تعنى المغتاب . وهى نفس الكلمة التى استعملت لتفيد معنى المغتاب فى آية ١١ ، فى الجملة التى تحرم على النساء أن يكن ثالبات . إذاً ربما كان معنى هذه الجملة هو أن حديث الإيمان المعين فى الوظيفة والذى انتفخت أوداجه غروراً ، يعطى فرصة للمغتابين أن ينهشوا فى سيرة الكنيسة . فسلوكه الغير لائق وقود يشعله أعداء الكنيسة ومنتقديها . مهما كان المعنى الذى نرتضيه ، فان النقطة الأساسية هى أن موظف الكنيسة المتكبر المغرور حمل ثقيل على الكنيسة .

ولكن مسئولية حامل الوظيفة فى الكنيسة لم تكن فى رأى الكنيسة الأولى محصورة فقط داخل الكنيسة بل كان له منطقتا نفوذ أخرى ، وإذا فشل فيها . حق عليه الفشل فى الكنيسة أيضاً .

١ ـ أول منطقة نفوذ هى بيته . إذا لم يعرف الرجل كيف يدبر بيته ، كيف يتسنى له أن يدبر شئون رعية الكنيسة ؟ (١ تيموثاوس ٣ : ٥) . الرجل الذى لم ينجح فى تهيئة بيت مسيحى من الصعب توقع نجاحه فى تهيئة كنيسة مسيحية . الرجل الذى فشل فى تعليم وتوجيه عائلته وأفراد أسرته ،

كيف يصلح أن يعلم ويرشد عائلة الكنيسة ؟ عمل الكنيسة ليس فضيلة أو فضلا يزاد عليه ، إذا كان فى تأديته قد أهمل بيته وعائلته . العمل المسيحى كعمل الخير ، يبدأ من البيئة .

٢ — له منطقة نفوذ ثانية فى العالم . يجب أن يكون حاصل على « شهادة حسنة من أولئك الذين فى خارج الكنيسة » (١ تيموثاوس ٣ : ٧) . يجب أن يكون رجلا كسب احترام زملائه فى أعمال الحياة اليومية المعتادة . وفى ميادين العمل . لم يسئ إلى الكنيسة قدر أولئك العاملين الظاهرين فى الكنيسة بينما حياتهم الاجتماعية وفى ميادين العمل تكذب الإيمان الذى يتشدقون به والمبادئ التى ينادون بها . إن حامل الوظيفة المسيحى يجب أن يكون ، أولا وقبل كل شئ ، إنساناً صالحاً .

صفات القائد المسيحى

رأينا كيف يجب على القائد المسيحى أن يحظى باحترام الجميع . ويوجد فى هذا الجزء متتابعة طويلة من الألفاظ والجمل التى تصف هذه الأخلاق المسيحية ، ومن المستحسن أن نبحث كل منها على حدة . ولكن قبل أن نفعل هذا ، ربما كان من الطريف أن نفرد إلى جانبها وصفين شهيرين للأخلاق الواجب توفرها كما رآها كبار مفكرى الوثنية . يسلمنا ديوجينس لارشيوس الوصفة الصوفية للرجل الصالح . يجب أن يكون متزوجاً ؛ غير متكبر ، معتدلا يجمع بين رجاحة العقل وكمال السلوك الخارجى . ووصف كاتب اسمه أونوزاندر أخلاق القائد المثالى . يجب أن يكون حريصاً ، ضابطاً للنفس ، متيقظاً مقتصداً ، صبوراً فى المشقات ، ذكياً ، دون محبة للمال ، لا صغير السن ولا كبيره ، يفضل أن يكون رب عائلة ، متحدث كفء ،

وذو سمعة طيبة . من الطريف أن نجد عند مناقشة صفات الرجولة الحقيقية ، تطابق الأوصاف المسيحية والوثنية .

القائد المسيحى **شخص بلا لوم** والكلمة فى أصلها تعنى مركزاً غير معرض للهجوم ، أو حياة لا تقبل الرقابة ، إنها فن أو صنعة تبلغ حد الكمال فلا يمكن رؤية الخطأ فيها ، أو هى اتفاقية لا يمكن مهاجمتها أو إفسادها . يجب أن يكون القائد المسيحى شخصاً خلت حياته من تلك الأخطاء التى يمكن مهاجمتها بتهم معينة ، ليس هذا فقط بل يجب أن تصل أخلاقه إلى درجة من السمو ترقى به فوق كل انتقاد . فى ترجمة ريمس **Rheims** للعهد الجديد تترجم هذه الكلمة اليونانية بكلمة انجليزية غير عادية هى **irreprehensible** ؛ أى لا يمكن إيجاد عيب فيه . وعرف اليونانيون أنفسهم الكلمة بأنها تعنى « لا تعطى العدو فرصة أن يتمسك عليك بشئ » . هنا مثال الكمال الذى لن نتمكن تماماً من الوصول إليه ، ولكن الحقيقة تبقى أن على القائد المسيحى أن يجاهد ليقدم للعالم حياة تبلغ فى طهارتها ونبلها ما لا يترك حتى ثغرة صغيرة لانتقاد نفسه .

القائد المسيحى **يجب أن يكون بعل امرأة واحدة** . الأصل اليونانى لهذه تعنى حرفياً أن القائد المسيحى يجب أن يكون « زوجاً لامرأة واحدة » . يوجد البعض ممن يأخذون هذه على أنها تعنى أن القائد المسيحى يجب أن يكون رجلا متزوجاً ، ومن المحتمل أن الجملة تقصد ذلك ؛ ومن المؤكد أن رجلا متزوجاً أقدر على كتمان الأسرار وتقديم العون أكثر من رجل أعزب ، إن فى إمكانه أن يبدى فهماً خاصاً ومشاطرة أبلغ فى كثير من المواقف .

وهناك أقلية تأخذ هذه الجملة لتعن أنه لا يحق للقائد المسيحى بأى حال أن يتزوج مرة ثانية، حتى بعد وفاة زوجته. ويستندون فى ذلك إلى ما جاء

بتعليم بولس فى اكورنثوس ٧ . ولكن الجملة فى مضمونها هنا تعنى بالتأكيد أن القائد المسيحى يجب أن يكون زوجاً وفياً ، محافظاً على الزواج فى كل طهارته . وفى السنين التالية أرسى القانون الرسولى قواعد هذا الزواج: « من كان مرتبطاً بزواجين ، بعد تعميده ، أو من اتخذ لنفسه محظية ، لا يصلح أن يكون أسقفاً » .

ولنا إذاً أن نتساءل : لماذا وجد وضع شرط يبدو من الوضوح بحيث لا يحتاج لتنظيم ؟ يجب أن نتفهم الحالة فى العالم التى دعت لهذا الشرط . قيل بحق أن الفضيلة الجديدة الكاملة الوحيدة التى أدخلتها المسيحية إلى هذا العالم كانت فضيلة العفة . فى نواح كثيرة يصدق القول إن العالم القديم كان فى حال فوضى أخلاقية . وكان هذا حقيقياً حتى عن العالم اليهودى . وبرغم ما فى هذا من غرابة ، كان لا يزال هناك بعض اليهود يؤمنون ويباشرون الزواج بأكثر من واحدة . فى « محادثة مع تريفو » التى يناقش فيها جوستين مارتر المسيحية مع يهودى ، يقال فيها « أنه من المصرح به لليهودى حتى الآن أن يقتنى أربع أو خمس زوجات » .

ويكتب يوسيفوس : « حسب التقاليد الموروثة ، يستطيع الرجل أن يعيش مع أكثر من زوجة واحدة » . لنترك هذه الحالات الغير عادية ، فنجد أن الطلاق كان سهلا بطريقة موسفة فى العالم اليهودى . كان لليهود أفكار مثالية عظيمة عن الزواج . فقالوا إنه أفضل للرجل أن يسلم نفسه للموت عن أن يرتكب جريمة قتل ، أو عبادة الأوثان أو الزنا . كان لديهم الإيمان أن الزيجات مرتبة فى السماء . فى قصة زواج اسحق ورفقة قيل « من عند الرب خرج الأمر » (تكوين ٢٤ : ٥٠) . وأخذ هذا على أنه يعنى أن الزواج مرتب بأمر الله . كذلك يقال فى أمثال ١٩ : ١٤ « أما الزوجة المتعقلة فمن

عند الرب » . وفى قصة توبت ، يقول الملاك لتوبت : « لا تخف فهى معدة لك منذ البدء » (توبت ٦ : ١٧) . كذلك قال معلمو إسرائيل : « الله يجلس فى السماء يرتب الزيجات » . « قبل أن يتكون الطفل بأربعين يوماً ، يعين صوت من السماء رفيق حياته » .

وبرغم كل ذلك ، سمح الناموس اليهودى بالطلاق . حقيقة كان الزواج مثالياً ولكن الطلاق كان مسموحاً به . كان الزواج «غير قابل للاتلاف ولكنه لم يكن غير قابل للحل » . تمسك اليهود بأنه متى ما تحطم هذا الزواج المثالى نتيجة للقسوة أو الخيانة أو عدم التكافؤ ، كان من الأفضل جداً السماح بالطلاق وإعطاء فرصة أخرى لكل طرف أن يبدأ بداية جديدة . ربما كان هذا جيداً ، ولكن مأساة قانون الطلاق اليهودى أنه لم يكن للزوجة أى حقوق على الإطلاق . يقول يوسيفوس : « قانوناً ، من حق الزوج أن يفسخ الزواج ، ولكن بالنسبة للزوجة ، إذا تركت زوجها ، لا يمكنها أن تتزوج شخصاً آخر ، إلا إذا أخلى زوجها السابق طرفها » فى زمن العهد الجديد ، إذا تم الطلاق بموافقة الطرفين ، لا يتطلب الأمر محكمة على الطلاق ، بل شاهدين فقط . من حق الزوج أن يطرد زوجته لأى سبب ، وكل ما يمكن للزوجة أن تفعله أن ترفع التماساً للمحكمة لكى تنصح زوجها بأن يحرر لها وثيقة طلاق ، ولم يكن فى وسع المحكمة حتى أن تجبره على عمل كهذا .

وفى مواجهة هذا الموقف بين اليهود ، وصل الأمر إلى درجة أن « النساء رفضن عقود الزواج ، وشاب كثير من الرجال دون زواج » ثم توقفت هذه العملية بالتشريع الذى أدخله سمعان بن شيتاه . وبمقتضاه تحضر الزوجة اليهودية لزوجها دوطة ، وشرع سمعان أن لكل رجل تمام الحرية فى استعمال هذه الدوطة ، طالما ظل زوجاً لزوجته ، ولكن فى حالة الطلاق كان من

المحتم عليه أن يرد الدوطة ، « حتى لو باع جلده » ليتمكن من ذلك . وضع هذا القانون حداً للطلاق ؛ ولكن النظام اليهودى ظل دائماً عرضة للألاعيب بالنسبة لأن الزوجة لم تملك حقوقاً على الإطلاق .

فى العالم الوثنى ، كانت الأمور أسوأ بما لا نهاية . وحسب القانون الرومانى ، لم يكن للزوجة أى حقوق . قال كاتو : « إذا أخذت زوجتك فى زنا ، يمكنك أن تقتلها دون أن تخاف شيئاً ، وبدون أن تعرض لمحاكمة ؛ ولكنك إذا اشتركت فى زنا ، لا تجسر هى أن ترفع إصبعاً ضدك ، لأنه غير قانونى » . وقد ساءت الأمور جداً ، وأصبح الزواج عبئاً ثقيلا ، للدرجة أنه فى عام ١٣١ قبل الميلاد صرح رومانى معروف اسمه ميتيلس ماسيدونيكس واقتبس تصريحه القيصر أغسطس فيما بعد : « لو استطعنا أن نعيش بدون زوجات ، لتخلصنا من هذا الضيق . ولكن حيث أن الطبيعة قد أصدرت حكمها فى أننا لن نستطيع العيش فى راحة معهن أو نحيا على الأطلاق بدونهن ، فمن الأفضل أن ننظر مصالحنا الدائمة بدلا من لذاتنا الوقتية » .

حتى شعراء الرومان رأوا الموقف الميئوس منه . كتب هوراس « عهود غنية بالاثم كانت السبب فى وصم الزواج والحياة العائلية . ومن هذا المنبع فاض نهر الشر » . وقال بروبرشياس ، « سرعان ما ستجف البحار وتسقط النجوم من السماء قبل أن يصلح حال نسائنا » . وكتب أوفيد كتابه الشهير أو الناضح « فن الحب » ، لم يذكر فيه الحب الزوجى مرة واحدة . بل كتب ساخراً : « النساء الطاهرات فقط هن من لم يحاول معهن أحد ، وإذا غضب رجل من شطحات زوجته الغرامية يكون فلاحاً جلفاً » . ويعلن سنيكا : « من لم تفح رائحة أموره الغرامية ، ولا يدفع إلى امرأة متزوجة أجراً سنوياً ، تحتقره النساء كحبيب للبنات فقط ؛ فى الحقيقة ما الأزواج إلا مجرد فخ

لاصطياد العشاق » . وقال « القبيحات فقط هن المخلصات » . أيضاً « المرأة التى تكتفى باثنين فقط يرافقاها هى قمة الفضيلة » .

ويمتدح تاسيتس القبائل الجرمانية المتبربرة لأنها « لا تضحك للشر ولا تجعل من إغراء الجنس روح العصر » .

عندما يحدث زواج ما ، كان البيت الذى سيذهب إليه العروسان يزين بأوراق الغار الخضراء . ويقول جوفينال أنه وجد أولئك الذين يبدأون فى إجراءات الطلاق قبل أن تجف أوراق الغار . فى عام ١٩ قبل الميلاد أقام رجل اسمه كينتس نصباً لزوجته ، كتب عليه :

« نادراً ما يطول زواج حتى الموت دون طلاق ؛ ولكن زواجنا دام فى سعادة لمدة ٤١ عاماً » . الزواج السعيد كان الاستثناء الغريب .

كان لكل من أوفيد ، بلينى ثلاث زوجات ؛ ولكل من سيزار وانطونى ٤ زوجات ؛ ولكل من سولا وبومبى ٥ زوجات ؛ كان لهيرودس٩ زوجات ولتليا ابنة شيشرون ٣ أزواج . وكان الامبراطور نيرون الزوج الثالث لبوبيا والزوج الخامس لستاتيلا مسالينا .

لهذا وضعت الرسائل الرعوية شرط زواج القائد المسيحى بامرأة واحدة . فى عالم غارق فى الفسق حتى فى الأماكن العالية ، كان على الكنيسة المسيحية أن تبرهن على العفة المسيحية ، وعلى دوام رباط الزوجية ، وعلى قدسية البيت المسيحى .

صفات القائد المسيحى

يجب أن يكون القائد المسيحى صاحياً ، ثم نقرأ بعد أسطر قليلة أنه غير مدمن للخمر . كانت الخمر كثيرة الاستعمال فى العالم القديم . بالنسبة لقلة موارد المياه العذبة وخطورتها أحياناً ، صارت الخمر المشروب الطبيعى . الخمر تشرح صدر الله والناس (قضاة ٩ : ١٣) . عند رد سبى إسرائيل ، ستغرس كرومها وتشرب خمرها (عاموس ٩ : ١٤) . تعطى خمر مسكرة لكل من على شفا الهلاك ، وتقدم الخمر لمن يحس بمرارة فى النفس (أمثال ٣١ : ٦) . لا يعنى هذا أن العالم القديم لم يكن مدركاً تماماً للأخطار التى تأتى من الشراب . تتكلم الأمثال عن الأضرار التى تلحق بالرجل الذى ينظر الخمر وهى حمراء (أمثال ٢٣ : ٢٩ — ٣٥) . الخمر مستهزئة ، والمسكر عجاج (أمثال ٢٠ : ١) . هناك قصص رهيبة عما فعلت كثرة الخمر بالناس هناك قصة نوح (تكوين ٩ : ١٨ — ٢٧) ؛ ولوط (تكوين ١٩ : ٣٠ —٣٨) وامنون (٢ صموئيل ١٣ : ٢٨ و ٢٩) . ولكن رغم أن العالم القديم استعمل الخمر وتعود عليه إلا أن استعماله كان فى منتهى الاعتدال عندما تشرب الخمر ، كانت تمزج بالماء بنسبة جزءين خمر وثلاثة أجزاء ماء . من سكر بالخمر جلب على نفسه العار فى المجتمع الوثنى العادى ، فما بالك بالكنيسة . الأصل اليونانى لكلمة صاح تعنى **متيقظ** كما تعنى أيضاً **حذر متنبه** . وكلمة مدمن فى اليونانية تعنى بجانب الإدمان **عنيف مشاكس** . والنقطة التى ترمى إليها الرعويات فى هذا الجزء هو أنه لا يحق للمسيحى أن يسمح لنفسه بملذات وأطايب تقلل من حذره ويقظته وتشين مسلكه المسيحى .

ثم يتبع ذلك كلمتان يونانيتان عظيمتان تعبران عن صفتين عظيمتين يجب أن يتحلى بهما القائد المسيحى . يجب أن يكون القائد المسيحى **عاقلا ophron (محتشما) أو حسن التصرف Kosmios**

كلمة sophron إحدى الكلمات اليونانية التى لا تتواجد لها ترجمة حرفية . فهى تترجم : ذو عقل متزن ، حذر ، حريص ، ضابط للنفس ، عفيف ، له تحكم كامل على رغباته الحسية . وقد اشتقها اليونانيون من كلمتين تعنيان يحفظ عقله سليما ومتزناً . الاسم منها هو العقل ، وقد كتب عنه اليونانيون وبحثوه كثيراً وهو مضاد لعدم الاعتدال وانعدام ضبط النفس. عرفه أفلاطون بأنه « مسلك زمام اللذة والرغبة » . وعرفه أرسطو بأنه « تلك القوة التى تخضع ملذات الجسد لأمر القانون » . وعرفه فيلو بأنه « تنظيم الرغبات والحد منها ، بالقضاء على ما هو خارجى ومبالغ فيه ؛ والسمو بما هو ضرورى بالتوقيت والاعتدال » وقال عنه فيثاغورس « إنه الأساس الذى ترتكز عليه النفس » . وقال إيامبليكس « إنه طوق النجاة لأفضل ما فى الحياة من عادات » وقال عنه أوريبيدس « إنه أجمل عطايا الله » . ودعاه جيريمى تايلور « حزام المنطق ولجام العاطفة » . ويصف ترنش العاقل بأنه « حالة تحكم كامل على العواطف والرغبات ، فلا تنال إلا ما يسمح به القانون ويوافق عليه المنطق السليم » . وكتب الباحث الكلاسيكى الكبير جلبرت مورى عن كلمة عاقل فقال ، «هناك اتجاه من التفكير يدمر وهناك اتجاه يبنى . يسير الرجل أو المرأة العاقلة بين روائع ومخاطر العالم، شاعراً بالحب، بالبهجة، بالغضب .. وبقية الأحاسيس؛ ولكنه فى خلالها جميعاً يحتفظ بهذا الذى فى عقله الذى ينقذ الموقف كله ، ينقذ من الخطر الموشك أن يكون » . ويقتبس ا. ف. براون ، فى تصويره للعاقل من صلاة لتوما الأكوينى مرفوعة « لتهدئة جميع دوافعنا ، جسدية وروحية » .

الرجل العاقل هو من ملك زمام كل جزء فى طبيعته ، وبمعنى آخر الرجل العاقل هو من كان المسيح يعيش فى قلبه سيداً بلا منازع .

والكلمة الأخرى هي Kosmlos ، والتي ترجمناها حسن التصرف . إذا كان الشخص حسن التصرف في تصرفاته الخارجية ، إنما يكون ذلك بسبب كونه عاقلا في حياته الداخلية . هذه الكلمة معناها أيضاً : منظم ، أمين ، مهندم . لكن لها استعمالين خاصيين في اليونانية ، كانت شائعة الاستعمال في وفاء الحقوق وفي الحفريات للموتى . وهي أيضاً شائعة الاستعمال في وصف المواطن الصالح . يعرف أفلاطون الرجل المحتشم بأنه ، « المواطن المسالم في البلد الذي يقوم بسداد ما عليه في المكان والزمان المناسبين » هذه الكلمة تحمل ما هو أكثر من مجرد حسن التصرف . إنها تصف الرجل الذي يعيش حياة جميلة ، والذي لا يشوب أخلاقه شائبة بل تتكامل وتنسجم فيه كل الأشياء في توافق جميل . إنه الشخص الذي تتحد فيه القوة والجمال .

يجب أن يكون القائد في الكنيسة رجلا عاقلا ، أخضع كل غريزة وعاطفة ورغبة لتحكم كامل ؛ ويجب أن يكون رجلا محتشما انعكست حياته الداخلية المتزنة في جمال خارجي يزينه ؛ القائد إنسان سادت قلبه قوة المسيح وأضاء حياته نور المسيح .

صفات القائد المسيحي

يجب أن يكون مضيفاً للغرباء . هذه صفة يركز عليها العهد الجديد بشدة . يوصي بولس الكنيسة الرومانية أن « تعكف على إضافة الغرباء » (رومية ١٢ : ١٣) . ويقول بطرس ، « كونوا مضيفين بعضكم بعضاً بلا دمدمة » (١ بطرس ٤ : ٩) . في «راعي هرمس» ، واحدة من أوائل الكتابات المسيحية ، مكتوب : « يجب أن يكون الأسقف مضيفاً للغرباء ، يرحب بسرور ، وفي كل وقت ، بخدام الله الذين يأتون إلى بيته » . يجب أن يكون القائد المسيحي رجلا ذو قلب مفتوح ودار مفتوح .

كان العالم القديم يرعى بشدة حقوق الضيف والغريب . كان الغريب فى حماية زيوس حامى الغرباء . فى العالم القديم كانت الفنادق قذرة سيئة السمعة . فى إحدى تمثيليات أريستوفانس يسأل هيراقل زميله أين سيمضيان الليلة ، ويكون الجواب : « حيثما البراغيث أقل ما يمكن » . ويصف أفلاطون صاحب الخان أنه قرصان يحجز زواره للفدية . كانت الفنادق قذرة ، غالية الثمن ، سيئة السمعة . وكان هناك نظام يسمى **صداقة الضيوف** . خلال عدة أجيال رتبت عائلات فيما بينها نظام لتقديم المأوى واستضافة بعضهم البعض . وغالباً لم يكن أعضاء هذه العائلات يعرفون بعضهم معرفة شخصية . فكانوا يتعارفون بأن يظهر كل منهم شيئاً معيناً ، مقطوع بطريقة ما بحيث أن كلا من الضيف والمضيف يحتفظ بنصف ينطبق على الآخر . إذا انطبق الجزءان يعرف المضيف أن ضيفه فعلا ابن من أبناء العائلة الصديقة .

فى الكنيسة المسيحية كان هناك عديد من المعلمين والمبشرين المتجولين ؛ الذين يحتاجون لاستضافة . كان هناك أيضاً عديد من العبيد الذين لا ينتمون إلى بيوت تخصهم ، وكان من المزايا القليلة التى لديهم حق الدخول إلى بيت مسيحى . الكنيسة كلها كانت بمثابة جزيرة صغيرة من المسيحية فى بحر من الوثنيين ؛ فكان من أعظم البركات أن يجد المسيحيون أبواباً مسيحية مفتوحة دائماً لهم ، وبيوتاً مسيحية يستطيعون أن يلاقوا فيها أصدقاء لهم نفس أفكارهم ومعتقداتهم . لازلنا نحن نعيش فى عالم فيه كثيرون متغربون عن عشيرتهم وأهاليهم ، كثيرون يجدون أنفسهم غرباء فى أرض غريبة ، وكثيرون يعيشون تحت ظروف قاسية . إن باب البيت المسيحى ، وترحيب القلب المسيحى ، يجب أن تكون دائماً فى خدمة هؤلاء .

يجب أن يكون القائد المسيحى **صالحاً للتعليم** **(didaktikos)** وقد قيل فى وصف واجب القائد المسيحى أنه « تبشير من لم يعرف الله بعد

وتعليم من عرفه » . هناك أمران يجب ذكرهما عن هذه النقطة . واحدة من مآسى العصر الحديث أن الخدمة التعليمية داخل الكنيسة لم تعد كما كانت ، يوجد كل ما يمكن من عظات الساعة ؛ يوجد كل ما يمكن من الوعظ والإرشاد ؛ ولكن هناك قليل يرتجى من وعظ مسيحى لا يعرف ما معنى كونه مسيحياً . التعليم هو واجب القائد والواعظ المسيحى الأول. ولكن هناك أمر ثان . أفضل وأبعد أثراً لا يتم بالكلام ، بل بالقدوة . واجبنا الاسمى ليس مجرد تعريف الناس بالمسيح ، بل أن نريهم المسيح . حتى ذلك الشخص الذى لا يجيد الكلام يستطيع أن يعلم بأن يسلك حياة يرى فيها الناس إنعكاساً لحياة السيد . عرف القديس مرة بأنه واحد « يحيا فيه المسيح مرة أخرى » .

لا يجب أن يكون القائد المسيحى مهاجماً للآخرين . والكلمة اليونانية هى **pléktés** ، أى ضراب . لماذا كان هذا التحذير ضرورياً ؟ ، نجد أنه جاد فى التنظيمات الأولى للقانون الرسولى ما يأتى : « الأسقف ، أو الكاهن أو الشماس الذى يضرب المؤمن عندما يخطئ ، أو غير المؤمن عندما يرتكب ذنباً ، لإرعابهم ، إنما يرتكب خطأ جسيما ونحن نوصى بخلعه ؛ فلم يعلمنا الرب شيئاً كهذا . فعندما أهين . لم يرد الإهانة ، بل على العكس تماماً . وعندما ضرب ، لم يرد بالضرب ؛ وعندما تألم ، لم يهدد أحداً » . من المستبعد تماماً أن يضرب قائد مسيحى مسيحياً آخر فى أيامنا الحاضرة ؛ ولكن الحقيقة ما زالت أنه ممنوع بتاتاً على المسيحى أن يتعامل بالشدة أو بالتهديد أو بسوء الخلق مع أى إنسان آخر ، وسواء كان هذا بالقول أو الفعل .

يجب أن يكون القائد المسيحى حليما . والكلمة هى **epieikés** ، وهى أيضاً إحدى الكلمات التى تعجز عنها الترجمة الحرفية . الاسم هو **epieikeia** ، ويصفه أرسطو بأنه « من يصحح العدالة » . وكما قال إنه

الشئ « الأعدل والأفضل من العدالة » . قال إنه الصفة التى تصحح القانون عندما يخطئ القانون نتيجة عموميته . وما يقصده هو أنه أحياناً يقع ظلم فعلا إذا طبق القانون بنصه وحرفه . هناك حالات فى الحياة إذا طبق فيها القانون تطبيقاً حرفياً نتجت مظالم . وقال ترنش إن الحلم تعنى « التراجع عن حرفية الصواب أفضل فى سبيل المحافظة على روح الصواب » . وقال أيضاً إن « الروح يعلم استحالة الخضوع لجميع القانون الوضعى . . . . ويعلم الخطورة الناتجة من تأكيد الحقوق القانونية ، خشية أن تدفع نحو إساءات خلقية . . الروح الذى يصلح ويصحح ما فى العدالة من ظلم » . ويصف أرسطوبالتفصيل عمل الحلم : « تعفو عن ضعفات البشر ، تتطلع إلى معطى- القانون لاالقانون : إلى الغرض ، لا إلى الفعل ؛ إلى الكل لا الجزء ؛ إلى أخلاق المتهم على المدى الطويل لا فى اللحظة الحاضرة ؛ لتذكر الحسنات أكثر من السيئات ، والخير الذى ناله إنسان أكثر من الخير الذى فعله ؛ تحتمل الأذية » .

وتود أن تفض « اشكالا بالقول لا بالفعل» . إذا وجد أمر فيه جدال ، يمكن تسويته بالرجوع إلى كتاب عملى عن الخطوات القضائية ، أو يمكن تسويته بالاسترشاد بيسوع المسيح . إذا كثر الاختلاف فى موضوع معين ، إما أن يسوى بالقانون ، وأما أن يسوى بالمحبة . يمكن أن نأتى به ليختبر فى تطبيق قضائى ، ويمكن أن نأتى به عند موطئ القدمين أمام عرش نعمة الله . كم سيتغير الجو الذى تعيش فيه كثير من الكنائس تماماً إذا وجد فيها كبير من ذوى الحلم .

يجب أن يكون القائد المسيحى مسالماً (غير مخاصم) (amachos) : وتعنى الكلمة اليونانية غير مستعد للقتال . هناك أناس نستطيع أن نلقبهم ،

بأنهم « سعداء بشد الزناد » فى تعاملاتهم مع الآخرين . ولكن القائد المسيحى الحقيقى لا يرغب فى شئ أكثر من السلام والوئام مع زملائه من الناس .

يجب أن يكون القائد المسيحى **خالياً من محبة المال** . لا يجب أبداً أن يكون دافعه لعمل ما الرغبة فى الربح . فهو يعلم جيداً أن هناك قيماً وأموراً لا يمكن لمال الأرض أن يشتريها .

٨ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلشَّمَامِسَةُ ذَوِى وَقَارٍ
لاَ ذَوِى لِسَانَيْنِ غَيْرَ مُولَعِينَ بِٱلْخَمْرِ ٱلْكَثِيرِ وَلاَ طَامِعِينَ
بِٱلرِّبْحِ ٱلْقَبِيحِ ٩ وَلَهُمْ سِرُّ ٱلْإِيمَانِ بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ. ١٠
وَإِنَّمَا هؤُلاَءِ أَيْضاً لِيُخْتَبَرُوا أَوَّلاً ثُمَّ يَتَشَمَّسُوا إِنْ كَانُوا
بِلاَ لَوْمٍ. ١١ لِيَكُنِ ٱلشَّمَامِسَةُ كُلٌّ بَعْلَ ٱمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مُدَبِّرِينَ
أَوْلاَدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ حَسَناً. ١٢ لِأَنَّ ٱلَّذِينَ تَشَمَّسُوا حَسَناً يَقْتَنُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ دَرَجَةً حَسَنَةً ١٣ وَثِقَةً كَثِيرَةً فِى ٱلْإِيمَانِ ٱلَّذِى
بِٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ .

(١ تيموثاوس٣ : ٨ – ١٠ و ١٢ و ١٣)

كانت وظيفة الشمامسة فى الكنيسة الأولى تقع غالباً فى مجال الخدمة العملية . ورثت الكنيسة المسيحية عن اليهود نظاماً رائعاً للعمل الخيرى . لم يتوفر هذا الإحساس العميق بالمسئولية نحو الأخ الفقير والأخت الفقيرة لأية دولة مثل ما كان لدى اليهود . كان للمجمع نظام للتعامل مع هؤلاء الناس ومساعدتهم لم يشجع اليهود إعطاء معونة فردية لأفراد . بل فضلوا أن تتم هذه المعونات عن طريق المجتمع وخاصة المجمع . كان يذهب محصلان رسميان كل أسبوع إلى الأسواق والمنازل لجمع تبرعات مالية وعينية للفقراء والمحتاجين . وكانت توزع هذه التبرعات للمحتاجين بمعرفة لجنة مكونة من اثنين أو أكثر إذا

احتاج الأمر . كان فقراء المجتمع يتسلمون طعاماً كافياً ل ١٤ وجبة ، أى بواقع وجبتان يومياً لمدة أسبوع . ولم يكن يحق لأحد أن ينال شيئاً من هذه الإحسانات إذا توفر لديه طعام أسبوع فى المنزل . أطلق على متحصل الفقراء ال Kuppah أو السلة . بالإضافة إلى ذلك كان هناك متحصل يومى من الطعام يجمع من بيت إلى بيت لأجل من هم فى حاجة ماسة حقيقية فى هذا اليوم . أطلق على هذا المتحصل ال Tamhui أو الصينية . ورثت الكنيسة المسيحية هذه المنظمة الخيرية ، ومما لا شك فيه كان عمل وواجب الشمامسة تنفيذها عملياً .

كثير من صفات الشماس هى نفس الصفات المطلوبة فى الأسقف أو الناظر أو الشيخ . كان عليهم أن يحتفظوا بأخلاق حميدة ؛ مقتصدين فى الطعام والشراب ؛ ليس لهم أن يكتسبوا مالا بطرق غير مشروعة ؛ وكان عليهم أن يجتازوا اختباراً وفترة تجريبية ؛ وأن يباشروا فى حياتهم ما يبشرون به ، حتى يتسنى لهم تقديم الإيمان المسيحى بضمير نقى .

صفة واحدة جديدة أضيفت ، يجب ألا يكونوا ذوى لسانين . وفى اليونانية كانت الصفة أنهم يجب أن لا يكونوا dilogos ؛ وتعنى التكلم بلسانين ، قول شئ إلى أحدهم وشىء آخر إلى إنسان آخر . على الشماس ، الذى يذهب من بيت إلى بيت ، وفى تعامله مع المحتاجين وطالبى العون أن يكون ذا قول واحد . فهو معرض دائماً أن يتهرب من المشاكل بقليل من النفاق والحديث الناعم . ولكن من يقوم بعمل الكنيسة المسيحية يجب أن يكون مستقيما .

من حق من يؤدى وظيفة الشماس جيداً أن يتطلع إلى الترقية إلى وظيفة الشيخ . وإذا قام بهذه جيداً ، فانه سيحصل على ثقة فى الإيمان تمكنه أن يواجه أى إنسان بكل شجاعة .

النساء اللائى يخدمن فى الكنيسة

١١ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ٱلنِّسَاءُ ذَوَاتِ وَقَارٍ غَيْرَ ثَالِبَاتٍ صَاحِيَاتٍ أَمِينَاتٍ فِى كُلِّ شَىْءٍ .

١ تيموثاوس ٣ : ١١

فى الأصل اليونانى ، إما أن هذا يشير إلى زوجات الشمامسة ، أو من كن يباشرن أعمالا مماثلة . وأكثر الأمور احتمالا أنها تشير إلى النساء اللائى كن مشغولات بهذه الأعمال الخيرية . لا بد أن هناك أنواعاً من الرفق والمساعدة وعمل الخير لا يمكن لغير امرأة أن تقدمه لامرأة أخرى . من المؤكد أن الشماسات تواجدن فى الكنيسة الأولى . وكان عليهن إرشاد حديثات الإيمان ، وبالأخص حضور ورياسة حفل عمادهن ، لأن العماد كان بالتغطيس الكلى .

كان من الضرورى جداً تحذير هؤلاء النساء العاملات ضد نهش السير ، وتأهيلهن أن يكن دائماً مستعدات للخدمة . عندما يتخرج طبيب حديث ، عليه قبل أن يزاول المهنة أن يقسم قسم أبو قراط ، وجزء من هذا القسم وعد يأخذه أن لا يكرر شيئاً سمعه فى منزل مريض ، أو شيئاً سمعه عن مريض ، حتى لو كان ما سمعه فى الشارع . فى أعمال الخير للفقراء ، لا بد أن أشياء كثيرة تسمع ، وأشياء يمكن تكرارها بسهولة ، يحدث من ورائها آلام جسيمة . ليست هناك أى إهانة للنساء إذ تحذرهن الرسائل الرعوية من الثرثرة. من طبيعة الحياة أن تتعرض المرأة لإغراء الثرثرة أكثر من الرجل . عمل الرجل

يأخذه خارجاً إلى العالم ؛ حيث ينشغل بمصالحه ونشاطاته وهواياته المختلفة ؛ أما المرأة فهى تعيش بالضرورة فى محيط ضيق ، ولهذا ليس لديها الكثير لتتكلم عنه ؛ لهذا كانت دائماً فى خطر الحديث عن العلاقات الشخصية التى تؤدى إلى نهش السيرة . الشخص المسيحى الذى ينقل القصص ويعيد ما أسر إليه باعتباره موضع ثقة سواء كان رجلا أو امرأة، هو وحش شديد الخطورة .

فى وسط المدينة اليونانية ، كان من المحتم على النساء العاملات فى الكنيسة أن يحافظن على وقارهن . المرأة اليونانية المحترمة تعيش فى انعزال كامل ؛ ولا يمكن أن تخرج منفردة ؛ ولا يمكن حتى أن تشترك مع رجال عائلتها فى تناول الطعام كانت حياتها منعزلة تماماً . قال بركليس إن واجب الأم الأثينية أن تحيا حياة كاملة الانفراد حتى لا يأتى ذكر لاسمها بين الرجال سواء بالقدح أو المدح . يذكر أكسينوفون كيف أن صديقاً ريفياً يصف زوجته الصغيرة التى تزوجها حديثاً ويحبها حباً جماً « ماذا كانت تتوقع أن تعرف عندما تزوجتها ؟ لم تكن قد بلغت بعد الخامسة عشر عندما قدمتها لبيتى ، وكانت قد ربيت تحت رقابة شديدة ؛لم يكن من المسموح لها أن تبصر أو تسمع شيئاً، أو تسأل أى أسئلة » . هذه هى نوع التربية التى كانت البنات اليونانيات المحترمات ينشأن عليها . ويعطينا اكسينوفون صورة نابضة لواحدة من أولئك الزوجات « تكبر ببطء متعودة على زوجها متطورة إلى إنسانة كاملة الخضوع حتى تخشى المحادثة معه » .

حررت المسيحية المرأة . أطلقتها من العبودية . ولكن كانت هناك أخطار . متى تحررت ربما أساءت استعمال حريتها الجديدة ؛ والعالم المحافظ ربما هزته الحرية ؛ لهذا كان على الكنيسة أن تتوخى الحكمة فى وضع تنظيماتها. إن المركز الممتاز الذى تمتع به المرأة الآن فى الكنيسة إنما يرجع الفضل فيه إلى الحكمة التى استعملت بها حرية المرأة لا سوء استعمالها .

مزايا ومسئوليات الحياة داخل الكنيسة

١٤ هٰذَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكَ رَاجِياً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَنْ قَرِيبٍ. ١٥
وَلٰكِنْ إِنْ كُنْتُ أُبْطِئُ فَلِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ
تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ ٱللهِ ٱلَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ ٱللهِ ٱلْحَيِّ عَمُودُ
ٱلْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ .

١ تيموثاوس ٣ : ١٤ و ١٥

نجد هنا ، فى جملة واحدة ، السبب العام فى كتابة الرسائل الرعوية ؛ كتبت لتخبر الناس كيف يتصرفون داخل الكنيسة. كلمة يتصرف فى اليونانية تصف ما يمكن أن تطلق عليه سير الشخص وحديثه . تصف كل حياته وأخلاقه ؛ ولكنها بالأخص تصف الشخص فى علاقته مع الآخرين . وكما قيل ، الكلمة فى حد ذاتها تشترط فى عضو الكنيسة المسيحية أن تكون أخلاقه ممتازة ، وأن تكون علاقاته مع الآخرين شركة صادقة . داخل الكنيسة يجب أن يكون الإنسان فى شركة مع الله ، وفى شركة مع زملائه من الناس . الكنيسة هى مجموعة الناس أصدقاء الله وأصدقاء بعضهم البعض . يمضى بولس بعد ذلك ليعدد ٤ كلمات عظيمة تصف أربع وظائف عظيمة للكنيسة .

١ ـ الكنيسة هى بيت الله . أولا وقبل كل شيء يجب أن تكون الكنيسة عائلة. يذكر عن نلسون أنه كتب، بعد إحدى إنتصاراته البحرية العظيمة، مرجعاً سبب انتصاره إلى الحقيقة أنه « كان سعيداً إذ أحس أنه يقود فرقة

من الأخوة » . ما لم تكن الكنيسة فرقة من الأخوة لن تكون كنيسة صادقة على الإطلاق . محبة الله لا توجد إلا إذا وجدت المحبة الأخوية .

٢ ـ الكنيسة هي اجتماع الله الحي . كلمة **ekklésia** تعني حرفياً مجموعة مدعوة من الناس . لا تعني أنهم مختارون أو منتقون . في أثينا كانت **ekklésia** هي الهيئة الحاكمة للمدينة ؛ وكانت تتكون من جميع المواطنين المجتمعين . ولكن لم يجتمع كل المواطنين معاً في أي وقت وهذا طبيعي جداً . ترسل الدعوة لحضور اجتماع المدينة إلى الجميع ، ولكن البعض فقط هم الذين يستجيبون للدعوة . وهكذا نداء الله ، ودعوة الله ، موجهة إلى كل إنسان ؛ ولكن بعض الناس فقط قبلوها ؛ وهؤلاء الذين قبلوها أصبحوا ال **ekklésia** ، الاجتماع ، كنيسة الله الحي . لم ينتق الله البعض ، لم يختر الله البعض ويرفض البعض ؛ بل ليس مع أن دعوة الله وجهت للجميع لكن لم يقبل الجميع هذه الدعوة .

٣ ـ الكنيسة عمود الحق . كانت كلمة عمود ذات معنى خاص بالنسبة لكنيسة أفسس التي كتبت لها هذه الرسائل . أعظم أمجاد أفسس كان معبد ديانا أو أرطاميس. عظيمة هي أرطاميس الأفسسيين » (أعمال ١٩ : ٢٨) كان المعبد أحد عجائب الدنيا السبع وأحد سمات المعبد أعمدته . كان بداخله ١٢٧ عموداً ، كل منها هدية من ملك . جميعها مصنوعة من المرمر ، وبعضها مزركش بالجواهر مغشى بالذهب . لهذا كان الأفسسيون يعلمون جيداً عن جمال الأعمدة . ويبدو أن كلمة عمود هنا لا تعني كثيراً التحمل أو السنادة ـ فهذه متروكة للقاعدة ـ وبقدر ما تعني العرض . غالباً يوضع تمثال رجل شهير فوق قمة عمود حتى يقف مرتفعاً عن كل الأشياء الاعتيادية ويبدو واضحاً للعيان من مسافة بعيدة . ، الفكرة هنا أن واجب الكنيسة هو إبراز

الحق بطريقة يستطيع جميع الناس أن يروه : واجب الكنيسة أن تعرض وتظهر الحق .

٤ ــ الكنيسة قاعدة الحق . القاعدة هى حامل المبنى . تحفظ للمبنى ثباته وسلامته . فى عالم لا يرغب فى مواجهة الحق ، حفظت الكنيسة الحق للجميع ليروا . فى عالم يود دائماً أن يقضى على الحق الغير مرغوب فيه ، تحمل الكنيسة الحق وتحفظه ضد كل من يبغى تدميره .

ترنيمة للكنيسة

وَبِالْإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ ٱلتَّقْوَى ٱللهُ ظَهَرَ فِى ٱلْجَسَدِ
تَبَرَّرَ فِى ٱلرُّوحِ تَرَاءَى لِمَلَائِكَةٍ كُرِزَ بِهِ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ
أُومِنَ بِهِ فِى ٱلْعَالَمِ رُفِعَ فِى ٱلْمَجْدِ .

١ تيموثاوس ٣ : ١٦

الاهتمام العظيم بهذا الجزء راجع إلى أنه كان جزءاً من أحد ترانيم الكنيسة الأولى . أى أنه تعبير عن إيمان الناس فى المسيح يترنمون به بالشعر والموسيقى . هى ترنيمة غنى فيها الناس عقيدتهم . ونحن لا يمكننا أن نبحث فى الشعر وفى ترنيمة عن دقة التعبير التى نجدها فى عقيدة ؛ ولكن يجب أن نحاول أن نرى ما يقوله كل سطر فى هذه الترنيمة لنا .

١ — **الله ظهر فى الجسد** : بداية الترنيمة تؤكد حقيقة بشرية ورجولة يسوع . فهى تقول : « أنظر إلى يسوع ، سترى نوع الحياة التى كان الله يحياها ، إذ كان الله إنساناً » . وهى تقول : « أنظر إلى يسوع ، فسترى عقل وقلب وعمل الله ، فى صورة يفهمها الناس » .

٢ — **تبرر فى الروح** : هذا سطر صعب . يمكن أن يعنى شيئاً من ثلاثة (أ) ربما يعنى أن يسوع ، خلال حياته الأرضية ، حفظ بلا خطية بقوة الروح . الروح هو الذى يعطى للانسان إرشاداً ، هو الذى

يخبره فى كل لحظة فى حياته ماذا يعمل وماذا يقول . من أخطائنا أننا كثيراً ما رفض إرشاد الروح . كانت طاعة يسوع الكاملة لروح ا . هى التى حفظته بلا خطية .

(ب) وربما كانت تعنى أن ما نادى به يسوع تبرر بقوة وعمل الروح الساكن فيه . عندما اتهم الكتبة والفريسيون يسوع بأنه يشفى بقوة الشيطان كان جوابه : « ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » . (متى ١٢ : ٢٨) . كانت القوة التى فى يسوع قوة الروح ، والأعمال العظيمة التى قام بها فى هذه القوة كانت مبرراً للكلمات العظيمة التى تفوه بها .

(ج) وربما كانت تشير إلى القيامة . أخذ الناس يسوع وصلبوه كمجرم على الصليب ؛ ولكن بقوة الروح قام ثانياً ؛ فثبت فساد شهادة الناس ؛ وتبرر هو لأنه قام ثانياً وقهر الموت بقوة الروح . مهما أخذنا هذه الآية ، فالمعنى هو أن الروح هو القوة التى برهنت أن ما قاله يسوع ونادى به حقيقى .

٣ ــ **تراءى للملائكة** : مرة أخرى هناك ثلاثة معان لهذا القول .

(أ) ربما كان يشير إلى حياة يسوع قبل مجيئه للأرض . فى الأماكن السماوية لا بد أن الملائكة رأت ابن الله وقدموا عبادتهم له ، قبل أن يأتى إلى الأرض .

(ب) ربما يشير إلى حياته على الأرض . فحتى على الأرض كان جند السماء ينظرون إلى هذا الصراع الرهيب مع الشر . بين سحابة الشهود الغير مرئية كان الملائكة ينظرون .

(حـ) كان الاعتقاد السائد بين جميع الناس فى زمن يسوع والكنيسة الأرضية ، أن الهواء مملوء بقوى الملائكة والشياطين . كثير من هذه القوى كان معادياً لله والإنسان ، وكانت تنوى القضاء على يسوع . وقال بولس مرة إنها كانت تنتوى القضاء على يسوع خلال الجهل ، وأن يسوع جاء لهم وللناس بالحكمة المخفية منذ تأسيس العالم (١ كورنثوس ٢ : ٧و٨). إذا كان هناك ارتباط بين هذه الجملة وذلك الاعتقاد ، يكون المعنى أن يسوع أتى بالحق حتى لقوات الملائكة والشياطين التى لم تكن تعرفه قط .

مهما كان المعنى الذى نأخذه ، فالمعنى أن عمل يسوع كان من الضخامة حتى شمل السماء والأرض معاً .

٤ ــ **كرز به بين الأمم** : هنا نجد الحق العظيم فى أن يسوع لم يكن ملكاً خاصاً لشعب معين أو بلد معين . لم يكن المسيا المنتظر الذى أتى ليرفع اليهود إلى أمجاد أرضية ؛ بل كان مخلص جميع الأمم ، مخلص جميع العالم .

٥ ــ **أومن به فى العالم** . هنا حقيقة تبلغ الإعجاز تعلن فى بساطة تامة . بعد موت يسوع وقيامته وصعوده إلى المجد ، كان مجموع من تبعوه مائة وعشرين (أعمال ١ : ١٥) . وكل ما استطاع اتباعه أن يقدموه هو قصة النجار الجليلى ، الذى صلب كمجرم على تل فى فلسطين . ولكن ، قبل انقضاء سبعين عاماً انتشرت هذه القصة إلى كل أقاصى الأرض ، وقبل الناس فى كل بلد يسوع المصلوب هذا مخلصاً ورباً . هنا فى هذه الجملة البسيطة نجد الإعجاز كله فى انتشار الكنيسة الإلهى ، انتشاراً لا يمكن تصديقه بالمنطق البشرى .

٦ ــ **رفع فى المجد** . هذه إشارة للصعود . تبدأ قصة يسوع فى السماء وتنتهى فى السماء . عاش كخادم ؛ دمغ كمجرم ؛ صلب على خشبة ؛ قام وآثار المسامير ما زالت فى يديه ؛ ولكن النهاية مجد .

ٱلْأَصْحَاحُ الرابع

خدمة الله أو خدمة الشيطان

١ وَلٰكِنَّ ٱلرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحاً إِنَّهُ فِى ٱلْأَزْمِنَةِ
ٱلْأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ ٱلْإِيمَانِ تَابِعِينَ أَرْوَاحاً مُضِلَّةً
وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ. ٢ فِى رِيَاءِ أَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ مَوْسُومَةً ضَمَائِرُهُمْ
٣ مَانِعِينَ عَنِ ٱلزَّوَاجِ وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ
خَلَقَهَا ٱللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِٱلشُّكْرِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِى ٱلْحَقِّ. ٤
لِأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ ٱللهِ جَيِّدَةٌ وَلَا يُرْفَضُ شَىْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ
ٱلشُّكْرِ. ٥ لِأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ ٱللهِ وَٱلصَّلٰوةِ.

١ تيموثاوس ٤ : ١ — ٥

ورثت الكنيسة المسيحية عن اليهود الاعتقاد الثابت أنه لا بد أن تزداد الأمور سوءاً فى هذا العالم إلى حد كبير قبل أن تتحسن . كان التفكير اليهودى يقسم الزمن إلى دهرين : الدهر الحالى وكله سوء وكله فى قبضة قوات الشر ؛ والدهر الآتى الذى سيكون دهر الله الكامل الممتلىء بالخير . ولكن زوال الدهر الحالى والوصول إلى الدهر الآتى لن يحدث دون صراع مرير . فبين الدهرين سيأتى يوم الرب . فى هذا اليوم ستهتز أساسات العالم ؛ وتنشب المعركة الأخيرة المرعبة مع الشر ، وتحدث الدينونة الأخيرة ، وبعد هذا يبزغ فجر الدهر الجديد . وقد اقتبس كتاب العهد الجديد هذه الصورة . فبحكم كونهم يهوداً . شبوا على هذه الفكرة . وكثرة ظهور المرطقات والمعلمين الكذبة أحد الأشياء المتوقعة فى نهاية الدهر « ويقوم أنبياء كذبة

كثيرون ويضلون كثيرين » (متى ٢٤ : ١١) . « لأنه يقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً » (مرقس ١٣ : ٢٢) . فى هذه الأيام الأخيرة يتوقع بولس ظهور « إنسان الخطية ابن الهلاك » الذى ينصب نفسه ضد الله (٢ تسالونيكى ٢ : ٤) .

أتى هؤلاء المعلمون الكذبة إلى كنيسة أفسس . وتدعونا الطريقة التى وصفت بها هذه التعاليم الكاذبة فى هذا الجزء إلى التفكير ، بجدية . فى هذا الزمان — وكما رأينا من قبل مراراً عديدة — آمن الناس بالأرواح الشريرة وبالشياطين ، الذين سكنوا الهواء وانطلقوا نحو تدمير الناس . كانت هذه الأرواح والشياطين الشريرة مصدراً لهذه التعاليم الكاذبة . ولكن رغم أن المصدر هو الشياطين ، إنما الأداة كانت الناس . لأن هذه التعاليم قدمها رجال يتصفون بنعومة زائفة ؛ رجال موسومة ضمائرهم بختم الشيطان . « فكرة الدمغ هذه مصدرها ما كان يحدث أحياناً للعبيد عندما كانوا يختمون بعلامة تدل على من يمتلكهم ، تماماً كما يحدث للماشية فى أيامنا الحالية . كان هؤلاء المعلمون الكذبة يحملون فى ضمائرهم دمغة الشيطان نفسه ، فهم مفرزون لخدمته ، تابعون له فى كل شىء .

والآن هنا يكمن الخطر والتهديد . فنحن نعلم أن الله وروح الله يبحث فى كل مكان عن أناس للخدمة . يبحث الله دائماً عمن يستخدمهم أدوات له ، وأسلحة له ، فى هذا العالم . ولكن هنا أيضاً نأتى وجهاً لوجه مع الحقيقة الرهيبة أن قوات الشر تبحث أيضاً عن أناس لتستخدمهم . تماماً كما يريد الله أشخاصاً لتحقيق أغراضه ، تريد قوات الشر أشخاصاً لأغراضها . هنا تكمن المسئولية الرهيبة الملقاة على عاتق البشر . أما أن يقبل الإنسان خدمة الله ، وإما أن يقبل خدمة الشيطان . إما أن يصبح الإنسان أداة فى عمل الخير الإسمى أو فى عمل أقصى الشر . يواجه الإنسان الاختيار الأبدى ، لمن نعطى حياتنا ،

لله أم لعدو الله ؟ هل نعتزم أن نستعمل بواسطة الله ، أو نصمم على أن يستخدمنا الشيطان ؟

مستعبدون للناس مهينون لله

نشر هراطقة أفسس تعليما فاسداً ذا نتائج محددة بالنسبة للحياة . كما رأينا سابقاً ، كان هؤلاء الهراطقة غنوسيين ؛ ومضمون الغنوسية هو صلاح الروح الكامل وفساد المادة الكامل . أحد النتائج المترتبة على هذا التعليم هو أن البعض بشر بفساد الجسد ، وأن كل ما يتعلق بالجسد ، كل غريزة طبيعية ووظيفة طبيعية ، شريرة ، وأن العالم شرير ، وكل ما فى العالم شرير ، وأن أجمل ما فى العالم يجب أن يهمل ويحتقر . وقد أدى هذا التعليم فى أفسس إلى خطأين محددين . فقد أصر هؤلاء الهراطقة على أن يمتنع الناس ، بقدر الإمكان ، عن الطعام ، لأن الطعام مادة والطعام شر ؛ الطعام يخدم الجسد والجسد شرير ؛ بالإضافة إلى ذلك : أصروا على امتناع الرجل عن الزواج ، لأن الجسد شرير ، وغرائز الجسد شريرة ويجب أن تكتم تماماً .

كانت هذه الهرطقة متكررة الحدوث فى الكنيسة ؛ فى كل جيل ظهر رجال يودون أن يكونوا أكثر تدقيقاً من الله . عندما جاء الوقت لتدوين **القوانين الرسولية** ، كان من الضرورى توضيح ذلك الأمر بلا لبس : « إذا امتنع ناظر ، أو أسقف أو شماس أو أى من كان فى قائمة الكهنوت ، عن الزواج أو اللحم أو الخمر ، لا بقصد التقشف (لتهذيب الجسد) ، بل نتيجة لكراهيته لهذه الأشياء باعتبارها شراً فى ذاتها ، متناسياً أن كل الأشياء حسنة ، وأن الله خلق الإنسان ذكراً وأنثى وبتجديف وتجريح لعمل الله ؛ إما أن يرتدع ، أو يخلع ويطرد خارج الكنيسة . وكذلك يعامل العلمانى بالمثل (القانون الرسولى ٥١) . ويكتب إيريناوس Irenaeus فى أواخر القرن الثانى ،

فيخبرنا أن أتباع ساتورنينس Saturninus يعلنون أن الزواج وإنجاب الأطفال من إبليس . وبالمثل كثيرون يمتنعون عن الأطعمة الحيوانية ، ويجتذبون كثيرين بخدع وأساليب شيطانية (إيريناوس ، ضد الهرطقات ١ ، ٢٤ ، ٢) . وصل هذا النوع من التفكير أقصاه فى الرهبان والنساك فى القرن الرابع . تركوا كل شيء وعاشوا فى الصحراء المصرية ، فى عزلة كاملة عن بقية الناس . أمضوا حياتهم فى تعذيب الجسد . أحدهم لم يذق طعاماً مطبوخاً وكان يشتهر « بلا جسدية » . وآخر أمضى ليلة بأكملها على صخرة حادة بارزة فكان من المستحيل عليه أن ينام . واشتهر ثالث لأنه ترك جسده فى قذارة تامة وأهمل الدود المتساقط منه أثناء سيره . ورابع يأكل الملح فى منتصف الصيف ثم يمتنع عن شرب الماء . قالوا « الجسم النظيف يعنى بالضرورة روحاً غير نظيف » .

والرد على هؤلاء الناس هو أنهم باتيانهم أعمالا مثل هذه ، إنما يهينون الله لأن الله خالق هذا العالم ؛ وقيل مراراً وتكراراً إن خليقة الله حسنة . « ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جداً » (تكوين ١ : ٣١) . « كل دابة حية تكون لكم طعاماً » (تكوين ٩ : ٣) . « خلق الله الإنسان على صورته ... ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ١ : ٢٧ و ٢٨) إذاً ما أبعد هذا عن الشر ، كل ما خلقه الله جيد .

ولكن كل عطايا الله يجب أن تستخدم بطريقة معينة .

١ — يجب أن تستخدم فيما هو تذكار أنها عطايا الله . هناك أشياء تأتينا بصفة منتظمة وبدون انقطاع حتى أننا نبدأ فى نسيان أنها عطايا ونأخذها على كونها حقوق لنا . يجب أن نذكر أن كل ما لدينا هبة من الله ، وأننا لن نستطيع أن نتنفس بدون الله ، وأنه لن توجد نسمة حية أو شيئاً نامياً تكون له حياة منفصلة عن الله .

٢ ــ يجب أن تستخدم فى المشاركة . كل استعمال ذاتى ممنوع . لا يستطيع أحد أن يحتكر هبات الله ؛ يجب أن يتشاركوا فيها الجميع .

٣ ــ يجب أن تستخدم بالشكر . دائماً تسبق صلاة الشكر مائدة الطعام : كان اليهودى يشكر دائماً . وكان له شكر خاص يختلف باختلاف الظروف : فعندما يأكل فاكهة يقول : « مبارك أنت ، ياملك الكون ، الذى خلقت ثمرة الشجرة » . وعندما يشرب خمراً يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذى خلقت ثمرة الكرمة » . وعندما يأكل خضروات يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذى خلقت ثمرة الأرض » . وعندما يأكل خبزاً يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذى أنبت الخبز من الأرض » . وبمجرد أننا نشكر الله لأجل شئ يجعل هذا الشئ مقدساً . لا يمكن أن يظل شىء غير طاهر عندما يرفع أولا لله . حتى الشياطين نفسها لا تستطيع أن تلمسه إذا لمسه روح الله .

إنه تعليم مسيحى ذاك الذى يقول إن المسيحى الصادق لا يخدم الله باستعباد نفسه للقوانين والنظم واحتقار خليقة الله ؛ إنما هو يخدم الله بتقبل عطايا الله الجيدة بالشكر وتذكر أنه يحيا فى عالم جعل الله كل ما فيه حسناً ، وأن لا ينسى مطلقاً أن يشارك الآخرين فى عطايا الله وأنه يرفع شكر قلبه لله لأجل كل شىء .

٦ إِنْ فَكَّرْتَ ٱلْإِخْوَةَ بِهٰذَا تَكُونُ خَادِماً صَالِحاً لِيَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ مُتَرَبِّياً بِكَلَامِ ٱلْإِيمَانِ وَٱلتَّعْلِيمِ ٱلْحَسَنِ ٱلَّذِي
تَتَبَّعْتَهُ . ٧ وَأَمَّا ٱلْخُرَافَاتُ ٱلدَّنِسَةُ ٱلْعَجَائِزِيَّةُ فَٱرْفُضْهَا
وَرَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى . ٨ لِأَنَّ ٱلرِّيَاضَةَ ٱلْجَسَدِيَّةَ نَافِعَةٌ
لِقَلِيلٍ وَلٰكِنَّ ٱلتَّقْوَى نَافِعَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ إِذْ لَهَا مَوْعِدُ ٱلْحَيٰوةِ
ٱلْحَاضِرَةِ وَٱلْعَتِيدَةِ . ٩ صَادِقَةٌ هِيَ ٱلْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ
قُبُولٍ .

تيموثاوس ٤ : ٦ — ٩

هنا جزء مشحون بالنصائح العملية ، ليس فقط لتيموثاوس ، بل لكل معلم أو خادم فى الكنيسة مكلف بواجب العمل والقيادة فى الكنيسة .

١ — فهو يخبرنا كيف نرشد الآخرين . الكلمة المستعملة فكرت الأخوة كلمة عميقة المعنى (hupotithesthai) . لا تعنى إصدار أوامر ؛ بل بالأحرى تعنى تبادل المشاورة ، النصيحة ، والإرشاد ، والاقتراح . فهى كلمة رقيقة ، متواضعة . تعنى أن المعلم والقائد لا ينبغى له قط أن يضع قانوناً فيه روح الجمود والإساءة والعداء . تعنى أنه لا ينبغى له أن يصدر إرشاداته بجمود الدكتاتور أو كبرياء الطاغية . تعنى بالأحرى أن يتظاهر أن كل ما يقصده هو مجرد تذكير الناس بما يعرفونه فعلا ، أو مقترحاً عليهم ، إنه

لا يقصد أن يتعلموا منه ، بل أن يكتشفوا الصواب من داخلياتهم وصوت قلوبهم . الإرشاد الذى يقدم فى رقة أبعد تأثيراً من الإرشاد الصادر عن قوة آمرة ناهية . ما أصدق القول إنه يمكن قيادة الناس ولكن يصعب سوقهم .

٢ ــ يخبرنا **كيف نواجه مأمورية التعليم** . يقال لتيموثاوس أن يغذى حياته بكلام الإيمان . لا يستطيع أحد أن يعطى بدون أن يأخذ . من يرغب أن يعلم يجب أن يكون هو نفسه مستعداً للتعليم دائماً . من الخطأ الشائع الاعتقاد بأنه متى أصبح الشخص مدرساً ، كف عن الدراسة . على الإنسان أن يغذى عقله باستمرار قبل أن يستطيع تغذية عقول الآخرين ؛ يجب أن يزداد يومياً فى معرفته بيسوع المسيح قبل أن يقدم المسيح للغير . لكى يستطيع الإنسان أن يحضر آخرين للايمان عليه أن يتغذى هو شخصياً بالإيمان .

٣ ــ يخبرنا **ماذا نتجنب** . يجب أن يتجنب تيموثاوس الخرافات التى لا طائل من ورائها كتلك التى تقصها عجائز النسوة على الأطفال . من الضرورى أن نظل دائماً فى مركز الإيمان . فمن السهل أن نضل الطريق فى الخلافات الجانبية والأمور الفرعية . ومن السهل أن ننشغل بأمور أقل ما يقال فيها إنها حشو وتفاهة .

إن الحقائق الجوهرية والواقع هى التى تغذى عقل الإنسان .

٤ ــ يخبرنا **عما نبحث** . يقال لتيموثاوس إن على المسيحى أن يدرب نفسه على التقوى ، تماماً كما يدرب الرياضى بدنه للألعاب . ليس المقصود هنا التحقير من شأن اللياقة البدنية . لأن الإيمان المسيحى يثق فى أن الجسد هو هيكل الروح القدس . ولكن هناك أشياء معينة تدور بخلد بولس هنا . أولا ؛ كانت الملاعب أماكن خطيرة فى العالم القديم ، وخاصة فى اليونان .

كان لكل مدينة ملعبها الخاص ؛ وكان شباب اليونان فيما بين السادسة عشر والثامنة عشر يتمرنون على الألعاب كجزء رئيسى فى ثقافتهم . ولكن العالم القديم كان غارقاً فى الشذوذ الجنسى ، واشتهرت الملاعب بكونها مرتعاً خصيباً لهذه الخطية بالذات . ثانياً ، ما قصده بولس هنا هو الرجاء بوضع الأمور فى نسبها الصحيحة . التدريب الرياضى والبدنى شىء جيد ، وضرورى أيضاً ؛ ولكن فائدته محدودة . فهو يربى جزءاً فى الشخص ، ويأتى بنتائج لا تستمر طويلا ، لأن الجسد يمضى إلى فناء . أما التدريب على التقوى ، وعلى عمل الخير ، فانما يربى كل ما فى الشخص ، جسداً وعقلا وروحاً ، ونتائجه لا تشمل الزمن الحالى فقط بل والأبدية أيضاً . إذا المسيحى ليس هو رياضى الملاعب بل رياضى الله .

٥ ــ وأخيراً ، يرينا هذا الجزء **أساس الأمر كله** . لا يدعى أحد أن طريق الحياة المسيحية سهل ؛ **ولكن هدف الله** . يتقبل الإنسان احتمال المشاق لأن الإنسان يرتجى الله ، ولأنه يرى الله فى نهاية الرحلة ، ولأن الحياة تقضى فى حضرة الله وتنتهى إلى القرب منه أكثر ، فعظمة الهدف تستحق مشقة الصراع .

الطريق الوحيد لإسكات الإنتقاد

١٠ لأَنَّنا لِهٰذَا نَتْعَبُ وَنُعَيَّرُ لأَنَّنا قَدْ أَلْقَيْنَا رَجَاءَنَا
عَلَى اللهِ الْحَيِّ الَّذِى هُوَ مُخَلِّصُ جَمِيعِ النَّاسِ وَلاَ سِيَّمَا
الْمُؤْمِنِينَ . ١١ أَوْصِ بِهٰذَا وَعَلِّمْ .

١٢ لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
فِى الْكَلاَمِ فِى التَّصَرُّفِ فِى الْمَحَبَّةِ فِى الرُّوحِ فِى الإِيمَانِ
فِى الطَّهَارَةِ.١٣ إِلَى أَنْ أَجِيءَ اعْكُفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعْظِ
وَالتَّعْلِيمِ .١٤ لاَ تُهْمِلِ الْمَوْهِبَةَ الَّتِى فِيكَ الْمُعْطَاةَ لَكَ
بِالنُّبُوَّةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِى الْمَشْيَخَةِ .١٥ اهْتَمَّ بِهٰذَا . كُنْ
فِيهِ لِكَىْ يَكُونَ تَقَدُّمُكَ ظَاهِراً فِى كُلِّ شَيْءٍ .١٦ لاَحِظْ
نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذٰلِكَ. لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هٰذَا
تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضاً .

١ تيموثاوس ٤ : ١٠ – ١٦

أحد المصاعب التى كان على تيموثاوس أن يتغلب عليها هى صغر السن . ولكن لا يجب أن نظن أنه مجرد حدث . فهما كان صغيراً ، إنما مر عليه ١٥ عاماً منذ أن أصبح مساعداً لبولس . الكلمة المستعملة لشاب **(neotés)**

تصف فى اليونانية أى فرد يصلح للتجنيد ، أى حتى سن الأربعين . ولكن الكنيسة كانت تتطلب فى موظفيها أن يكونوا رجالا ناضجين . وقد حددت القوانين الرسولية فيما بعد سن الأسقف بخمسين سنة أو أكثر ، حتى يكون قد جاز التيارات الشبابية». ولكن تيموثاوس كان صغيراً بالنسبة لبولس، ولا بد أن هناك كثيرون كانوا يرقبونه بعين الانتقاد، محاولين دائماً أن يجدوا الخطأ وأن ينتقدوه . عندما كان الشيخ وليام بت ، لورد مشاتهام الكبير ، يلقى خطاباً بمجلس العموم وهو فى سن الثالثة والثلاثين قال : « إنها جريمة فظيعة أن تكون صغير السن . . . . لن أحاول التقليل منها أو إنكارها » . كانت الكنيسة ترقب دائماً الشباب بنوع من الشك ، وكان من المحتم أن يعانى تيموثاوس من هذا الشك . كانت النصيحة التى أعطيت لتيموثاوس أصعب نصيحة يمكن اتباعها ، ورغم ذلك كانت النصيحة الوحيدة الممكنة . كانت النصيحة أن يسكت تيموثاوس الانتقاد بسلوكه . اتهم مرة أفلاطون ، فيلسوف اليونان الكبير ، اتهاماً باطلا بسلوك معيب . فقال « حسناً ، يجب أن نحيا بطريقة تجعل كل الناس يرون أن الاتهام باطل » . لا يمكن للمناقشات والدفاع اللفظى أن تسكت الانتقاد، ولكن السلوك يستطيع ذلك . ما هى إذاً العلامات التى يجب أن تميز سلوك تيموثاوس ؟

١ ــ أولا ، يجب أن تكون هناك محبة Agapé وهى الكلمة اليونانية لأعظم الفضائل المسيحية ، وهى كلمة لا توجد لها ترجمة حرفية . معناها الحقيقى محبة للآخرين لا تقهر . لو كان لشخص agapé ، فانه مهما فعل به الناس أو قالوا عنه ، ومهما عامله الآخرون ، فانه لن يرتجى إلا خيرهم . لن يضمر قلبه قط على مرارة ، أو حقد أو انتقام ؛ ولن يسمح لنفسه قط أن يكره ؛ ولن يمتنع مطلقاً عن الصفح والمغفرة . مهما كان نوع الناس حوله ، ومهما كانت تصرفاتهم تجاهه ، فانه يبحث دائماً عن خيرهم . من الواضح

أن هذا النوع من الحب يتطلب كل ما فى شخصية الإنسان لكى يحققه . يأتى الحب عادة رغماً عنا . محبة أقرب وأعز الناس علينا غريزة تكون جزءاً من كيان الإنسان . محبة رجل لفتاة تجربة غير مقصودة لم يسع لأجلها . فهى تأتى بدون دعوة . الحب العادى شىء من القلب ، ولكن من الواضح أن هذه المحبة المسيحية أكثر من شىء من القلب ؛ لأنها شىء من الإرادة . فهى ليست بشىء يأتى رغماً عنا ، بل هى تحقيق لجهاد وانتصار . المحبة المسيحية هى انتصار على النفس نستطيع به أن نربى فى نفوسنا اهتماماً بالآخرين لا يقهر . إذاً ، أول علامة مميزة حقيقية للقائد المسيحى هى اهتمامه بالآخرين ، مهما فعل به الآخرون . يجب أن يفكر القائد السريع الغضب ، والذى يحمل ضغينة فى نفسه ، فى هذا الحب .

٢ — ثانياً ، هناك الإيمان . الإيمان ثقة لا تتزعزع بالمسيح ، مهما كان الثمن الذى يدفع لهذه الثقة . ليس من الصعب أن تكون جندياً ممتازاً عندما تسير كل الأشياء على ما يرام . ولكن الجندى الشجاع حقيقة هو من يستمر فى القتال بشجاعة عندما يكون الجسد خائراً والمعدة خاوية ، عندما يبدو الموقف ميئوساً منه ، وعندما يجد نفسه فى وسط معمعة لا يدرى عن تحركاتها شيئاً . إذاً ثانى علامة مميزة للقائد المسيحى هى إخلاص للمسيح إخلاصاً يتحدى الظروف ، إخلاص صادق سواء أشرقت الأنوار أو حلت الظلال .

٣ — ثالثاً ، هناك الطهارة . الطهارة ولاء ثابت لا يقهر لمبادىء يسوع المسيح . عندما رفع بلينى Pliny حاكم بثينيا Bithynia تقريره إلى الامبراطور تراجان Trajan ذكر عن المسيحيين فى ولايته ما يأتى : « اعتادوا أن يرتبطوا بقسم ألا يرتكبوا جريمة سرقة ، أو سلب ، أو زنا ؛ وألا ينكثوا أبداً بكلمة قالوها أو ينكروا تعهداً أعطوه إذا طولبوا بوفائه » .

كان التعهد المسيحى ميثاقاً لحياة طاهرة . لهذا كان على المسيحى أن يحافظ على مستوى من الشرف والأمانة ، ومستوى من ضبط النفس والعفة ، ومستوى من التربية والاعتبار يفوق كثيراً المستويات العالمية . والحقيقة البسيطة هي هذه ، أن العالم لن يجد نفعاً فى المسيحية ، حتى تثبت الكنيسة المسيحية أنها تخرج أفضل الرجال والنساء فى العالم . إذاً ، ثالث علامة مميزة للقائد المسيحى هى حياة تحيا على مبادىء يسوع المسيح لا مبادىء العالم .

واجبات القائد المسيحى داخل الكنيسة

كانت هناك واجبات معينة ملقاة على تيموثاوس ، مبعوث الكنيسة والقائد الصغير . فقد كان عليه أن يكرس نفسه لقراءة الإنجيل العامة ، للوعظ وللتعليم . فى هذه التوجيهات نجد نموذج الخدمة فى الكنيسة المسيحية .

أول وصف للخدمة المسيحية جاء فى أعمال جوستين مارتر Justin Martyr فحوالى عام ١٧٠ ميلادية كتب جوستين مارتر دفاعاً عن المسيحية إلى الحكومة الرومانية ، وصف فيه نوع الخدمة فى الكنيسة الأولى (الاعتذار الأول ، ١ : ٦٧ لجوستين مارتر) : « فى اليوم الذى يدعى يوم الشمس ، يجتمع كل أهل المدن والريف فى مكان واحد . يبدأ الاجتماع بقراءات فى كتابات الرسل والأنبياء وتستمر القراءة طالما سمح الوقت . ثم يتوقف القارئ ، بينما يأخذ قائد الاجتماع فى حث المجتمعين وتشجيعهم على اتباع هذه التعاليم الجيدة . ثم يقف المجتمعون معاً ويشتركون فى صلاة جماعية » . إذاً نموذج الخدمة المسيحية يشتمل على ثلاثة أشياء .

١ — يجب أن تكون هناك قراءة وعرض للكتاب المقدس . ففى مجمل الأمر لا يجتمع الناس للاستماع إلى آراء واعظ ؛ بل يجتمعون معاً لسماع كلمة الله . الخدمة المسيحية ترتكز حول الكتاب المقدس .

٢ — يجب أن يكون هناك تعليم . الكتاب المقدس كتاب صعب ، ولهذا يحتاج للشرح . والعقيدة المسيحية ليست سهلة الفهم . ولكن يجب أن يكون الشخص قادراً على تفسير أسباب الرجاء الذى فيه . ما أقل الفائدة فى حث إنسان أن يكون مسيحياً ، إذا لم يكن يعرف ما قيمة أن يكون مسيحياً . الواعظ المسيحى هو من أمضى سنوات عديدة من حياته يكتسب فيها العدة اللازمة ليفسر الإيمان للآخرين . لقد تحرر من واجبات الحياة وأعمالها المعتادة ليتفرغ للتفكير والدراسة والصلاة حتى يستطيع أن يعلن كلمة الله بعمق وتفهم . ولن يثبت وينمو الإيمان المسيحى فى كنيسة تنقصها خدمة التعليم .

٣ — يجب أن يكون هناك وعظ . يجب أن تختم الرسالة المسيحية بالعمل المسيحى . بعد كل عظة للكلمة هناك شىء ما يجب أن ينفذ . قال أحدهم إن كل عظة يجب أن تختم بهذا التحدى : « ما رأيك فى هذا يا عزيزى ؟ » . ليس كافياً أن تقدم الرسالة المسيحية كموضوع للدراسة والمعرفة والفهم ؛ إنما يجب أن تقدم كعمل واجب الأداء . فالمسيحية هى الحق ، ولكنه الحق فى التصرف والعمل .

٤ — هناك الصلاة . يتم الاجتماع كله فى حضرة الله ، ويفكر فى روح الله وينصرف فى قوة الله. فلا الوعظ ولا الإصغاء أثناء العبادة ، ولا الخدمة العاملة بعد ذلك فى العالم يمكن أن تتم دون عون روح الله .

لن يضيرنا أن نمتحن خدماتنا الحديثة أحياناً بالقياس إلى نموذج الخدمات الأولى فى الكنيسة المسيحية .

واجبات القائد المسيحى الشخصية

نجد فى هذا الجزء صورة حية نابضة لواجبات القائد المسيحى الشخصية :

١ ـ يجب أن يذكر أنه مفرز لعمل خاص فى الكنيسة . صفة القيادة المسيحية لا تعنى شيئاً إذا لم تقترن بالكنيسة . فتكليفه جاء من الكنيسة ؛ وعمله يدور فى صميم الشركة بالكنيسة ؛ وواجبه أن يبنى آخرين للكنيسة . وهذا هو بعينه السبب أن أى عمل هام بالكنيسة لا يقوم به واعظ متجول ، ولكنه يتم دائماً خلال الخدمة الثابتة فى الكنيسة . بدون كنيسة يصبح القائد المسيحى رمزاً لا معنى له .

٢ ـ يجب أن يذكر الواجب فى التفكير بهذه الأمور . من الأخطار الكبيرة التى يتعرض لها القائد المسيحى ركود الذهن وجمود العقل . الخطر أن ينسى الدراسة ويسمح لأفكاره أن تجرى فى خطوط مطروقة معروفة . الخطر أن لا يخاطر بالخروج عن مدارات بعض الآراء المحدودة المفضلة . الخطر أن الحقائق الجديدة والطرق الجديدة ، والمحاولات لتفسير الإيمان بأساليب العصر ، لا تعنى بالنسبة له إلا الضيق والمضايقة . القائد المسيحى يجب أن يكون مفكراً مسيحياً وإلا فشل فى مأموريته ؛ ولكى تكون مفكراً مسيحياً يجب أن تكون مفكراً جريئاً مخاطراً طالما كانت فى الحياة نسمة .

٣ ـ يجب أن يذكر واجب التركيز . فحياته كلها يجب أن توجد وتتركز فيما يعلمه . الخطورة هنا أن القائد المسيحى ربما استهلك كل طاقاته فى أشياء كثيرة ليست بذات أهمية أو قيمة بالنسبة للايمان المسيحى . فهو معرض دائماً لدعوته إلى واجبات كثيرة ؛ وهو مواجه دائماً بمطالب مختلفة . من عدة دوائر للخدمة ؛ ولكن واجبه الوحيد هو التركيز على العمل الذى أفرز لأجله .

كان هناك نبي واجه آخاب بنوع من الأمثال . قال إن رجلا أتى بأسير من معركة وطلب منه أن يحرسه ، قائلا إنه إذا أفلت الأسير تصبح حياته هو فى خطر . ولكنه سها عن الرقابة « وفيما عبدك منشغل هنا وهناك ، إذا هو مفقود » (ملوك أول ٢٠ : ٣٥ – ٤٣) . ومن السهل على القائد المسيحى أن ينشغل هنا وهناك ، ويسمح للأمور الرئيسية أن تفلت . التركيز إذا هو الواجب الأول على القائد المسيحى .

٤ – يجب أن يذكر واجب التقدم . ونموه وتقدمه يجب أن يكون واضحاً لجميع الناس . من الحق أن يقال إن معظمنا تغلبه نفس الأمور سنة بعد أخرى وأننا ضحية لنفس الأخطاء من الطبع والخلق ؛ وأننا نفشل لنفس الأسباب ؛ وأنه رغم تعاقب السنين لا نحرز تقدماً فى هذا السبيل . ويحث القائد المسيحى الآخرين أن يقتدوا بالمسيح ، كيف يستطيع أن يفعل هذا بأمانة إذا لم ينمى نفسه يوماً بعد يوماً فى التشبه بسيده الذى يسعى لخدمته ؟ عندما اعتزم كاجاوا Kagana أن يصبح مسيحياً ، كانت صلاته الأولى هكذا : « يا إلهى ، إجعلنى كالمسيح » . لهذا صلاة القائد المسيحى الأولى أن ينمو نحو شبه أكبر بالمسيح ، لأنه بهذا وحده يمكنه أن يقود آخرين للمسيح .

الأَصْحاحُ ٱلْخامِسُ

واجب الزجر

١ لاَ تَزْجُرْ شَيْخاً بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ وَٱلأَحْدَاثَ كَإِخْوَةٍ
٢ وَٱلْعَجَائِزَ كَأُمَّهَاتٍ وَٱلْحَدَثَاتِ كَأَخَوَاتٍ بِكُلِّ طَهَارَةٍ .

١ تيموثاوس ٥ : ١ ، ٢

من الأمور العسيرة أن تزجر شخصاً بلطف ؛ وكان على تيموثاوس أن يواجه أحياناً واجباً مضاعف الصعوبة ، واجب زجر شخص أكبر منه سناً . كتب كريسوستم Cyrysostom : « اللوم فى طبيعته كريه ، خاصة إذا وجه إلى إنسان مسن ؛ وإذا كان هذا اللوم صادراً من إنسان صغير السن ، تصبح الملامة مثلثة . لهذا يجب أن يلطف من وقعه بالأسلوب والرقة التى يوجه بها اللوم . لأنه فى الإمكان أن تعتب دون أن تهاجم ، فاذا أردت أن تجعل هذا هدفاً ، يتطلب الأمر حرصاً عظيما ، ولكن يمكن تحقيقه » .

العتاب والزجر مشكلة مستديمة . أحياناً نضيق جداً بمأمورية إسداء كلمة تحذير لشخص ما للدرجة أن نغفل الموضوع كلية . كم من الناس كان يمكن تجنيبهم الحزن واليأس ، لو كان واحد فقط قد قال كلمة للتحذير أو للعتاب فى الوقت المناسب . ليست هناك مأساة أكثر إيلاماً على النفس من أن تسمع واحداً يقول لنا : « لا يمكن أن أكون قد وصلت إلى هذا ، لو كلمتمونى فى الوقت المناسب » . من الأخطاء الشائعة أن نغفل الكلمة التى يجب أن تقال فى حينها .

وقد تعتب وتزجر شخصاً بطريقة لا تنم إلا عن الغضب المكبوت في أصواتنا والضيق والمرارة فى عقولنا وقلوبنا . العقاب الذى لا يصدر إلا عن غضب ، عتاب يبدو صادراً عن كراهية ومقت واحتقار وزراية ولا يسببه إلا الخوف ، ربما آلم وأحزن ، ولكنه قطعاً سينشئ حقداً ، وتأثيره النهائى سيكون ببساطة تثبيت الإنسان المخطئ فى خطأ طرقه . عتاب الغضب والزجر باحتقار لا تأثير لها ، وغالباً الضرر الناتج أكثر كثيراً من الصالح المرجو .

قيل عن فلورنس آلشورن Florence Allshorn ، المعلمة المرسلة الشهيرة ، إنها ، عندما كانت عميدة لإحدى كليات البنات ، كانت تعتب على تلميذاتها ، إذا دعت الحاجة ، وزراعها تحيط بهن . العقاب الذى يصدر عن المحبة الواضحة هو العقاب الوحيد الذى له تأثير . لو توفرت لدينا الأسباب لزجر إنسان ما ، يجب أن يكون قيامنا بهذا العمل بطريقة تنم بوضوح تام ، أننا إنما نعاتب لا لأننا نجد متعة ولذة فى ذلك ، ولا لأننا نرغب فى العقاب ، ولكن إنما نفعل هذا بدافع المحبة الخالصة ، ورغبتنا فى مساعدة الشخص لا الإضرار به .

العلاقات فى الحياة

هاتان الآيتان تصفان روح العلاقات التى يجب أن تسود بين المجموعات المختلفة فى السن .

١ — يجب أن نظهر المودة والاحترام نحو من هم أكبر منا سناً . المسن يجب أن يعامل كأب ، والمسنة كأم . كان العالم القديم يعرف جيداً التقدير والاحترام الواجب نحو السن . كتب شيشرون Cicero : « إن واجب

صغير السن أن يظهر التقدير نحو من هم أكبر منه ، وأن يلتصق بأفاضلهم ، حتى يأخذ عنهم المشورة وينتفع بتأثيرهم . فقلة خبرة الشباب تحتاج لحكمة السن لتقويتها وتوجيهها . هذه الفترة من الحياة تحتاج فوق كل شيء لوقايتها ضد الحسية وتمرينها على الكفاح وقوة الاحتمال للعقل والجسد ، لمواجهة أعباء الحياة العسكرية والخدمة العامة فيما بعد . وحتى عندما يرغبون فى إراحة عقولهم وإعطاء أنفسهم بعض المتعة ، يجب أن يحذروا المبالغة ويتذكروا دائماً قواعد التواضع . وسيكون هذا الأمر أكثر يسراً ، إذا لم يتجنب الشباب مشاركة الشيوخ ، حتى فى مسراتهم » كتب أرسطو : « يجب أن يكون التكريم نحو كبار السن متناسباً مع سنهم ، بالنهوض لاستقبالهم ، وإيجاد كراسى لهم . . . وهكذا » ، إحدى ماسى الحياة أن يميل الشباب إلى اعتبار السن سبباً للضيق . يجب أن يعطى السن ما يليق به من احترام ومودة نحو أولئك الذين عاشوا طويلا وعملوا كثيراً فى طريق الحق والخبرة . هناك مثل فرنسى شهير يقول : « آه لو علم الشباب ، آه لو قدر الشيوخ » ولكن إذا تواجدت المحبة والاحترام المتبادل ، لأمكن لحكمة السن وخبرته أن تتعاون مع قوة ومخاطرة وحماس الشباب ، نحو فائدة عظيمة للاثنين .

٢ ـ يجب أن نظهر **الأخوة** نحو معاصرينا . يجب أن يعامل الشباب كالأخوة . وقد أجمل أرسطو إذ قال : «نحن الرفقاء والأخوة يجب أن يعطوا حرية الكلام والمشاركة فى استعمال كل الأشياء » (أرسطو ، **Nicomachean Ethics** ٩ : ٢) يجب أن تتسم علاقاتنا بزملائنا بروح الاحتمال والمشاركة . من كانوا مسيحيين لا يمكن أن يظلوا غرباء بعضهم عن بعض ؛ يجب أن يكونوا أخوة فى الرب .

٣ ـ أما علاقاتنا بالجنس الآخر فيجب أن تتسم **بالطهارة** . هناك جملة شهيرة تتكلم عن « الصداقة العذرية » . الحب يجب أن يحفظ لشخص واحد » ومن الأمور الخطيرة أن تسود الأشياء الحسية العلاقات بين الجنسين ، عندما لا يرى الرجل فى المرأة إلا الجسد . يجب أن تكون هناك مشاركة عقلية وقلبية بين شعب الله الذى تطهر من الشهوات ، فيعيشون متمتعين بالثقة وبأروع نوع من الحب المسيحى المتبادل .

٣ أَكْرِمِ ٱلْأَرَامِلَ ٱللَّوَاتِي هُنَّ بِٱلْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ
٤ وَلٰكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلَادٌ أَوْ حَفَدَةٌ فَلْيَتَعَلَّمُوا
أَوَّلاً أَنْ يُوَقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمُ ٱلْمُكَافَأَةَ
لِأَنَّ هٰذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ ٱللهِ . ٥ وَلٰكِنَّ ٱلَّتِي هِيَ
بِٱلْحَقِيقَةِ أَرْمَلَةٌ وَوَحِيدَةٌ فَقَدْ أَلْقَتْ رَجَاءَهَا عَلَى ٱللهِ وَهِيَ
تُوَاظِبُ ٱلطَّلَبَاتِ وَٱلصَّلَوَاتِ لَيْلاً وَنَهَاراً . ٦ وَأَمَّا ٱلْمُتَنَعِّمَةُ
فَقَدْ مَاتَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ . ٧ فَأَوْصِ بِهٰذَا لِكَيْ يَكُنَّ بِلَا لَوْمٍ
٨ وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ
فَقَدْ أَنْكَرَ ٱلْإِيمَانَ وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِ .

١ تيموثاوس ٥ : ٣ – ٨

ورثت الكنيسة المسيحية تقليداً جميلا لمعاونة المحتاجين . لم يعتن شعب بالمحتاجين والمسنين قدر اعتناء الشعب اليهودى . هنا تقدم النصيحة نحو الاعتناء بالأرامل . ومن المحتمل وجود طبقتين من النساء هنا . كان يوجد بالتأكيد أرامل ترملوا طبيعياً بموت أزواجهن . ولكن من المحتمل أن المقصود أيضاً بالأرامل طبقة أخرى من النساء . كان مألوفاً فى العالم الوثنى أن يحتفظ الرجل لنفسه بأكثر من زوجة واحدة ، فتعدد الزوجات كان ما زال معترفاً

به . ولكن إذا ما تحول الرجل للمسيحية ، فقد كان عليه أن يختار الزوجة التى سيعيش معها ، وكان معنى هذا الاستغناء عن بعض الزوجات. هؤلاء النساء كن فى أشد حالات التعاسة وفى موقف يائس تماماً . ويمكن أن تتكرر نفس القصة فى بعض ميادين الإرساليات الآن . ومن المحتمل أن اعتبرت الكنيسة مثل هؤلاء النساء كأرامل ، وقدمت لهن المعونة .

وقد حدد القانون اليهودى نظاماً يوفر الرجل بمقتضاه ما يقيم أود زوجته الأرملة ، فى حالة وفاته . وجدير بالذكر أن أول موظفين عينتهم الكنيسة المسيحية ، كانت وظيفتهم الاعتناء بالأرامل ومعاملتهم بالعدل والمساواة (أعمال ٦ : ١) . وأرسى أغناطيوس قواعد هذا العمل « لا تهملوا الأرامل . كونوا لهن أوصياء بعد الرب » . ويوصى الدستور الرسولى الأسقف هكذا : « أيها الأسقف ، كن للمحتاجين ذاكراً ، ماداً لهم يد المعونة ، وموفراً لهم احتياجاتهم كوكيل لله ، موزعاً الهبات موسمياً لكل واحد منهم ، للأرامل ، لليتامى ، لمن ليس لهم أصدقاء ، وأولئك المجربين بالآلام » . ويشمل نفس الكتاب إرشاداً لطيفاً رقيقاً : « إذا استلم أحدكم شيئاً لتوصيله إلى أرملة أو امرأة فقيرة . . . عليه أن يقوم بذلك فى نفس اليوم » وكما يقول المثل : « من أعطى سريعاً يعطى مرتين » وكان يهم الكنيسة أن لا ينتظر الفقير فى البؤس والحاجة نتيجة لأن أحد خدام الكنيسة متعطل فى أداء واجبه .

ولكن يجب ملاحظة أن الكنيسة لم تتحمل مسئوليات كبار السن الذين لهم أولاد قادرون على إعالتهم . كان فى العالم القديم تحديد واضح لواجب الأولاد نحو إعالة والديهم المسنين ، وقد أحسن سمبسون **E.K. Simpson** إذ قال : « إن مهنته دينية تقصر عن مستوى الواجب الذى يعرفه العالم خدعة شقية » . لم يكن ممكناً للكنيسة أن توافق على أن يصبح إحسان الكنيسة عذراً للأولاد

أن يتخلوا عن مسئولياتهم . وقد حدد القانون اليونانى منذ عصر سولون أن على الأبناء والبنات ، أخلاقياً وقانونياً ، إعالة والديهم . وكل من رفض هذا الواجب فقد حقوقه المدنية . وذكر استينس ، الخطيب الأثينى ، فى إحدى خطبه : « لنفحص أعضاء الشعب ، حتى لا يوجد فى مجلس الشعب من ضرب أباه أو أمه ، أو أهمل فى إعالتهم أو تجهيز منزل لهم » . ويقول ديموثينس : « إنى أعتبر الرجل الذى يهمل والديه غير مؤمن مكروه من الآلهة والناس معاً » وكتب أفلاطون عن وصية إكرام الوالدين فقال : « عندما يشيخ أبو قردان ويعجز عن الطيران ، يعتكف فى عشه ويغذيه صغاره ، التى تذهب فى متاعب لا تنتهى لتوفر الغذاء » . وكان واضحاً لأفلاطون أنه طالما كان هناك اعتراف فى المملكة الحيوانية بالواجب نحو الوالدين الطاعنين فى السن فمن الأولى أن يصبح هذا الواجب مضاعفاً عند البشر ، ويقول أرسطو : « يجب أن نذكر أنه فى موضوع الطعام يحق أن نساعد والدينا قبل الآخرين ، لأننا ندين بغذائنا ونمونا لهم ، ومن الأكرم أن نساعد فى هذا السبيل أولئك الذين أنجبونا ، مقدمينهم حتى على نفوسنا» . وكان رأى أرسطو أن على الشخص أن يقاسى ألم الجوع قبل أن يسمح لنفسه رؤية والديه فى جوع . أما أفلاطون فقد عبر فى القوانين عن اقتناع مماثل بعظم الدين الذى يدين به الأولاد نحو والديهم . « وبعد هذا يأتى التكريم نحو الوالدين المحبين ، الذين يجب أن نوفى لهم أول وأعظم وأقدم الديون ، واضعين فى الاعتبار أن كل ما يملكه الإنسان إنما يرجع إلى أولئك الذين أعطوه الحياة واعتنوا بتربيته ، وأن عليه أن يفعل كل ما فى مقدوره لخدمتهم ؛ أولا بما تملكه يده ، ثانياً بشخصه ، ثالثاً بروحه ؛ مسدداً لهم الديون المستحقة لهم نتيجة عنايتهم وتعبهم نحوه فى الأيام السالفة أيام طفولته ، والتى يستطيع أن يردها لهم وهم فى وهن الشيخوخة وعجز الاحتياج » .

كذلك أكد العهد الجديد أن إعالة الوالدين جزء أساسى من الواجب المسيحى . إن هذا الأمر يجب أن نذكره دائماً . فنحن نعيش فى زمن تحولت فيه أقدس الواجبات إلى مسئولية الدولة ، مما يجعلنا نتوقع قيام المال العام بالإحسان الواجب على بر الخاصة ، وتعتبر الرسائل الرعوية العون الذى يقدم للوالدين معبراً عن شيئين أولا ، هو تكريم للمحسن إليه . هذه هى الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها الابن أن يظهر روح التكريم والتبجيل التى يحفظها فى قلبه . ثانياً ، هو اعتراف بواجب المحبة . المحبة تكرم دين المحبة ..هو رد لمحبة أخذت فى وقت حاجة بمحبة تعطى فى وقت حاجة ؛ وبالمحبة وحدها فقط يمكن تسديد دين المحبة .

لا زال هناك شئ واحد نذكره هنا ولا يمكن التغاضى عنه . هذا الجزء بالذات يضع صفات معينة يتحتم توفرها فيمن يستحقون عون الكنيسة . وما يصدق على الكنيسة يصدق على العائلة . إذا كان لا بد من إعالة شخص ما يجب أن يكون هذا الشخص مستحقاً للاعالة . إذا كان إيواء أحد الوالدين بمنزل الابن مثيراً للمتاعب نتيجة لتصرفات غبية ، غير حكيمة ، غير رقيقة من جانب الوالد ، يتغير الموقف تماماً . فهنا واجب ثنائى ؛ فواجب الابن أن يعول الوالدين ، كما أن واجب الوالدين أن يقابلا هذا التكريم نحوهما بالرضاء والقبول وإشاعة السلام فى البيت الذى آواهم .

شيخوخة مكرمة نافعة

٩ لِتُكْتَتَبْ أَرْمَلَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ عُمْرُهَا أَقَلَّ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً ٱمْرَأَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ١٠ مَشْهُوداً لَهَا فِى أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ إِنْ تَكُنْ قَدْ رَبَّتِ ٱلْأَوْلَادَ أَضَافَتِ ٱلْغُرَبَاءَ غَسَّلَتْ أَرْجُلَ ٱلْقِدِّيسِينَ سَاعَدَتِ ٱلْمُتَضَايِقِينَ ٱتَّبَعَتْ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ .

اتيموثاوس ٥ : ٩ - ١٠

يتضح من هذا الجزء أن الكنيسة كانت تحتفظ بسجل رسمى للأرامل ؛ ويبدو أن كلمة أرملة استعملت فى معنيين . النساء المسنات اللاتى مات أزواجهن وكانت لهن حياة صالحة نافعة فأصبحت الكنيسة مسئولة عنهن ، ولكن من المؤكد أنه كان فى الكنيسة الأولى ، نظام رسمى للأرامل ، نظام للمسنات المفرزات لتأدية واجبات معينة فى نطاق عمل الكنيسة .

وقد جاء فى التنظيمات التى تضمنها الدستور الرسولى والتى تصف لنا ما كانت عليه حياة الرسول ومؤسسة الكنيسة فى القرن الثالث ما يلى :

« تعين ثلاث أرامل ، اثنتان للمداومة على الصلاة لأجل أولئك الذين فى تجربة ، وللمشاركة فى الرؤى إذا كان هذا ضرورياً ، وواحدة لمساعدة المريضات ؛ يجب أن تكون مستعدة دائماً للخدمة ، حريصة دقيقة مخبرة الشيوخ بالضرورى من الأمور ، ليست طامعة بمال ، ولا مولعة بالخمر ،

حتى تكون يقظة قادرة على تأدية الخدمات الليلية وواجبات المحبة الأخرى » وضع على الأرامل واجبات الصلاة المستديمة ، وواجبات تقديم المحبة والعون لمن هم فى ضيقة .

هذه الطبقة من الأرامل لم يكن من حقها أن ترتسم مثل الشيوخ والأساقفة بل كن يفرزن بالصلاة للعمل الواجب تأديته . ولم يكن يفرزن لهذا العمل حتى يجاوزن الستين من العمر . وقد اعتبر العالم القديم هذه السن خليقة بالتركيز على الحياة الروحية . وقد أبرز أفلاطون ، فى تصوره وتخطيطه للدولة المثالية ، أن سن الستين هى السن المناسبة للرجال والنساء ليصبحوا كهنة وكاهنات وتعتبر شعوب الشرق المتدينة سن الستين سناً مناسباً للانسحاب من نشاطات العالم المختلفة والتفرغ لحياة التأمل .

والرسائل الرعوية عميقة فى الاختبارات العملية ؛ ونجد هنا فى هذا الجزء سبعة صفات يحق توفرها فى أرامل الكنيسة .

أن تكون زوجة رجل واحد . فى عصر تلاشت فيه قيمة رباط الزوجية ، واستهين به على نطاق عام ، كان على الأرامل أن يكن مثال الطهارة والإخلاص

أن يكن قد نلن الشهادة بأعمال صالحة . فكل حامل وظيفة فى الكنيسة ، ذكراً كان أم أنثى ، لا يحتفظ فقط فى يده بسمعته الشخصية واسمه الطيب ، ولكن باسم الكنيسة أيضاً . وموظف الكنيسة السيء السمعة يسيء إلى سمعة الكنيسة ، كما أن أفضل إعلان عن الكنيسة هو خادمها الأمين الذى يطبق مسيحيته على عمله ونشاطاته اليومية فى حياة العالم .

أن يكن قد ربين الأطفال ، وربما المقصود هنا أكثر من معنى واحد فربما كان يعنى هذا أن الأرامل قد قدمن البرهان على الرحمة المسيحية

بتنشئتهن عائلتهن تنشئة مسيحية. ولكن ربما عنى هذا شيئاً أكبر. فى عصر كهذا انحلت فيه روابط الزوجية ، وكان الرجال والنساء يتنازلون عن ارتباطاتهم فى سرعة عجيبة ، اعتبر مجىء الأطفال حجر عثرة . كان الطفل آخر شىء رغب فيه الناس . عندما يولد طفل ، يؤتى به ويوضع أمام قدمى والده . إذا انحنى الأب ورفع الطفل ، اعتبر هذا اعترافاً من الأب بالطفل واستعداده لتقبل مسئولية تربيته . أما إذا أدار الوالد ظهره وسار بعيداً ، كان هذا حكماً بنبذ الطفل ، كنوع من سقط المتاع . وغالباً يجمع هؤلاء الأطفال المنبوذين أناس بلا ضمير أو وازع ، يستغلونهم أبشع استغلال ، فالبنات إلى بيوت الدعارة والأولاد إلى سوق العبيد أو يدربونهم مصارعين فى الألعاب العامة فى مثل هذه الظروف كان واجباً مسيحياً إنقاذ هؤلاء الأطفال من الموت وما هو شر من الموت ، وتربيتهم فى بيت مسيحى . ومعنى هذا أن أولئك الأرامل قد فتحن بيوتهم للأطفال اليتامى والمنبوذين . — أن يكن مضيفات للغرباء . اشتهرت فنادق العالم القديم بشدة قذارتها وارتفاع تكاليفها ، وسوء أخلاقها . لقد كان ما يفعله أولئك الذين يفتحون بيوتهم للمسافر المسيحى ، أو المسيحى الغريب فى مكان غريب ، أو الطلبة الصغار الذين يدرسون بعيداً عن بيوتهم ، إنما يمثل خدمة جليلة ممتازة للمجتمع المسيحى . إن باب البيت المسيحى المفتوح شىء غال عظيم القيمة .

— أن يكن قد غسلن أرجل القديسين . ليس من الضرورى أخذ هذه الجملة حرفياً ، وإن كان المعنى الحرفى يفيد أيضاً . كان غسل أرجل شخص ما من أحط الواجبات التى تترك عادة للعبيد . ومعنى هذا أى الأرامل المسيحيات كن مستعدات لتقبل أحقر الأمور فى خدمة المسيح وشعب المسيح .

— أن يكن قد ساعدن من فى ضيقة أو فى السجن . فى أيام الاضطهاد لم يكن أمراً هيناً زيارة ومساعدة المسيحيين المضطهدين لأجل إيمانهم . من

يفعل هذا يكشف عن شخصيته ويعرض نفسه بالتالى إلى عقاب وسجن مماثل ، على المسيحى أن يساند من فى ضيقة بسبب إيمانهم، حتى ، لو كان فى عمله هذا ما يؤدى إلى جلب المتاعب على نفسه .

— أن يكن قد كرسن أنفسهن لكل عمل صالح . كل إنسان يركز على عمل ما فى حياته ؛ والمسيحى يجعل هدف حياته إطاعة المسيح وعون الناس .

عندما ندرس هذه الصفات المطلوبة فى الأرامل ، نرى أنها بالحقيقة الصفات المرغوبة فى كل مسيحى يحب المسيح ويحب زملائه الناس .

مزية وأخطار الخدمة

كما سبق القول ، كان للأرامل نظام معمول به فى الكنيسة الأولى . وقد تحدد نوع عملهن ومكانه فى الكنيسة بما جاء فى الأبواب الثمانية الأولى للكتاب الثالث من الدستور الرسولى ، ومن المستحسن أثناء فحصنا لهذه الأبواب أن نوضح المزايا والأخطار التى كان من المحتم على هذا النظام أن يمر بها .

١ — أحد الشروط فى النساء اللائى يخدمن فى الكنيسة أن يكن حريصات وخاصة فى القول والكلام : « لتكن كل أرملة وديعة ، هادئة ، رقيقة ، مخلصة ، لا يغلبها الغضب ، غير ثرثارة أو صاخبة أو سريعة الكلام ، لا تتحدث بالشر ، ولا تكون بوجهين أو تعتذر دائماً بكثرة المشغولية . إذا أبصرت أو سمعت ما هو خطأ ، عليها أن تتصرف كما لم تكن قد رأت أو استمعت » . على خادمات الكنيسة أن يكن شديدات الحرص عندما يتكلمن عن الإيمان ، ويناقشنه مع الغرباء : « لأنه عندما يستمع غير المؤمنين إلى عقيدة المسيح ، مفسرة بطريقة خاطئة ، وخاصة ما يتعلق بتجسده وآلامه ،

لن يكون تقبلهم لها بشكر الله بل بالسخرية والتكذيب » . ليس هناك أخطر من خادم الكنيسة الذى يتفوه بأمور خاصة لا يجب أن تقال . . ولا يحق لموظف الكنيسة أو راعيها أن يذيع سراً مثله فى ذلك مثل الكاهن الذى يتلقى سراً فى الاعتراف . أن العامل فى الكنيسة يعد نفسه لتوصيل الإنجيل بصورة تقرب الحق المسيحى من أذهان الناس ولا تبعده عنهم .

٢ ــ على النساء الخادمات فى الكنيسة أن لا يكن فضوليات ثرثارات : « لتعتبر الأرملة نفسها هيكلا لله ، فتجلس فى بيتها ، ولا تدخل إلى بيوت غير المؤمنين مهما كانت الأعذار ولا تقبل منهم شيئاً ؛ لأن هيكل الله ثابت فى مكان واحد ولا يجرى هنا وهناك . لتمتنع إذاً العذراء والأرملة عن اللف والدوران ، أو التردد على بيوت من لا يعرفون الإيمان . لأن مثل أولئك هن الفضوليات الغير حكيمات » . الفضولى الثرثار المغتاب لا يصلح لخدمة الكنيسة .

٣ ــ على الأرملة التى تأخذ إحساناً من الكنيسة أن تمتنع عن الطمع . « هناك أرامل جعلن الربح عملهن ؛ يطلبن بدون خجل ، ويأخذن بدون اكتفاء ، مما يعثر الكثيرين عن العطاء . . . . امرأة كهذه لا تفكر إلا أين تذهب لتأخذ ، ومن من معارفها قد نسيها لتذهب إليها فتذكرها . . .

تقول متبرمة للشماسة التى توزع الصدقات ، ألا ترين أننى فى شدة الضيقة والاحتياج لصدقتك ؟ لماذا تفضلينها على ؟ » . ما أقبح الحياة إن كانت حملا على الكنيسة بدلا من الحياة لأجل الكنيسة .

٤ ــ وقد ذكر أيضاً أن على أولئك النساء أن يفعلن كل ما فى استطاعتهن لمساعدة أنفسهن : « لتأخذ صوفاً وتساعد آخرين بدلا من الحاجة إليهم » . إن صدقة الكنيسة ليس الغرض منها تشجيع الكسل والخمول للناس .

٥ ـــ على أولئك النساء أن لا يكن حاسدات أو غيورات : « بلغنا أن بعض الأرامل غيورات ، حاسدات يضقن بسلام الأخريات . يليق بهن شكر الله إذا نالت زميلة أرملة ملابساً أو نقوداً أو طعاماً أو شراباً من أحد لأن فى ذلك تخفيف لضيقتها وترفيه عنها » .

اجتمعت هنا فى صورة واحدة أنواع الأخطاء التى تعرفها كل كنيسة ، والفضائل التى يجب أن تتميز بها الحياة المسيحية الصادقة .

أخطار الفراغ والبطالة

١١ أَمَّا ٱلْأَرَامِلُ ٱلْحَدَثَاتُ فَٱرْفُضْهُنَّ مَتَى بَطِرْنَ عَلَى
ٱلْمَسِيحِ يُرِدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ .١٢ وَلَهُنَّ دَيْنُونَةٌ لِأَنَّهُنَّ
رَفَضْنَ ٱلْإِيمَانَ ٱلْأَوَّلَ .١٣ وَمَعَ ذٰلِكَ أَيْضاً يَتَعَلَّمْنَ أَنْ يَكُنَّ
بَطَّالاَتٍ يَطُفْنَ فِي ٱلْبُيُوتِ وَلَسْنَ بَطَّالاَتٍ فَقَطْ بَلْ
مِهْذَارَاتٌ أَيْضاً وَفُضُولِيَّاتٌ يَتَكَلَّمْنَ بِمَا لاَ يَجِبُ .
١٤ فَأُرِيدُ أَنَّ ٱلْحَدَثَاتِ يَتَزَوَّجْنَ وَيَلِدْنَ ٱلْأَوْلاَدَ وَيُدَبِّرْنَ
ٱلْبُيُوتَ وَلاَ يُعْطِينَ عِلَّةً لِلْمُقَاوِمِ مِنْ أَجْلِ ٱلشَّتْمِ .١٥
فَإِنَّ بَعْضَهُنَّ قَدِ ٱنْحَرَفْنَ وَرَاءَ ٱلشَّيْطَانِ .١٦ إِنْ كَانَ لِمُؤْمِنٍ
أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَرَامِلُ فَلْيُسَاعِدْهُنَّ وَلاَ يُثَقَّلْ عَلَى ٱلْكَنِيسَةِ لِكَيْ
تُسَاعِدَ هِيَ ٱللَّوَاتِي هُنَّ بِٱلْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ .

اتيموثاوس ٥ : ١١ – ١٦

هذا الجزء يعكس الموقف فى المجتمع الذى وجدت فيه الكنيسة الأولى . لا دينونة على الأرامل الحدثات لزواجهن مرة ثانية لكن يحدث أن يدخل الحزن والموت إلى بيت ، فيموت الزوج ، فتقرر أرملة تحت وطأة الألم والمرارة وبتأثير الدافع الدينى اللحظى أن تظل أرملة ، مكرسة حياتها للمسيح وللكنيسة . فإذا فعلت ذلك كانت تعتبر عروس للمسيح فقد اختارت المسيح

عريساً لها . فإذا ، كسرت عهودها ورغبت فى الزواج ثانية ، تعتبر ناقضة لعهد زواجها بالمسيح . وكان من الأفضل أن تتعهد هذا التعهد مطلقاً . فلن يقلل هذا من شأنها سواء داخل الكنيسة أو خارجها . ولكن متى تعهدت هذا العهد ، فواجبها الوفاء به وأن تحفظ حياتها مكرسة للمسيح .

والذى عقد هذا الموضوع كثيراً الوضع الاجتماعى فى ذلك العصر . كان من قبيل المحال ، فى العالم القديم ، أن تكسب امرأة وحيدة معيشتها عن طريق شريف . فلم يكن هناك شيء تستطيع أن تعمله ، ولا توجد أمامها أى فرصة للعمل . والنتيجة المحتمة ؛ إنسياقها رغماً عنها نحو الدعارة لكى تعيش . لهذا فاننا عندما نقرأ هذا الجزء علينا أن نقرأه وفى أذهاننا صورة واضحة للموقف ، حيث كان من المستحيل كلية على امرأة وحيدة أن تحافظ على استقلالها خلال عمل كريم . كان عليها أن تتزوج ، أو تكرس حياتها كلية لخدمة الكنيسة ؛ ولم يكن هناك حل وسط بين هذين الحلين .

وعلى أى حال ، فان أخطار البطالة هى نفسها فى كل عصر وكل جيل . هناك خطورة عدم الاستقرار ؛ الخطورة الناتجة عن عدم وجود ما يشغل المرأة تماماً ، فيدفعها هذا إلى الطواف من بيت إلى بيت فى حلقة اجتماعية مفرغة . ومن المحتم أن امرأة كهذه تصبح مصدراً للاشاعات ؛ فليس لديها أمر هام تتكلم عنه ، فتميل إلى الثرثرة عن الفضائح ، وإذ تعيد الإشاعة من بيت إلى بيت ، تضيف إليها بعضاً من التنميق وبعضاً من الشر فى كل مرة . وأفضل طريقة لتجنب الثرثرة الفارغة هو حشد الحياة بالنشاطات وملء العقل بالمعرفة حتى يوجد دائماً ما يستحق التكلم فيه . امرأة كهذه تصبح فضولية نمامة . فحيث أنها لا تجد لديها ما يشغل اهتمامها ، تتجه إلى الاهتمام الزائد والتدخل فى شئون الآخرين . صدق القول حينذاك ، كما يصدق الآن » :

« يستخدم الشيطان الأيدى العاطلة فى ارتكاب شرور أكثر » . الحياة الممتلئة بالمشاغل هى الحياة الأسلم ، أما الحياة الفارغة فهى دائماً فى خطر .

إذاً فالنصيحة للأرامل الحدثات أن يتزوجن ، وأن يشتغلن بأعظم المسئوليات على الإطلاق ، مسئولية تربية أسرة وتكوين بيت . نجد هنا مرة أخرى مثالا جديداً على أحد الأفكار الرئيسية فى الرسائل الرعوية . فقد كان اهتمام الرسائل الرعوية منصباً على مظهر المسيحى أمام العالم الخارجى . هل يتيح الفرد المسيحى للعالم الخارجى فرصة لانتقاد الكنيسة ، أم للاعجاب بها ؟ فالعالم يسرع إلى استغلال أى فضيحة للتحقير من شأن الكنيسة . وما أصدق القول « أكبر عوائق صادفتها الكنيسة هى حياة أعضائها الغير لائقة » وكما أن أعظم دفاع وشاهد للمسيحية هو الحياة المسيحية الصادقة . فليس فى العالم أجمع شهادة أقوى من تلك الحياة الجميلة والفرح الداخلى والشركة العميقة التى تسود بيتاً مسيحياً صادقاً .

قواعد الخدمة العملية

١٧ أَمَّا ٱلشُّيُوخُ ٱلْمُدَبِّرُونَ حَسَناً فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً
لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ وَلاَ سِيَّمَا ٱلَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِى ٱلْكَلِمَةِ
وَٱلتَّعْلِيمِ .١٨ لأَنَّ ٱلْكِتَابَ يَقُولُ لاَ تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً .
وَٱلْفَاعِلُ مُسْتَحِقٌّ أُجْرَتَهُ .

١٩ لاَ تَقْبَلْ شِكَايَةً عَلَى شَيْخٍ إِلاَّ عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ
ثَلاَثَةِ شُهُودٍ .٢٠ ٱلَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَبِّخْهُمْ أَمَامَ ٱلْجَمِيعِ
لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ ٱلْبَاقِينَ خَوْفٌ .٢١ أُنَاشِدُكَ أَمَامَ ٱللهِ
وَٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ ٱلْمُخْتَارِينَ أَنْ تَحْفَظَ
هٰذَا بِدُونِ غَرَضٍ وَلاَ تَعْمَلَ شَيْئاً بِمُحَابَاةٍ . ٢٢ لاَ تَضَعْ يَداً
عَلَى أَحَدٍ بِٱلْعَجَلَةِ وَلاَ تَشْتَرِكْ فِى خَطَايَا ٱلآخَرِينَ . اِحْفَظْ
نَفْسَكَ طَاهِراً .

١تيموثاوس ٥ : ١٧ — ٢٢

يشمل هذا الجزء مجموعة من أعظم القواعد العملية للحياة وإدارة الكنيسة .

١ ــ يجب أن يكرم الشيوخ التكريم المناسب ، ويدفع لهم الأجر المناسب .
أثناء دراس القمح فى الشرق ، كانت ترص السنابل على أرض الدراسة ، ثم تساق الثيران فى أزواج خلالها ؛ أو تربط الثيران إلى عمود فى الوسط وتحث على الدوران مراراً على القمح ، وأحياناً أخرى تجر الثيران آلة الدرس خلال الحبوب ؛ فى جميع هذه الأحوال لا تكمم الثيران ، بل تترك حرة لتأكل من الحبوب بقدر ما ترغب . إنه نوع من المكافأة إزاء العمل الذى يقومون به . والقانون الذى ينص على عدم تكميم الثور موجود فى تثنية ٢٥ : ٤ والقول إن الفاعل مستحق أجرته هو بالفعل أحد أقوال المسيح (لوقا ١٠ : ٧) . والاحتمال أنه مثل شائع اقتبسه يسوع . من يعمل يستحق أن يعال ، وكلما ازدادت صعوبة عمله ، كلما ازداد ما يكسبه وما يستحقه . لم يكن للمسيحية فى أى وقت علاقة بالدعوة العاطفية الناعمة التى تنادى بالمساواة للجميع . مكافأة الشخص يجب أن تتناسب مع مجهوده . كما يجب ملاحظة أى طبقة من الشيوخ تستحق تكريماً ومكافأة خاصة .

هؤلاء هم الشيوخ المجاهدون فى الوعظ والتعليم . فالشيخ الذى يكتفى بابداء المشورة والنصيحة ، والذى لا تزيد خدمته عن الكلام والمناقشات ، والذى يعتقد أنه بجلوسه حول المائدة وحديثه قليلا قد استنفد واجبات المشيخة لا مكان له فى هذا الحديث . من يستحق تكريماً حقيقياً من الكنيسة هو من عمل لبناء وتقديس الكنيسة بما يعظه عن الحق للجمهور ، وبما يعلمه للأحداث ولحديثى الإيمان عن الحياة المسيحية .

٢ ــ كان القانون اليهودى لا يأخذ بشهادة فرد واحد ضد شخص ما : « لا يقوم شاهد واحد على إنسان فى ذنب ما أو خطية من جميع الخطايا التى يخطىء بها على فم شاهد أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر » (تثنية ١٩ : ١٥) .

وتصف المشناه ، (قانون معلمي اليهود) ، عملية المحاكمة هكذا : « وأحضر الشاهد الثاني كالأول وامتحن . إذا وجدت شهادة الاثنين مطابقة ، فتح باب الدفاع » أي أنه إذا كانت التهمة قائمة على شهادة واحد فقط لم يكن هناك محل لقضية على الإطلاق . وبعد ذلك ، اشترطت نظم الكنيسة أن يكون الشاهدان مسيحيين ، لأنه كان من اليسير على أي وثني شرير أن يختلق تهماً كاذبة ضد شيخ مسيحي ليحقره ، وبالتالي يحقر الكنيسة في أيام الكنيسة الأولى ، لم يتردد مسئولو الكنيسة عن تطبيق العقاب التربوي. ويشير تيودور الموبسيستي Theodore of Mopseuestia أحد آباء الكنيسة الأوائل ، بضرورة هذا العقاب لأن الشيوخ كانوا دائماً عرضة للكراهية ولهجوم غادر « نتيجة لرغبة الانتقام عند بعض الذين سبق للشيوخ توبيخهم». فمن سبق وتعرض لتعنيف ، رغب في استرداد كرامته بأن يختلق تهمة أو خطية ما ضد الشيخ . إن الحقيقة التالية ستظل دائماً حقيقة ثابتة وهي : أن العالم كان يكون أكثر سعادة ، وأن الكنيسة كانت تكون أكثر سعادة ، لو تعلم الناس أن نشر الأكاذيب واختلاق الفرية ضد الآخرين خطية لا تغتفر . فالكلام المسمم ، الغير مسئول ، المختلق ، الشرير يسبب ضرراً بالغاً ويحطم قلوباً بريئة ، ولن يمضي حديث مثل هذا دون عقاب الله الحاسم .

قواعد الإدارة العملية

من يعيشون الخطية يجب توبيخهم علناً . هذا التوبيخ العلني مضاعف الفائدة . يعيد للخاطيء صوابه في تقييم طرقه ، ويوقظ فيه إحساس بالخجل ؛ ثم يحذر الآخرين لئلا يسقطوا في موقف مهين مماثل . إن التهديد بالعلنية جيد طالما كان الغرض منه حفظ الشخص في الطريق المستقيم ، حتى لو كان في هذا التهديد نوع من التخويف . والقائد الحكيم يعلم متى يجب المحافظة على

المذنب ومتى يستوجب الأمر التوبيخ العلني . ولكن مهما حدث ، لا يجب أبداً أن تعطى الكنيسة العالم صورة المتساهل فى الخطية .

٤ ــ يحث تيموثاوس على إدارة عمله دون تفضيل أو محاباة . كتب ب. س. إيستون B.S. Easton : «كيان المجتمع يرتكز إلى عدم تحيز العقاب» . ليس هناك ما يضر المجتمع أكثر من معاملة بعض الناس على أنهم لا يرتكبون الخطأ ، ومعاملة البعض الآخر على أنهم لا يفعلون أى صواب . العدالة فضيلة عالمية ، ويقتضى ذلك أن الكنيسة لا يجب أن تسقط إلى مستوى فى العدالة أقل مما يطلبه العالم بحق .

٥ ــ يحذر تيموثاوس من الاستعجال « فى وضع يده على أى شخص » . ويعنى هذا واحد من أمرين :

(أ) أن لا يكون متسرعاً فى وضع يديه على أى إنسان لوظيفة فى الكنيسة . فى ميدان الأعمال ، أو فى التدريس ، أو فى الجيش ، أو فى البحرية أو فى قوات الطيران لا يحصل الإنسان على ترقية إلا إذا قدم البرهان على استحقاقه لها .- أى أن واجب الشخص أن يثبت أنه يستحق مركز المسئولية والقيادة . ويصبح هذا مضاعف الأهمية فى الكنيسة ؛ لأن من يرفع إلى وظيفة عليا ثم يفشل فيها أو يعرض هذا المركز للمهانة لا يهين نفسه فقط بل والكنيسة أيضاً . فى وسط عالم متربص منتقد لا يسع الكنيسة إلا أن تكون بالغة التدقيق فيمن تختارهم لقيادتها .

(ب) كان المتبع فى الكنيسة الأولى وضع الأيدى على خاطىء تائب قدم البرهان على توبته وعاد لحظيرة الكنيسة . وقد جاء ما يلى :

عندما يتوب الخاطىء ، ويظهر ثمار توبته ، ضع الأيدى عليه ، بينما يصلى الجميع لأجله » . ويذكر ايسوبيوس Eusebius ، مؤرخ الكنيسة ، أنه جرت العادة على استقبال عودة التائبين بوضع الأيدى والصلاة . لو كان هذا هو المعنى المقصود هنا ، ففيه تحذير لتيموثاوس أن لا يتسرع فى استقبال الشخص العائد الذى جلب العار على الكنيسة ، بل ينتظر حتى يثبت أن توبته حقيقية صادقة ، وأنه اعتزم بأمانة أن يعيد تشكيل حياته لتطابق اعترافات توبته . وليس فى هذا ما يعنى مطلقاً أن يمنع هذا الشخص ويعامل بالشك وسوء الظن . مثل هذا الإنسان يجب أن يعامل بكل عطف وعون وإرشاد فى فترة اختباره ، والشركة المسيحية تستوجب بذل كل مستطاع ، أثناء هذه الفترة ، ليفتدى هذا الشخص ذاته ويبدأ من جديد . ولكن يجب أن يقال أيضاً ، إن العضوية فى الكنيسة لا يستهان بها ، وإن على الشخص أن يثبت توبته عن الماضى وعزمه عن المستقبل ، لا قبل استقباله فى شركة الكنيسة ، بل قبل قبوله فى عضوية الكنيسة . فشركة الكنيسة موجودة لمساعدة مثل هؤلاء الناس أن يفتدوا أنفسهم ، ولكن عضوية الكنيسة إنما لأولئك الذين تعهدوا بحق وأمانة أن يعطوا حياتهم للمسيح .

نصيحة لتيموثاوس

لاَ تَكُنْ فِى مَا بَعْدُ شَرَّابَ مَاءٍ بَلِ ٱسْتَعْمِلْ خَمْراً قَلِيلاً مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ ٱلْكَثِيرَةِ .

١ تيموثاوس ٥ : ٢٣

هنا نجد جملة تبين العلاقة الوثيقة التى تظهر فى الرسائل الرعوية . فى هذا الخضم من أمور الكنيسة ومشاكل الإدارة يجد بولس فرصة ليحشر نصيحة محبة إلى تيموثاوس عن صحته .

اشتمل الدين اليهودى دائماً على لمسة تقشف . عندما يأخذ رجل على نفسه عهد النذير (عدد ٦ : ١ — ٢١) كان يرتبط بعدم لمس أو نتاج الكرمة : « يعزل نفسه عن الخمر والشراب القوى ، أو مستقطر الخمر أو تذوق الشراب القوى ، ولا يشرب عصيراً للعنب ، أو يأكل عنباً مرطباً أو مجففاً . ويظل كل أيام انعزاله لا يأكل شيئاً صنع من شجرة الكرم ، من البذرة إلى القشرة الخارجية » (عدد ٦ : ٣ و ٤) . . لذلك تعهد الركابيون بالامتناع عن الخمر . ويقص علينا سفر إرميا كيف ذهب إرميا ووضع أمام الراكابيين خمراً وكئوساً : « فقالوا لا نشرب خمراً لأن يوناداب بن ركاب أبانا أوصانا قائلا لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد ؛ ولا تبنوا بيتاً ولا تزرعوا زرعاً ولا تغرسوا كرماً ولا تكن لكم » (إرميا ٣٥ : ٥ — ٧) . وبما أن تيموثاوس كان نصف يهودى لأن أمه يهودية (أعمال ١٦ : ١) ، ربما ورث عنها تلك النزعة التقشفية فى حياته . ومن جانب والده كان تيموثاوس يونانياً . وقد

ورأينا كيف أن الرسائل الرعوية كتبت لتدحض بدعة الغنوسية التى اعتبرت كل ما هو مادة (الجسد والأرضيات) شرير . ورأينا كيف أن تطبيق هذه البدعة ربما أدى إلى تقشف حاد يجوع فيه الجسد وتساء معاملته . وربما كان تيموثاوس أيضاً متأثراً — دون عمله — بهذا التقشف اليونانى .

نجد هنا حقيقة عظيمة ، يتناساها كثيراً المسيحى والعاملون مع المسيح فيتعرضون للضرر ، هذه الحقيقة هى ضرورة اهتمامنا بالجسد وعدم إهماله . لا يحق لأى إنسان أن ينشغل لدرجة إهمال صحته . وكثيراً ما يكتشف الشخص أن بلادته الروحية ، وسطحيته وجفافه إنما تأتى ببساطة نتيجة لتعبه الجسمانى وإرهاقه . أى آلة تحتاج لعناية وصيانة حتى تستطيع مداومة الحركة جيداً ، كذلك الجسم الإنسانى. نحن نرغب فى تأدية عمل المسيح على خير ما نستطيع ؛ ونحن لا نستطيع عمله جيداً ما لم نكن لائقين جسدياً لهذا العمل . لا توجد فضيلة — بل العكس هو الصحيح — فى إهمال واحتقار الجسد ، فالعقل السليم فى الجسم السليم » هذا المثل الرومانى القديم هو أيضاً المثل المسيحى .

هذه الفقرة قد أزعجت كثيراً المدافعين عن الحرمان الكامل . يجب أولا أن نذكر أن الآية لا تعطينا رخصة للاغراق فى الخمر حتى الإدمان ؛ ولكنها ببساطة توافق على استعمال الخمر طالما كانت هناك فائدة طبية للخمر . وإذا كانت تضع مبدأ معيناً على الإطلاق ، يكون هو المبدأ الذى عبر عنه أ. ف. براون E.f. Brown جيداً : « ترينا الآية أنه بينما يمكن اعتبار التوصية بالامتناع الكامل مشورة حكيمة ، لا يجب مطلقاً فرضها كواجب دينى » وببساطة يقول بولس إنه لا يوجد فضل فى الحرمان إذا كان الضرر الحادث للجسم نتيجة له أكثر من المنفعة .

استحالة الإخفاء التام

٢٤ خَطَايَا بَعْضِ ٱلنَّاسِ وَاضِحَةٌ تَتَقَدَّمُ إِلَى ٱلْقَضَاءِ . وَأَمَّا ٱلْبَعْضُ فَتَتْبَعُهُمْ .٢٥ كَذَلِكَ أَيْضاً ٱلْأَعْمَالُ ٱلصَّالِحَةُ وَاضِحَةٌ وَٱلَّتِي هِيَ خِلاَفُ ذٰلِكَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى .

١ تيموثاوس ٥ : ٢٤ و ٢٥

هذا القول يحثنا أن نترك الأمور لله وأن نكون راضين . هناك خطاة ظاهرون ، وواضح أن خطاياهم تقودهم إلى التهلكة وإلى عقابهم ؛ وهناك خطاة فى الخفاء الذين يعيشون حياة القبح والشر خلف واجهة رائعة لا عيب فيها . ما لا يراه الناس ، يراه الله « يرى الناس العمل ، ولكن الله يبصر القصد » . وليس هناك مهرب من المواجهة النهائية أمام الله الذى يرى ويعرف كل شيء .

وهناك البعض الذين تبدو أعمالهم الصالحة أمام الجميع ، والذين نالوا الحمد والثناء والتكريم وتهانى الناس . وهناك البعض لم يلاحظ أحد أعمالهم الحسنة . لهذا لم يقدروا ، أو يشكروا ، أو يثنى عليهم ، أو يقيموا بما يجب أن يكونوا عليه . لا يحق لمثل هؤلاء أن يشعروا بخيبة الأمل . فالله يعرف العمل الصالح ، والله سيجازى لأنه لا يمكن أن يكون الله مديناً للانسان .

يقال لنا هنا إنه يجب علينا أن لا نغضب لهروب البعض ظاهرياً من العقاب ، ولا أن نتألم لجحود البعض ظاهرياً ، بل يجب أن نرضى بترك كل الأمور إلى جزاء الله الأخير .

الأصحاح السادس

كيف تكون عبداً ومسيحياً ؟

١ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ هُمْ عَبِيدٌ تَحْتَ نِيرٍ فَلْيَحْسِبُوا
سَادَتَهُمْ مُسْتَحِقِّينَ كُلَّ إِكْرَامٍ لِئَلاَّ يُفْتَرَى عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ
وَتَعْلِيمِهِ . ٢ وَٱلَّذِينَ لَهُمْ سَادَةٌ مُؤْمِنُونَ لاَ يَسْتَهِينُوا
بِهِمْ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَلْ لِيَخْدُمُوهُمْ أَكْثَرَ لِأَنَّ ٱلَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ
فِي ٱلْفَائِدَةِ هُمْ مُؤْمِنُونَ وَمَحْبُوبُونَ . عَلِّمْ وَعِظْ بِهٰذَا .

١ تيموثاوس ٦ : ١ و ٢

يشتمل هذا الجزء على بعض المبادىء المسيحية البالغة الأهمية للحياة اليومية والعمل اليومى .

كان العبد المسيحى فى موقف شديد الصعوبة . فلو كان عبداً لسيد وثنى فان الإغراء الواقع عليه كبير فى أنه يرى سيده محكوم عليه بالضياع بينما هو وريث الخلاص . وبهذه تقوده مسيحيته إلى إحساس بسمو جامد لا تسامح فيه. فيخلق هذا جواً مستحيلا . ومن الناحية الأخرى ، إذا كان سيده مسيحياً ، يكون الإغراء الواقع على العبد هو استغلال هذه العلاقة الجديدة ربما وجد فى هذه العلاقة سبباً كافياً للاهمال فى العمل ثم توقع النجاة من العقاب . وربما ظن أنه لكونه هو وسيده مسيحيين فيجب أن يتمتع بكل أنواع الحقوق والاعتبارات الخاصة . ربما استعمل حقيقة مسيحية هو وسيده ليصبح خادماً كسولا غير كفء ، معفى من التربية والعقاب . كانت هناك مشكلة واضحة . لنلاحظ أمرين عامين .

١ ــ فى تلك الأيام الأولى لم تظهر الكنيسة كالمعارض والداعية لإلغاء الرقيق بوسائل عنيفة فجائية . وكانت الكنيسة فى هذا الموقف شديدة الحكمة . فقد كان هناك ما ينيف على ٦٠ مليون عبداً فى الإمبراطورية الرومانية . وبسبب هذا العدد الضخم كان ينظر للعبد كأعداء . وإذا قامت ثورة للعبيد كانت تخمد بمنتهى القسوة ، لأنه لم تكن الإمبراطورية الرومانية تسمح للعبيد بالقيام ضدها . فاذا هرب عبد ثم قبض عليه إما أن يعدم أو يدمغ على جبينه بالحرف « ش » التى تعنى شقى أى عبد هارب . وكان هناك قانوناً رومانياً ينص على أنه إذا مات سيد مقتولا يمكن استجواب كل عبيده تحت التعذيب ، ويمكن وضعهم للموت جميعاً . ويكتب أ. ك. سمبسون E.K. Simpson « كان يمكن أن تتعرض معركة المسيحية الروحية إلى ضربة قاتلة إذا نفخت الكنيسة فى الرماد المتقد للكراهية العنصرية فخلقت ناراً آكلة ، أو فتحت صدرها لإيواء الهاربين من العبيد» لو كانت الكنيسة قد شجعت العبيد على الثورة والقيام ضد سادتهم لكانت النتيجة قاضية عليها. لأنها ببساطة كانت ستشعل نيران الحرب الأهلية ، القتل الجماعى ، وإهدار كرامة الكنيسة كلية . ماذا حدث إذاً ؟ . ما حدث هو أنه عبر القرون ، تغلغلت المسيحية فى المدنية للدرجة التى أدت إلى عتق العبيد فى النهاية بالاختيار لا بالقوة . وهذا درس عظيم ، فيه البرهان على أنه لا الناس ولا العالم ولا المجتمع يمكن إصلاحها بالقوة وبالتشريعات . يجب أن يأتى الإصلاح نتيجة لنفاذ روح المسيح ببطء إلى الوضع البشرى . يجب أن تحدث الأمور حسب مواقيت الله ، لا حسب مواقيتنا نحن . وفى النهاية الطريق البطىء هو الطريق المؤكد ، وطريق العنف يحمل فى ثناياه بذور فشله .

٢ ــ هنا أيضاً نصادف الحقيقة التالية « المساواة الروحية لا تمحى الفوارق المدنية » . أحد الأخطار الدائمة فى المسيحية هى أن يعتبرها الشخص لاشعورياً

عذراً للتراخي والإهمال في العمل . بما أنه مسيحي وسيده مسيحي فمن حقه أن يتوقع تساهلا خاصاً واعتباراً خاصاً له . ولكن كون السيد والخادم مسيحيين لن يعفي العامل مطلقاً من تأدية عمل يوم جيد لكسب أجرته . فهذه العلاقة لا تتيح له أي مركز متميز . فالمسيحي واقع تحت نفس الضرورة في إطاعة الأنظمة ، أن يعمل لكسب معيشته وأن يؤدي عملا جيداً مثل أي إنسان آخر .

٣ — ما هو إذاً واجب العبد المسيحي كما تراه الرعويات ؟ واجبه أن يكون عبداً صالحاً . أما إذا كان متراخياً أو مهملا ، أو عاصياً أو سيئاً ، فهو يزود العالم بالوقود لانتقاد الكنيسة . والعامل المسيحي إذ يأتي بعمل خيراً من الآخرين إنما يوصي بمسيحيته للآخرين . وعلى الخصوص عندما يتم عمله بروح جديد . فلن يظل على الاعتقاد أنه يعمل دون رغبته ، مرغماً عليه ؛ بل سيفكر في نفسه أنه يؤدي خدمة لسيده ، لإلهه ولزملائه من الناس . ويصبح هدفه لا رؤية القليل الذي يغتصب منه ، بل الكثير الذي يستطيع أن يقدمه عن رغبة وقصد . لا يوجد أفضل من التوصية بالمسيحية عن العامل المسيحي المجد .

المعلمون الكذبة والتعليم الزائف

٣ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيماً آخَرَ وَلاَ يُوَافِقُ
كَلِمَاتِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱلصَّحِيحَةَ وَٱلتَّعْلِيمَ ٱلَّذِي
هُوَ حَسَبَ ٱلتَّقْوَى ٤ فَقَدْ تَصَلَّفَ وَهُوَ لاَ يَفْهَمُ شَيْئاً بَلْ
هُوَ مُتَعَلِّلٌ بِمُبَاحَثَاتٍ وَمُمَاحَكَاتِ ٱلْكَلاَمِ ٱلَّتِي مِنْهَا يَحْصُلُ
ٱلْحَسَدُ وَٱلْخِصَامُ وَٱلٱفْتِرَاءُ وَٱلظُّنُونُ ٱلرَّدِيَّةُ ٥ وَمُنَازَعَاتُ
أُنَاسٍ فَاسِدِي ٱلذِّهْنِ وَعَادِمِي ٱلْحَقِّ يَظُنُّونَ أَنَّ ٱلتَّقْوَى
تِجَارَةٌ . تَجَنَّبْ مِثْلَ هٰؤُلاَءِ .

١ تيموثاوس ٦ : ٣ — ٥

أتاحت ظروف الحياة فى العالم القديم للمعلم الكاذب فرصاً قلما تأخر عن انتهازها .

ففى الجانب المسيحى ، كانت الكنيسة تموج بالأنبياء المتجولين ، ممن اكتسبوا بعض الهيبة بالنسبة لنوع الحياة التى اتبعوها . كما أن الخدمة المسيحية لم تكن بعد قد اكتسبت الرسميات التى تطبقها اليوم . كل من شعر أن لديه رسالة كان حراً فى إعطائها ؛ لهذا كان الباب مفتوحاً أمام كل من أراد نشر رسالة خاطئة زائفة مبلبلة للأفكار . وفى الجانب الوثنى ، كان الفيلسوف المتجول الباحث عن الربح أحد معالم العالم القديم المعروفة . دعى هؤلاء

الفلاسفة المتجولين بالسوفسطائيين التى تعنى رجالا حكماء . وكانت تجارتهم الفلسفة . اتبعوا طريقين . الأول تعليم الناس كيف يتكلمون جيداً ويناقشون بذكاء نظير أجر يتقاضونه . . وكان لهم فى ألفاظهم المعسولة ومنطق تفكيرهم ما يجعل السيء يبدو حسناً . بهذا استغلوا الفلسفة كوسيلة للربح السريع . أما الطريق الثانى فهو إعطاء محاضرات عامة . أولع اليونانى بالكلمة المنطوقة ، وكان يعجب بالخطيب المفوه . لهذا كان الطريق ممهداً لهؤلاء السوفسطائيين أن ينتقلوا من بلد إلى آخر ، متبارين فى تقديم خطبهم وبلاغتهم اللغوية . وقد بلغوا شأواً بعيداً فى الإعلان عن أنفسهم ، لدرجة توزيع دعوات شخصية لحضور مهرجاناتهم . وقد استطاع مشاهيرهم أن يجتذبوا آلافاً من الناس للاستماع إلى محاضراتهم ؛ بلغوا فى أيامهم المستوى الذى يحتله اليوم نجم السينما الشهير . ويقص علينا فيلواستراتس **Philostratus** أن آدريان **Adrian** أحد أعاظم الخطباء ، كان يستحوذ على نفوذ جبار بين الناس ، لدرجة أنه عندما يعلن رسوله أن أدريان سيخطب اليوم تفرغ الملاعب ومجلس الشيوخ من أعضائها ويحج الشعب كله إلى مدرج الأثينيم **Athenaeum** ليستمع له . وكان من الطبيعى أن مثل هذه المهرجانات تأتى بالكثير من المال . ولكن هناك ثلاثة أخطاء جسيمة فى هؤلاء الفلاسفة .

كانت أحاديثهم بعيدة تماماً عن الحقائق . يعرضون التحدث فى أى موضوع ، مهما كانت غرابته أو بعده عن الواقع ، إذا اقترحه أحد الحاضرين مستعدون للمناقشة فى أى مشكلة . وهذا مثال واقعى عن نوع المشاكل التى يحلو لهم مناقشتها : يذهب رجل إلى حصن المدينة ليقتل الطاغية الذى يذل الشعب ؛ ولما لم يجده قتل ابنه عوضاً عنه ؛ وإذ عاد الطاغية ورأى جسد ابنه والسيف يخترقه ، غلبه الحزن فقتل نفسه ؛ عندئذ طالب الرجل بمكافأة نظير قتله الطاغية واستعادة الحرية لشعبه ؛ هل تحق له المكافأة ؟ الحق يقال ، كانوا

مرضى بادمان المباحثات الغامضة والتصورات التى لا جدوى منها ، كما كانوا ذوى باع طويل فى الحروب الكلامية .

أما شهوتهم فكانت للمديح والتهليل . وبلغت المنافسة بينهم حداً مريراً . ويحكى بلوتارك عن صوفى رحالة يدعى نيجر Niger جاء إلى مدينة فى غلاطية حيث يقطن خطيب شهير . وللحال دبرت بين الاثنين منافسة لغوية . وكان على نيجر أن يقبل التحدى أو يفقد سمعته ، ورغم أنه كان يعانى من وجود شوكة سمكة فى حلقه تمنعه من الكلام إلا بصعوبة لكنه قبل حرصاً على مركزه . وأثناء الحديث التهبت حنجرته ومات بعد ذلك بقليل . ويرسم لنا ديوكريزوستم Dio Chrysostom صورة حية عن مكان عام فى كورنثوس حيث يتبارى جميع أنواع الخطباء بكل قواهم : « تستمع إلى كثير من هؤلاء السوفسطائين الأشقياء يصرخون ويسبون بعضهم البعض ، بينما تلاميذهم يحاو لهم أن يدعوهم ، يتشاجرون . تصادف كثير من الكتاب يقرأون من كتبهم مواضيعهم الغبية ، وكثير من الشعراء يتغنون بأشعارهم ، والحواة يعرضون أعاجيبهم ، وقراء الطالع يفسرون العلامات ، وآلاف البلغاء يقلبون أوضاع القضايا ، وعدد وفير من الباعة يعرضون بضاعتهم المختلفة » . هناك تصادف فقط تبادل السباب ، الحسد والخصام والحقد الدفين ، منازعات كلامية مستمرة بين رجال فسدت أذهانهم هؤلاء هم الذين رثى لهم كاتب الرعويات . يقول ديوكريزوستم « كلهم فى لهفة لدمدمة الجماهير . . . كأناس يسيرون فى الظلام يتحركون دائماً فى اتجاه التصفيق والصخب . كان العالم القديم يعرف جيداً نوع المعلم الزائف الذى أخذ يجتاح الكنيسة .

عطشهم للحمد والثناء ، ومقياسهم الأعداد التى تتردد لسماعهم . وقد رسم أبيكتيتس Epictetus صورة نابضة للسوفسطائى متحادثاً مع تلاميذه بعد انتهاء تمثيليته . « حسناً ، كيف وجدتنى اليوم ؟ . قسما بحياتى ،

يا سيدى ، لقد كنت رائعاً . : ماذا ظننت بأحسن جزء قلته ؟ . . أى جزء هذا ؟ ! ذلك الذى وصفت فيه بان والحوريات ! أوه ، لقد أبدعت فى ذلك ! » ثم يضيف السوفسطائى » . أعتقد أن جمهور اليوم كان أكبر من السابق . . ويجيب التلميذ « نعم ، أكثر بكثير ، خمسمائة ، على ما أظن ، لا ، هذا كلام فارغ ! لا أقل من ألف ؟ ألف ، كيف هذا أكثر من أى عدد استمع لديو . إنى أعجب لماذا ؟ وقد لاحظت تقديرهم لما قلته أيضاً ! الجمال ، يا سيدى ، يستطيع أن يحرك الجماد » . هؤلاء السوفسطائيون الممثلين كانوا موضع إعجاب المجتمع » . صار منهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ، وحكام للأقاليم ، وسفراء . وعند وفاتهم أقيمت لهم الأنصاب .

كان اليونانيون مخمورين ببلاغة اللفظ . لهذا من استطاع الكلام فى اليونان ضمن مستقبله . هذا هو الوسط والمفهوم الذى نمت الكنيسة فيه ، مما لا يثير دهشة كبيرة أن نرى مثل هذا التعليم يغزو الكنيسة. أتاحت الكنيسة لمعلمى هذا الزمان مجالا جديداً يباشرون فيه مواهبهم التمثيلية ويحظون فيه ببعض التقدير المظهرى واتباعاً يسبغون عليهم ربحاً . باختصار ، فى وسط المجتمع اليونانى كان لا بد لمثل هؤلاء المعلمين الزائفين أن يدخلوا إلى الكنيسة .

صفات المعلم الزائف

تحدد فى هذا الجزء صفات المعلم الزائف ؛ وهى صفات غير غريبة عن الصوفية الذين عاصروا الكنيسة الأولى ؛ لأنها صفات لازمة بنوع معين من المعلمين .

١ — أول صفاته الغش والخداع . فهدفه الأول استعراض ذاته . ورغبته الأساسية أن يعرض نفسه لا أن يقدم المسيح . ما زال هناك وعاظ ومعلمون

يضعون جل اهتمامهم كسب أتباع لأنفسهم لا للمسيح . يفسرون آراءهم الخاصة على الناس بدلا من عرض كلمة الله عليهم . ولكن عندما يجتمع الناس للعبادة لا يهمهم الاستماع إلى ما يفكر فيه أى إنسان ، بل هم شغوفون بالاستماع إلى ما يقوله الله لهم . والواعظ القدير والمعلم الذكى ليس من يمد الناس بأفكاره الخاصة ، بل هو صدى لصوت الله . قال و. م. ماكريجور W.M. Macgregor فى محاضرة عن معلمه القديم أ.ب. بروس A.B. Bruce ما يأتى : « ذكر لنا أحد الخدام حيرته كلما رأى بروس مرة بعد أخرى يخرج قصاصة من الورق ثم يتطلع فيها ثم يستمر فى الخدمة . وفى يوم مااختلس النظر إلى هذه الورقة واكتشف فيها هذه الكلمات : « يا إلهى أرسل نورك وحقك » وبهذا علم التلميذ أن أستاذهم إذ يحضر إلى الفصل إنما يأتى معه بجلال ورجاء العبادة . والمعلم القدير لا يهب الناس نور شمعته الباهت ، بل يقدم لهم النور والحق اللذين بيسوع قد جاءا .

٢ — اهتمامه منصب على ما غمض من التصورات . هناك نوع من المسيحية يهتم بالجدال أكثر من الحياة . أن تكون مشتركاً فى حلقة بحث أو جمعية لدراسة الكتاب المقدس وتمضى ساعات ممتعة فى مناقشة العقائد لن يقتضى بالضرورة أن تكون مسيحياً . وقد ذكر ج. س. هويل J.S. Whale فى كتابه العقيدة المسيحية بعض أمور لاذعة عن هذه الثقافة اللينة : « لدينا الوصف الذى خلعه فالنتين على ثيوريو ، كنز من الكلمات الجوفاء التى لا تعنى شيئاً » . بدلا من خلع أحذيتنا لأن المكان الذى نقف فيه أرض مقدسة ، نلتقط صوراً تذكارية للعليقة المحترقة من زوايا مختلفة : نثرثر عن نظريات الغذاء ، وأقدامنا مسترخية أمام المدفئة ، بدلا من الركوع فى خشوع أمام جروح المسيح » .

أو كما أوجز لوثر بقوله : « من يدرس فقط وصايا الله لن يتأثر كثيراً .
ولكن من يستمع إلى الله آمراً ، كيف يفشل فى مخافة جلال هذا مقداره ؟ » .
كذلك ما قاله ميلانكثون Melanchthon « لكى تعرف المسيح ، لا يهم
ما تتصوره عن كيفية تجسده ، بل ما تأخذه من قوة خلاصه » رسم جريجورى
Gregory صورة معبرة للقسطنطينية فى أيامه : « القسطنطينية مليئة
بالميكانيكيين والعبيد ، وجميعهم لاهوتيون ضليعون ، يعظون فى الدكاكين
والشوارع . إذا أردت أن تستبدل عملة فضية ، يخبرك الصراف أين أوجه
الخلاف بين الابن والآب ، إذا سألت عن سعر رغيف من الخبز ، يكون
الرد أن الابن أقل من الآب ، أما إذا استفهمت عما إذا كان الحمام معداً أم لا
فالجواب هو أن الابن جاء من لا شيء » . المناقشات البراقة ، والتصريحات
اللاهوتية الخطيرة لن تجعل الإنسان مسيحياً . مثل هذه الدراسات والمناقشات
والتصورات لا تخرج عن كونها نوعاً من الهرب من تحديات الحياة المسيحية .

٣ ـ المعلم الزائف مقلق للسلام . فهو بالغريزة منافس ، وهو شكاك
فى كل من تختلف عنه ؛ عندما لا يفوز فى الجدال يلجأ إلى رجم خصمه
بالسباب مشككاً فى مركزه اللاهوتى وصفاته الشخصية . . فى كل مناقشة
يغلب على صوته رنة الحقد لا الحب ، وكل نقاش ينتهى دائماً إلى مهاترة
وخصام . والمعلم الزائف لم يتعلم أبداً الضرورة والسر فى التحدث عن الحق
بالمحبة . مصدر حقده تمجيد الذات . يميل المعلم الزائف إلى اعتبار كل اختلاف
أو انتقاد لآرائه بمثابة تحقير شخصى له . عندما يتخذ معلماً ما موقف العداء
والحقد ، ثق أن زيفه واضح مهما كانت آراءه .

٤ ـ المعلم الزائف يتاجر بالدين . فهو منطلق للربح . فهو لا يعتبر تعليمه
ووعظه دعوة ينشغل بها ، بل سباقاً إلى مركز أعلى . هو فى ميدان العمل ،

لا لخدمة الآخرين ، بل ليقدم نفسه. هناك شيء واحد مؤكد وهو أنه لايوجد مكان للمتسابقين على المراكز فى رسالة الكنيسة . والرعويات واضحة تماماً صريحة تماماً فى أن الفاعل مستحق أجرته ؛ وأن الدافع خلف عمله كله هو الخدمة العامة لا الربح الخاص . وكل شعوره وعواطفه أن لا يأخذ ، بل يعطى ويبذل حتى يبذل هو فى خدمة المسيح وخدمة الناس .

تاج القناعة

٦ وَأَمَّا ٱلتَّقْوَى مَعَ ٱلْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ . ٧
لِأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ ٱلْعَالَمَ بِشَيْءٍ وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ . ٨ فَإِنْ كَانَ لَنَا قوتٌ وَكِسْوَةٌ فَلْنَكْتَفِ
بِهِمَا .

١ تيموثاوس ٦ : ٦ — ٨

الكلمة المستعملة هنا عن القناعة وهى إحدى الكلمات العظيمة الاستعمال بين الفلاسفة الرواقيين . ويقصدون بها اكتفاء ذكياً كاملا كلياً . ويعنى هذا حالة كون العقل كامل الاستقلال عن كل المؤثرات الخارجية ، وهى حالة تحمل فى ثناياها سر السعادة . لا يمكن أن يأتى الاكتفاء من امتلاك الأشياء . أو كما كتب جورج هربرت .

« من يحتاج إلى خمسة آلاف جنيه لمعيشته

فقير تماماً كمن يحتاج لخمســـــة فقط »

القناعة تأتى عن مسلك داخلى تجاه الحياة . فى الجزء الثالث من مسرحية **هنرى الثالث** ، يرسم شكسبير صورة للملك يتجول غير معروف فى انحاء البلد . يقابل اثنين من ملاحظى الألعاب فيخبرهما أنه ملك ، فيسأل واحد منهم .

« ولكن ، لو كنت ملكاً ، أين تاجك ؟ » فيعطى الملك هذه الإجابة العظيمة :

« تاجى داخـــل قلبى ، لا على رأسى ؛
لا ترصعـــه الماسات أو أحجـــــار الهنـــد ،

لا يرى ، لأن تاجى يدعى قناعـــة —
هو تاج لا يرضى الملوك إلا نادراً

وقديماً توصل فلاسفة اليونان إلى لب الأمر كله . ذكر أبيقور عن نفسه « من لا يكتف بالقليل لا شىء يكفيه . أعطنى كعكة شعير وكوباً من الماء وأنا كفيل بمنافسة زيوس نفسه على السعادة » . وعندما سأله أحدهم عن سر السعادة والقناعة أجاب : « لا تضف إلى ممتلكات الشخص بل خذ عنه بعضاً من رغباته » .

وأعاظم الرجال اكتفوا دائماً بالقليل . أحد أقوال معلمى اليهود :

« من هو الغنى ؟ هو من اكتفى بنصيبه » . ويصف لنا والتر لوك Walter Lock نوع من المران الذى يمارسه معلم يهودى وطريقة الحياة التى يعيشها : « هذا هو طريق الناموس . لقمة بالملح تأكل ، دماء بمقدار يشرب ، على الأرض تبيت ، وحياة الشقاء تعيش بينما يعرق جبينك فى عمل الناموس . لو فعلت ذلك ، تكون سعيداً فى الأرض وفى العالم الآخر » . » . كان على معلم الناموس أن يقنع بما هو كاف . ويقتبس أ. ف. براون فقرة عن الواعظ الكبير لاكوردير Lacordaire : « حجر العثرة فى أيامنا الحالية هو عدم وجود من يعرف العيش على القليل » . كان عظماء الرجال فى الماضى عادة فقراء . . . يبدو لى دائماً أن اختصار الصرف على الأمور التى لا طائل من ورائها ، والتخلى عما يمكن أن ندعوه هام نسبياً ، هو الطريق إلى خلاص القلب المسيحى من مشغولياته ، تماماً كما كان الأمر بالنسبة لهؤلاء

القدماء الشجعان . إن العقل الذى تمرن على تقدير ما فى الحياة من جمال الخلق ، بالنسبة لله والإنسان ، من النادر أن يهتز كثيراً بانقلاب مفاجىء لحظه ومستقبله ؛ وما يحتاجه جيلنا أكثر من أى شىء آخر هو منظر إنسان ، فى إمكانه أن يملك كل شىء ، ولكنه وبمطلق إرادته يكتفى بالقليل . من جهتى ، شخصياً ، ومن الوجهة الإنسانية ، لا أريد شيئاً . النفس الكبيرة فى البيت الصغير هى المثال الذى لمسنى وأثر فى أكثر من أى شىء آخر » .

لا يعنى هذا أن المسيحية تنادى بالفقر . فليس هناك فضيلة خاصة فى الفقر ، كما لا توجد سعادة فى حياة صراع مستمر للتوفيق بين الإمكانيات والمطالب . ولكن المسيحية تنادى بأمرين .

١ — تنادى بالاقتناع أنه ليس فى إمكان الأشياء أن تحقق السعادة . يقول أ. ك. سمبسون : « كثير من أصحاب الملايين ، بعد أن اختنق بتراب الذهب مات تعيساً مجنوناً » . السعادة تأتى دائماً من العلاقات الشخصية . كل ما فى العالم لن يجعل إنسان سعيداً إذا لم يكن يعرف الصداقة أو الحب . وكل ما فى العالم لن يذهب بالوحدة بعيداً . لهذا يعلم المسيحى أن سر السعادة يكمن ، لا فى الأشياء ، بل فى الناس .

٢ — وهى تنادى بالتركيز على الباقيات ، تلك الأمور التى يأخذها الإنسان معه عندما يموت . لم نأت بشىء إلى العالم ، وواضح أنه لا يمكن أن نخرج منه بشىء أيضاً . وقد عرف هذه الحقيقة حكماء الرجال فى كل جيل ومن كل دين . قال سنيكا : « لن تقدر أن تأخذ من العالم أكثر مما أحضرته فيه » . وجاء فى شعر اليونان : « عرياناً أتيت إلى الأرض ، وعرياناً سأذهب إلى باطنها » . وكما يقول المثل الأسبانى : « لا توجد جيوب فى الكفن » ويعلق أ. ك. سمبسون : « ما يجمعه الإنسان فى طريق الحياة إنما بطبيعته

عفش ، ليست له علاقة بشخصيته الحقيقية ، ولكنه شيء يتركه خلفه عند أعتاب الموت » . شيئان فقط يستطيع الإنسان أن يأخذهما إلى الله .

(أ) نفسه ، فرسالة الحياة الكبرى بنيان ذات وشخصية وقلب ونفس يستطيع أن يقدمها الإنسان إلى الله بلا خجل .

(ب) علاقته مع الله التي عاش بها في أيام حياته . وقد رأينا أن سر السعادة يكمن في العلاقات الشخصية ، وأعظمها هي العلاقة مع الله . أما أعظم الأمور التي يستطيع أن يأخذها معه إلى الله فهو الثقة المطلقة والاقتناع الكامل أنه إنما يذهب إلى الواحد الصديق المحب لنفسه .

تأتي القناعة عندما نهرب من عبودية الأشياء ، عندما نجد ثراءنا في محبة وصداقة وشركة الناس ، وعندما نتعلم أن أعظم وأغلى ممتلكاتنا هو صداقتنا بالله ، التي مكنها لنا يسوع المسيح .

خطورة محبة المال

٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ تُغَرِّقُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْعَطَبِ وَٱلْهَلَاكِ. ١٠ لِأَنَّ مَحَبَّةَ ٱلْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ ٱلشُّرُورِ ٱلَّذِي إِذِ ٱبْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ ٱلْإِيمَانِ وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.

١ تيموثاوس ٦ : ٩ و ١٠

هنا أحد الأقوال الشائعة الاستعمال والتي أسيء استعمالها مراراً عديدة. لا يقول الكتاب إن المال أصل لكل الشرور؛ بل محبة المال هي أصل لكل الشرور. وهذا قول حق عرفه كبار مفكري العالم كما عرفه معلمو المسيحية.

قال ديموقريتس Democritus : «محبة المال جامعة لكل الشرور» ويتكلم سنيكا عن، «الرغبة في الحصول على ما ليس لنا: أساس لكل ما يجول بالعقل من شر».

وقال فوسيليدس Phocylides : «محبة المال أم لكل الشرور».

وقال أفلاطون: «محبة المال هي بداية أكبر التعديلات على القانون.

ويقتبس أثيناوس Athenaeus هذا القول: «متعة المعدة بداية وأصل لكل الشرور». والمال في حد ذاته ليس جيداً أو رديئاً؛ ولكن فيه

خطورة لأن محبته يمكن أن تصير رديئة . بالمال يستطيع إنسان أن يعمل أخير كثيراً ؛ وبالمال يستطيع أن يعمل شراً كثيراً . بالمال يستطيع إنسان أن يخدم بأنانية رغباته الخاصة ؛ وبالمال يستطيع أن يستجيب بكرم إلى صرخة جاره المحتاج . بالمال يستطيع إنسان أن يشترى طريقه إلى الممنوعات ويمهد طريق الخطأ ؛ وبالمال يستطيع أن يهون على إنسان آخر ضيقته ليعيش كما أراد الله له أن يعيش .

المال ليس شراً ولكنه مسئولية عظمى . المال يأتى بالقوة ، والقوة سلاح ذو حدين ، لأنها قوة فى الخير وقوة فى الشر أيضاً . ما هى إذاً الأخطار الخاصة الكامنة فى محبة المال ؟

١ ــ الرغبة فى المال تتجه أن تصبح عطشاً لا سبيل لإروائه . هناك مثل رومانى يقول إن الثروة كماء البحر ، تطفىء ظمأ الإنسان ، بل كلما ازداد منها شرباً كلما ازداد إليها عطشاً . والغريب فى أمر الثروة أنه لا يمكن أن يأتى عليها وقت يستطيع أن يقول فيه الإنسان : « كفى ! » . فهو دائماً مدفوع برغبة إلى ما هو أكثر قليلا .

٢ ــ الرغبة فى الثراء مؤسسة على خداع . تبنى الرغبة فى الثراء أساساً على أمرين . أولها الرغبة فى تأمين الحياة ؛ وثانيهما ، عندما يشعر الإنسان أنه قد حقق حداً أدنى لتأمين الحياة ، فان الرغبة فى مزيد من الثراء تهدف لمزيد من الرفاهية وحياة الراحة . ولكن الثروة لا تستطيع شراء تأمين الحياة . فهى لا تقدر أن تشترى أعظم الأشياء . لا تستطيع أن تشترى الصحة ، لا تستطيع أن تشترى الحب الحقيقى . لا تستطيع أن تحفظ من الحزن أو من الموت . والتأمين المؤسس على الماديات محكوم عليه بالفشل والسقوط . لأنه تأمين مبنى على الرمال .

٣ ــ الرغبة فى المال تتجه بالشخص إلى محبة الذات . فهى تربى روح المنافسة . لو انساق شخص خلف رغبته فى الثراء لما أضاره فى شىء إذا ظل إنسان آخر فى الفقر نتيجة لجمعه هو مالا أكثر ، أو إذا خسر أحدهم لكى يربح هو . الرغبة فى الثراء تثبت أفكار الرجل على ذاته ، ويتحول الآخرون بالنسبة له إما إلى أدوات أو عوائق فى الطريق نحو ثرائه هو . وليس هذا بالضرورى ما يحدث ؛ ولكنه من الحق القول إن هذا ما يحدث فعلا .

٣ ــ الشىء الغريب أن الرغبة فى الثراء تبدأ بالرغبة فى تأمين الحياة ، ولكنها تنتهى بالحزن والقلق . فكلما زاد ما يكتنزه الإنسان كلما زاد ما يمكن أن يفقده . وإذا كانت لديه ممتلكات كثيرة ، فالاتجاه الغالب أن يطارده بالحاح كابوس فقدان هذه الممتلكات . هناك أسطورة قديمة عن فلاح أدى خدمة عظيمة للملك . فكافأه الملك بهدية كبيرة من المال . وظل الرجل لفترة نهباً لمشاعر كثيرة ، ولكن جاء اليوم الذى ذهب فيه إلى الملك ورجاه أن يسترد هديته ، لأن قلقاً خفياً لم يعرفه من قبل دخل حياته ، قلق الخوف على أن يفقد ما لديه . وكم كان جون بنيان صادقاً إذ قال :

« من كان فى أسفل لا يخشى سقوطاً
ومن كان وضيعاً لا يخشى كبرياء
من كان متضعاً سيكون الله له دائماً
قائداً ومرشداً .
إنى مكتف بمـــا لدى
قليلا كان هذا أم كثيراً ؛
ولكن يا رب ما زلت للقناعة مشتاقاً
لأنك تخلص أمثال ذاك .

من له القليل ، فان ما يخسره قليل ومن له الكثير ، فسيطارده خوف فقدانه .

٥ ـ كثيراً ما تقود محبة المال إنساناً إلى طرق خاطئة للحصول على المال ، وفى النهاية تقوده إلى الألم والأسف والندم . ويصدق هذا حتى على جسده . ففى شدة شغفه للاستحواذ ، ربما حمل جسده ما ينوء به ويدمر صحته ويجعل بقية أيامه حملا وتعباً بدلامن الراحة المرتجاة . وربما اكتشف متأخراً الأضرار التى جلبتها شهواته على الآخرين ، فيعذبه ندم لأمور لا يمكن أن تتغير وبالتالى لا يمكن عكسها .

أن يسعى الإنسان ليكون مستقلا ، وأن يكون قادراً على الوفاء بديونه ، وتهيئة منزل وبيت ، مقتصداً بحكمة للمستقبل ، إنما هذا واجب مسيحى ؛ ولكن أن تقيم كل الأشياء بالمال ، وأن تصبح محبة المال القوة الدافعة للحياة ؛ لا يمكن أن تصير شيئاً خلاف واحدة من أخطر الشرور والخطايا .

١١ وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ ٱللهِ فَٱهْرُبْ مِنْ هٰذَا وَٱتْبَعِ
ٱلْبِرَّ وَٱلتَّقْوَى وَٱلْإِيمَانَ وَٱلْمَحَبَّةَ وَٱلصَّبْرَ وَٱلْوَدَاعَةَ . ١٢
جَاهِدْ جِهَادَ ٱلإِيمَانِ ٱلْحَسَنَ وَأَمْسِكْ بِٱلْحَيٰوةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ ٱلَّتِي
إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضاً وَٱعْتَرَفْتَ ٱلاعْتِرَافَ ٱلْحَسَنَ أَمَامَ
شُهُودٍ كَثِيرِينَ .١٣ أُوصِيكَ أَمَامَ ٱللهِ ٱلَّذِي يُحْيِي ٱلْكُلَّ
وَٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ ٱلَّذِي شَهِدَ لَدَى بِيلاَطُسَ ٱلْبُنْطِيِّ
بِٱلاعْتِرَافِ ٱلْحَسَنِ ١٤ أَنْ تَحْفَظَ ٱلْوَصِيَّةَ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ لَوْمٍ
إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ١٥ ٱلَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ
ٱلْمُبَارَكُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَحِيدُ مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ وَرَبُّ ٱلْأَرْبَابِ ١٦
ٱلَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ ٱلْمَوْتِ سَاكِناً فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ
الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ ٱلَّذِي لَهُ
ٱلْكَرَامَةُ وَٱلْقُدْرَةُ ٱلأَبَدِيَّةُ . آمِينَ .

١ تيموثاوس ٦ : ١١ – ١٦

وهكذا تأتى الرسالة إلى نهايتها بتحد خطير لتيموثاوس ، تحد يزيد فى عظمته وعمق ما اشتملت عليه الكلمات التى صيغ فيها من نبل .

يظهر التحدى لقوة إيمان تيموثاوس فى البداية فهو يخاطبه قائلا يا إنسان الله . أحد ألقاب العهد القديم العظيمة . فقد سبق إطلاقه على موسى ، كما

جاء فى تثنية ٣٣ : ١ « موسى رجل الله » ، وعنوان المزمور نمرة ٩٠ هو « صلاة لموسى ، رجل الله » لقب أطلق على أنبياء ورسل الله . رسول الله إلى عالى هو رجل الله (١ صموئيل ٢ : ٢٧) . ويوصف صموئيل بأنه رجل الله (١ صموئيل ٩ : ٦) . وكان شمعيا ، رسول الله إلى رحبعام ، رجل الله (ملوك أول ١٢ : ٢٢) . ويطلق جون بنيان فى « سياحة المسيحى » على النعمة ـ الكبرى « بطل الله » . هنا إذا لقب للتكريم . عندما أسندت المسئولية إلى تيموثاوس ، لم يذكر أمامه ضعفه أو عجزه أو عدم كفايته أو خطيئته ؛ فربما دفعه هذا إلى اليأس والتشاؤم ؛ ولكن تستثار حميته بلقب التكريم الذى يخصه الشرف بأنه رجل الله . وهذه هى الطريقة المسيحية ، لاتحط من شأن الشخص وتحزنه بتذكيره أنه إنسان ضائع وخاطئ أثيم ، ولكنها تحرص على الإعلاء من شخصيته بتذكيره بالإمكانيات التى فيه . طريق المسيحية لا يضع أمام الشخص ماضيه الحقير . ولكنه يرسم أمامه روعة المجد الذى ينتظره فى المستقبل . مجرد مخاطبة تيموثاوس بأنه « إنسان الله » سيشد من أزره ويرفع جبينه ورأسه مثله فى ذلك مثل من تلقى توكيلا مباشراً من الملك .

لم تلق صفات الفضيلة والنبل جزافاً أمام تيموثاوس بل اتبعت نظاماً معيناً . أولا ، يأتى البر . يعرف البر ، بأنه « إعطاء الله والناس حقوقهم » . والبر أكثر الفضائل شمولا وعمقاً . والإنسان البار من أدى واجبه نحو الله ونحو رفقائه من الناس . ثانياً ، تأتى مجموعة من ثلاث فضائل تدور حول الله . **التقوى** هى وقار الرجل الذى يعيش حياته كلها وهو مدرك أنه يقضيها فى حضرة الله . **الإيمان** ، وتعنى هنا الولاء ، وهى فضيلة الإنسان الذى يبقى على ولائه لله خلال كل الظروف والتغيرات التى تعترى الحياة حتى يصل إلى أعتاب الموت . **المحبة** ، هى فضيلة الإنسان الذى لا يمكنه ، حتى إذا حاول ، أن ينسى ما فعله الله نحوه ولا يمكنه أن يغفل المحبة التى فى قلب الله

نحو الناس . ثالثاً ، تأتى الفضيلة التى تنظر إلى السلوك فى الحياة - هى الصبر وهى لا تعنى الروح الصابرة التى تقبع فى مكانها بيدين مقيدتين تاركة تجارب الحياة تمر كمد البحر فوقها . لكنها تعنى الاحتمال المنتصر ، الرجولة المستمرة أمام التجارب . « الثبات الذى لا يتزعزع فى الإيمان والرحمة رغم الظروف المعادية والآلام » . الصبر هو الفضيلة التى لا تقبل تجارب الحياة بل تنتصر عليها ، وهو الفضيلة التى تغلب العالم رغم كل الأشياء . رابعاً ، تأتى الفضيلة التى تنظر إلى الناس . الوداعة ، إحدى الكلمات التى لا توجد لها ترجمة صادقة حرفية ، فهى تصف الروح التى لا تنفجر قط فى غضب لأجل ما حاقها من خطأ ، ولكنها تصير عاصفة الغضب ضد الظلم الذى يحيق بالآخرين . الروح التى تعرف كيف تصفح وتعرف أيضاً كيف تخوض معركة البر . الروح التى تسير فى تواضع وخشوع وإن كان أيضاً بفخر لدعوة الله العليا . فضيلة الإنسان الذى يذكر فى نفس الوقت عار خطيته ومجد بنوته لله . إنها الفضيلة التى تتيح للانسان أن يتعامل بالحق مع غيره ومع نفسه .

ذكريات ملهمة

بينما تشعل حمية تيموثاوس للعمل والمهمة الملقاة عليه ، يلهم بذكريات الماضى .

١ ــ عليه أن يذكر معموديته وعهوده التى أخذها إزائها . علينا أن نتذكر أن المعمودية فى الكنيسة الأولى كانت بطبيعة الحال وبالضرورة معمودية البالغين ، لأن الناس كانوا يأتون مباشرة من الوثنية إلى المسيح . كانت المعمودية إذاً اعترافاً بالإيمان وشهادة أمام الجميع أن هذا الإنسان قد قبل يسوع المسيح مخلصاً وسيداً ورباً . كانت أولى الاعترافات المسيحية

العقيدة البسيطة : « الرب يسوع المسيح » (رومية ١٠ : ٩ ؛ فيلبي ٢ : ١١) وهناك احتمال بأن اعتراف الإيمان المقصود بهذه الكلمات الموجهة لتيموثاوس هو : « أؤمن بالله القدير ، خالق السموات والأرض ، وبالمسيح يسوع الذى تألم على يد بيلاطس البنطي والذى سيعود لدينونة العالم ؛ أؤمن بالقيامة من الأموات وبالحياة الأبدية » . محتمل جداً أن تيموثاوس قد ارتبط بعقيدة كهذه . إذاً يصبح أول واجب تذكير تيموثاوس بالعهد الذى أخذه على نفسه . المسيحى أولا وقبل كل شىء إنسان تعهد بنفسه ليسوع المسيح .

٢ — وكان على تيموثاوس أن يذكر أنه أعطى اعتراف الإيمان كما فعل يسوع . عندما وقف يسوع أمام بيلاطس ، سأله بيلاطس : « هل أنت ملك اليهود ؟ » فأجاب يسوع : « أنت تقول » (لوقا ٢٣ : ٣) . شهد يسوع أنه ملك ، وشهد تيموثاوس دائماً بأن المسيح هو رب . عندما يعترف المسيحى بإيمانه ، إنما يفعل ما فعله سيده من قبل ؛ وعندما يتألم المسيحى لأجل إيمانه إنما يمر بما سبق لسيده أن مر به . وعندما ننشغل بمهمة عظمى نستطيع أن نقول : « أيها الاخوة ، نحن نخطو حيث سار القديسون من قبلنا » ، ولكن إذ نعلن إيماننا أمام الناس نستطيع أن نقول شيئاً أعظم ، نستطيع أن نقول : « إننى أقف مع المسيح » ؛ هذه ذكرى تستطيع بالتأكيد أن ترفع قلوبنا وتلهم حياتنا .

٣ — على تيموثاوس أن يذكر أن المسيح سيعود ثانياً . وإذاً فواجبه أن يجعل من حياته وعمله شيئاً جديراً بملاقاة المسيح . المسيحى لا يعمل لإرضاء الناس ، بل يبتغى فقط مرضاة المسيح . وعلى المسيحى أن يقدم كل عمل يقوم به للمسيح لا للناس . والسؤال الذى يجب أن يخطر على بال المسيحى

دائماً ليس هو : « أهذا جيد ليحوز رضا الناس ؟ » بل هو : « أهذا حسن كفاية ليحوز رضا يسوع المسيح ؟ » .

٤ — وفوق كل الأشياء على تيموثاوس أن يذكر الله . وما أعظم ذكرى كهذه ! عليه أن يذكر ملك كل الملوك ورب كل الأرباب ؛ الذى بيده مفتاح الحياة الأبدية يهبه للناس ، من له قداسة وجلال لا يجسر أن يتطلع إليهما إنسان . على المسيحى أن يذكر دائماً الله ، ثم يتساءل بعد ذلك : « إن كان الله معنا ، فمن علينا ؟ » .

نصيحة للأغنياء

١٧ أَوْصِ ٱلْأَغْنِيَاءَ فِي ٱلدَّهْرِ ٱلْحَاضِرِ أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا
وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ ٱلْغِنَى بَلْ عَلَى ٱللهِ ٱلْحَيِّ
ٱلَّذِي يَمْنَحنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ .
١٨وَأَنْ يَصْنَعُوا
صَلاَحاً وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَأَنْ يَكُونُوا
أَسْخِيَاءَ فِي ٱلْعَطَاءِ كُرَمَاءَ فِي ٱلتَّوْزِيعِ
١٩مُدَّخِرِينَ لِأَنْفُسِهِمْ
أَسَاساً حَسَناً لِلْمُسْتَقْبِلِ لِكَيْ يُمْسِكُوا بِٱلْحَيٰوةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ .

١ تيموثاوس ٦ : ١٧ — ١٩

يحلو لنا الظن أحياناً أن الكنيسة الأولى لم تتكون إلا من الفقراء والعبيد . ولكننا نرى هنا أنه حتى فى أيامها الأولى كان للكنيسة أعضاؤها الأغنياء . ولم يطلب منهم التنازل عن ثرواتهم . ولكن ما يقال لهم هو ما يجب أن يمتنعوا عنه وما يجب أن يفعلوه بأموالهم .

لا يجب أن يدفعهم الغنى للتكبر . فليس فى كثرة أموالهم عن الآخرين ما يدفعهم للاعتقاد أنهم أفضل منهم . لا يوجد شىء فى هذا العالم يعطى لأى إنسان الحق فى احتقار أى إنسان آخر وأقل هذه الأشياء جميعاً امتلاك الثراء . يجب أن لا يضعوا رجاءهم على الثروة . فى فرص الحياة وتقلباتها المختلفة يمكن لإنسان أن يغتنى اليوم ويصبح شحاذاً فى الغد . ومن الغباء وقصر النظر أن يؤسس الإنسان أمله على ما ليس فيه دوام الثبات .

يقال لهم أن يستعملوا ثرواتهم فى عمل الخير ، وأن يكونوا دائماً على استعداد للمشاركة ، وأن يتذكروا أن المسيحى بالضرورة عضو فى شركة روحية فى المسيح . ثم يقال لهم إن مثل هذا الاستعمال الحكيم للمال سيبنى لهم أساساً صالحاً فى العالم الآتى . أو كما قال أحدهم : « ما احتفظت به خسرته ؛ وما وهبته صار لى » .

هناك قصة عبرية شهيرة . رجل يدعى مونوباز **Monobaz** ورث ميراثاً ضخماً ، ولكنه كان رجلا خيراً ، كريماً . فى وقت مجاعة باع كل أملاكه ليعين الفقراء . فجاء إليه إخوته يسألونه : « أباؤك كونوا هذه الثروة ، وأضافوا إلى الميراث الذى انتقل إليهم عن آبائهم ، وأنت تريد إضاعتها جميعاً ؟ » فأجابهم : « آبائى اكتنزوا الأرضيات ، ولكننى أكتنز فى السموات . آبائى اكتنزوا الأموال ولكننى اكتنزت النفوس . آبائى صنعوا ثروتهم لهذا العالم ، ولكننى صنعت لى ثروة فى العالم الآتى » .

فى كل مرة يتاح لنا فيها أن نعطى شيئاً ولا نفعل ، يقل الميراث المحفوظ لنا فى العالم الآتى ؛ وفى كل مرة نعطى فيها مما لدينا يزداد الغنى المودع لنا عند نهاية هذه الحياة .

التعليم المسيحى الأخلاقى كله لا يدين الثراء بأنه خطية ، ولكنه يراه مسئولية خطيرة . لو كانت ثروة الشخص لا تخدم إلا كبرياءه ولا تغنى إلا ذاته ، تصير ثروته مدمرة لأنها تفقر نفسه . ولكن إذا استخدم إنسان ماله ليعين غيره ويخفف أتعابه ، فانه إذ يفتقر إنما يزداد غنى . فى الزمان الحاضر وفى الأبدية ليس هناك أصدق من « العطاء أفضل من الأخذ » .

إيمان للحفاظ عليه

٢٠ يَا تِيمُوثَاوُسُ ٱحْفَظِ ٱلْوَدِيعَةَ مُعْرِضاً عَنِ ٱلْكَلَامِ
ٱلْبَاطِلِ ٱلدَّنِسِ وَمُخَالِفَاتِ ٱلْعِلْمِ ٱلْكَاذِبِ ٱلِاسْمِ ٢١ ٱلَّذِي
إِذْ تَظَاهَرَ بِهِ قَوْمٌ زَاغُوا مِنْ جِهَةِ ٱلْإِيمَانِ . ٢٢ اَلنِّعْمَةُ
مَعَكَ . آمِينَ .

١ تيموثاوس ٦ : ٢٠ ، ٢٣

يبدو أن اسم تيموثاوس هنا يستعمل فى كامل معناه . يتكون الاسم من كلمتين ، timan وتعنى يكرم ، theos وتعنى الله . أى أن اسم تيموثاوس يعنى من يكرم الله والواضح أن هذه الفقرة الختامية تبدأ بتذكير تيموثاوس باسمه : وبحثه أن يكون أميناً عليه صادقاً لمعناه .

تذكر الآية الوديعة التى أوكلت إليه . الوديعة فى اليونانية تعنى ما لامودعاً فى بنك أو لدى صديق . وكان واجباً مقدساً رد هذه الوديعة كاملة غير منقوصة عندما تسترد . يطلق أحياناً على الأطفال فى اليونان وديعة مقدسة ، أمانة مقدسة . عندما تهب الآلهة طفلا لرجل ، يكون واجب هذا الرجل أن يقدم ذلك الطفل بعد تمرينه وتربيته وإعداده إلى الآلهة . والإيمان المسيحى يشبه هذا . فهو ميراث أخذناه عن آبائنا وعلينا أن نسلمه كاملا لأولادنا . يقتبس أ.ف. براون هذه الفقرة الشهيرة عن القديس فنسنت St. Vincent of Lerins « ماذا تعنى الوديعة ؟ . هى هذه التى أوكلت إليك ، لا تلك التى

اخترعتها أنت ؛ هي تلك التي أخذتها ، لا تلك التي صممتها أنت ؛ ليست الوديعة شيئاً من عندياتك ، بل ما اكتسبته من تعليمك ؛ ليست افتراضاً خاصاً ولكنها تقليد عام ؛ هي شيء استحضر لك ولكنه لم يخرج منك ؛ لهذا لا يحق لك أن تكون مالكاً ، بل وكيلا ؛ ولا أن تكون قائداً بل تابعاً . احفظ الوديعة . احتفظ بوزنة الإيمان سالمة غير منقوصة ؛ دع كل شيء أوكل إليك باقياً معك حتى تسلمه . لقد استلمت ذهباً ، رده ذهباً » . ويحسن بالإنسان أن يذكر أن واجبه ليس نحو ذاته فقط ، بل يمتد أيضاً إلى أولاده وأولاد أولاده . إذا ضعفت الكنيسة وتخاذلت في أيامنا هذه ، وإذا انحدرت الأخلاق المسيحية ففرقت في العالم في هذه الأيام ؛ وإذا تشوهت معاني الإيمان المسيحي واختلطت ، فلسنا نحن وحدنا فقط الخاسرون ؛ بل ستحرم كل الأجيال القادمة من شيء نفيس غال لا يقدر بثمن .

فنحن لسنا فقط الملاك بل الحفاظ على الإيمان أيضاً . هذا الذي استلمناه علينا أن نسلمه كاملا دون نقص أو تشويه .

وأخيراً تدين الرسائل الرعوية هؤلاء الذين تمسكوا بمخالفات العلم الكاذب ولا ، يلاحظ أن كلمة علم هنا يقصد بها معناها الأصلي أي ببساطة المعرفة ، وليس لها علاقة بالمعرفة العلمية التي نعرفها اليوم . ما يدان هو ثقافة كاذبة ، وتأكيد كاذب بالمعرفة البشرية . ولكن ما هو المقصود **بالمخالفات** ؟ الكلمة اليونانية هي Antithesis . حدث في وقت بعد هذا بكثير أن نشر أحد المهرطقين ويدعى مارسيون كتاباً عنوانه The Antithesis اقتبس فيه آيات من العهد القديم ووضع نظيرها آيات تناقضها من العهد الجديد . ويعني هذا الجزء إذاً : « لا تضيع وقتك باحثاً عن المتناقضات في الكتاب . عش بما جاء في الكتاب بدلا من أن تجادل فيه » ولكن هناك معنيين أكثر احتمالا من ذلك .

١ ـ ربما تعنى كلمة antithesis اختلاف فى الرأى ، فيكون المقصود هو : « تحاشى المخالفات ، لا تسمح لنفسك بالاندماج فى مهاترات تافهة ومنازعات مريرة » . هذه نصيحة مناسبة منطبقة على شعب يونانى فى أفسس مولع باستشارة القانون . وكان يجد إحدى متعه الرئيسية فى ساحات المحاكم . وربما وصل الحال باليونانى أن يذهب للقاضى ضد أخيه ، لا لشىء إلا لمجرد المتعة فى استطلاع وجهة نظر القانون . كان اليونانى محامياً بالسليقة . ويكون المعنى المقصود إذاً « لا تجعل من الكنيسة ساحة للمجادلات اللاهوتية والمناقشات . المسيحية ليست شيئاً نتجادل بسببه بل نحيا به . » .

٢ ـ ويمكن أن تعنى كلمة Antithesis نظرية مضادة . وهذا أكثر المعانى احتمالا ، لأنها تناسب الفكر اليهودى والأممى معاً . فقد كان المثقفون يتجادلون حول مشاكل كهذه : « ما عدد الملائكة الذين يمكنهم الوقوف على طرف إبرة ؟ » . كان معلمو اليهود يتجادلون حول نقاط متقاربة فى الناموس لساعات وأيام وربما لسنين . ثم يوازنون بين نظرية أو وجهة نظر أو تفسير وبين رأى آخر . وكان اليونانيون بنفس الطريقة ، وإن اذدادوا جدية عن اليهود . فقد كانت هناك مدرسة لفلاسفة اليونان بالغة النفوذ ، تسمى الأكاديمية . لها رأى تتمسك به هو أنه فى محيط الفكر البشرى ، يمكن بالجدل المنطقى الوصول إلى نتيجتين عكسيتين تماماً . لهذا تمسكوا بالرأى أنه لا يوجد فى هذا العالم ما يمكن أن يكون حقيقة مطلقة لازمة ؛ وأن كل ما يمكن قوله هو وجود افتراضين لهما نفس الوزن وقوة الحجة . ومن هنا وصلوا إلى أنه لا يمكن للانسان الحكيم أن يتخذ قراراً فى أى موضوع ، ولكنه سيتمسك دائماً بموقف معلق . وكانت النتيجة الحتمية لذلك شل كل نشاط واستصغار كل تفكير لأنه لا توجد حقيقة فى أى شىء . لهذا يقال

لتيموثاوس : « لا تضيع وقتك فى مجادلات ماهرة ؛ ولا تضيع وقتك فى معارك لغوية أو كلامية . لا تحاول أن تكون شديد الذكاء لتصبح حكيما . بل اصغ بالأحرى إلى صوت وصايا الله التى لا رجعة فيها بدلا من المناقشات البارعة لعقول فائقة الذكاء » .

وهكذا تدنو الرسالة من خاتمتها بتحذير يحتاجه جيلنا أيضاً . النقاش الذكى لا يمكن أن يكون عوضاً عن العمل المسيحى . وواجب المسيحى أن لا يدرس فى عزلة ليزن قيمة كل نقاش ، بل واجبه أن يعيش الحياة المسيحية فى دوامة هذا العالم ، فوق ترابه ووسط لهيبه . فى النهاية لن تكون للثقافة الذكية أى قيمة ، بل ما يعد ويحتسب هو السلوك والأخلاق .

وهكذا نأتى إلى البركة الختامية — « النعمة معك » وهكذا تختم الرسالة بجمال نعمة الله .

رسالة بولس الرسول الثانية

إلى تيموثاوس

الأَصحاح الأَوَّل

محبة الرسول وامتياز الرسول

١ بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ ٱللهِ لِأَجْلِ
وَعْدِ ٱلْحَيٰوةِ ٱلَّتِي فِي يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٢ إِلَى تِيمُوثَاوُسَ
ٱلِٱبْنِ ٱلْحَبِيبِ . نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ مِنَ ٱللهِ ٱلْآبِ وَٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ رَبِّنَا .

٣ إِنِّي أَشْكُرُ ٱللهَ ٱلَّذِي أَعْبُدُهُ مِنْ أَجْدَادِي بِضَمِيرٍ
طَاهِرٍ كَمَا أَذْكُرُكَ بِلَا ٱنْقِطَاعٍ فِي طَلِبَاتِي لَيْلاً وَنَهَاراً
٤ مُشْتَاقاً أَنْ أَرَاكَ ذَاكِراً دُمُوعَكَ لِكَيْ أَمْتَلِئَ فَرَحاً ٥ إِذْ
أَتَذَكَّرُ ٱلْإِيمَانَ ٱلْعَدِيمَ ٱلرِّيَاءِ ٱلَّذِي فِيكَ ٱلَّذِي سَكَنَ أَوَّلاً
فِي جَدَّتِكَ لَوْئِيسَ وَأُمِّكَ أَفْنِيكِي وَلٰكِنِّي مُوقِنٌ أَنَّهُ فِيكَ
أَيْضاً . ٦ فَلِهٰذَا ٱلسَّبَبِ أُذَكِّرُكَ أَنْ تُضْرِمَ أَيْضاً مَوْهِبَةَ
ٱللهِ ٱلَّتِي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ . ٧ لِأَنَّ ٱللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ
ٱلْفَشَلِ بَلْ رُوحَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْمَحَبَّةِ وَٱلنُّصْحِ .

٢ تيموثاوس ١ : ١ – ٧

عندما يتكلم بولس عن دعوته ، تعترى صوته نبرات معينة لا يمكن إغفالها . الدعوة بالنسبة لبولس كانت دائماً ترمز لعدة أشياء .

(أ) فهي تشريف . اختير لها بمشيئة الله . وعلى كل مسيحي أن يعتبر نفسه مختاراً بمشيئة الله .

(ب) وهي مسئولية اختاره الله لها لأن الله أراد أنه ينفذ به عملا . أراد الله أن يجعل منه الوكيل والأداة لتوصيل أخبار الحياة الجديدة للناس . ولا يوجد شخص يختبر التجديد لأجل ذاته فقط ، بل لأجل ما يستطيع أن يؤديه نحو الآخرين . المسيحي هو ذلك الإنسان الذي غلبه الشعور بالدهشة ، والمحبة والشكر إزاء ما فعله الله لأجله ، فاشتعل إحساسه لينبيء الآخرين بمقدار ما يستطيع الله أن يفعله لأجلهم .

(حـ) وهي امتياز . يهمنا أن نعرف كيف رأى بولس هذا الواجب الذي كلف بأدائه نحو الآخرين . كان بولس كامل الاقتناع أن واجبه هو نشر وعد الله لا وعيد الله . فلم تكن المسيحية ، في عرف بولس ، تهديداً بالهلاك الأبدي ، بل كانت أخباراً سارة عن الخلاص . يجدر بنا أن نتذكر دائماً أن أعظم مبشر ورسول عرفه العالم انطلق ، لا ليثير رعب الناس ويرجفهم بنيران الجحيم ، بل ليحركهم نحو تسليم كامل لمحبة الله .

كانت المحبة — لا الخوف — هي المحرك الأول في إنجيل بولس .

وكعادته دائماً ، كان صوت بولس يتهدج بدفء المودة والحب عندما يأتي ذكر تيموثاوس . إنه يدعوه « ابني الحبيب » . تيموثاوس ابن بولس في الإيمان . إن كان تيموثاوس يدين لأبويه الأرضيين بالحياة الجسدية ؛ فهو يدين لبولس بحياته الأبدية . هناك فرح في الأبوة الطبيعية ؛ كذلك هناك فرح في الأبوة الروحية . هناك كثير من المعلمين والقديسين ، ممن لم ينعم

الله عليهم بأبناء طبيعيين ، ولكنهم وجدوا التعزية والفرح فى ذلك الامتياز العظيم ، امتياز التبنّى روحيا . فليس هناك فى العالم كله ما يعادل بهجة كسب نفس للمسيح .

إلهام تيموثاوس

كان غرض بولس من الكتابة تشجيع تيموثاوس إزاء مهمته فى أفسس . كان تيموثاوس صغيراً ، وكانت مهمة شاقة فى محاربة البدع والعدوى التى تفشت وأوشكت أن تهدد سلام الكنيسة . لهذا ، أراد بولس أن يذكر تيموثاوس ببعض أمور معينة تحفظ له شجاعته ومجهوده كاملين .

١ — يذكر تيموثاوس بايمانه به وثقته فيه . لا يوجد إلهام أعظم من الإحساس بثقة البعض فينا . إن استثارة الكرامة أبعد تأثيراً من التهديد بالعقاب . إن الخوف أن نخيب الرجاء الذى وضعه فينا من أحبونا هو خوف مطهر .

٢ — يذكر تيموثاوس بتقاليد عائلته . فتيموثاوس كان يقتنى سيرة صالحة ، فاذا فشل ، فانه لن يلطخ اسمه وحده فقط ، بل سيشين الشرف الذى يحوط باسم عائلته أيضاً . إن الأبوة الصالحة واحدة من أعظم الهبات التى يمكن لإنسان أن ينالها . ويشكر الله عليها دائماً ، ويحرص على أن لا يدنس اسمها إطلاقاً .

٣ — يذكر تيموثاوس بفرزه لهذا العمل ، وبالعطية التى أسبغت عليه . متى ما التحق إنسان بخدمة أى مجتمع أو منظمة ذات تقاليد وتاريخ ، فان أى شىء يعمله لن يؤثر عليه وحده فقط ؛ وكل مهمة يقوم بها تتم باسم المنظمة كلها وبكامل قوتها تسنده . فهو إذ يعمل إنما يعمل مستنداً إلى اسم

كريم ، مغترفاً من شرف محتده ، محافظاً على أصالة تقاليده . وينطبق هذا الموقف على الخصوص على الكنيسة ، فمن يدخل فى خدمة الكنيسة ، يمسك بشرف الكنيسة بين يديه من يخدم الكنيسة ، يستمد القوة ويحفظه شعور الشركة مع جميع القديسين .

٤ ـ يذكر تيموثاوس بالصفات التى يجب أن يتحلى بها المعلم المسيحى . وقد رأى بولس فى ذلك الحين أربع صفات .

(أ) هناك **الشجاعة** . فالخدمة المسيحية تأتى بالشجاعة ، لا الجبن والخوف ، للانسان . يتطلب الأمر دائماً شجاعة لكى تكون مسيحياً ، هذه الشجاعة تنبع من إحساس دافق بوجود المسيح .

(ب) وهناك **القوة** . فى المسيحى الصادق توجد القوة لمواجهة الظروف ، والقوة لتحمل المهمة التى تكسر الظهر ، والقوة للوقوف صامداً فى وجه الملمات ، والقوة للاحتفاظ بالإيمان إزاء الأحزان التى تعصر النفس ، وخيبة الأمل التى تجرح القلب . المسيحى هو من اجتاز حد الانهيار دون أن يتحطم .

(ح) هناك **المحبة** . فى حالة تيموثاوس هذه هى محبة الأخوة ، ومحبة مجتمع المسيح الذى أرسل لقيادته . هذه هى بالضبط المحبة التى تضفى على الراعى المسيحى صفاته الأخرى . على الراعى المسيحى أن يحب شعبه بالدرجة التى لا يستثقل فيها أداء أى عمل أو خدمة من أجلهم . يجب أن يحبهم بالدرجة التى لا يرهبه فيها أى موقف خطير . لا داعى لأن يلتحق أى إنسان بخدمة كنيسة المسيح إذا لم يكن فى قلبه حب لشعب المسيح .

(د) هناك تربية النفس . والكلمة هى Sōphronismos ، إحدى الكلمات اليونانية التى لا ترجمة لها . عرفها البعض بأنها « حكمة القداسة » ، وفسرها Falconer بأنها « ضبط للنفس فى وجه الذعر أو فى وجه الألم » . والمسيح وحده هو القادر أن يعطينا هذا الانتصار على الذات ، هذه التربية النفسية ، ضبط النفس الذى يحفظنا من أن يجرفنا التيار أو تغلبنا الرغبة فى الهروب . لن يستطيع أحد أن يحكم آخرين قبل أن يحكم نفسه . Sophronismos هى تلك العطية الإلهية للانتصار على الذات والتى تخلق من إنسان حاكماً عظيماً على آخرين لأنه أولا وقبل كل شىء خادم للمسيح وسيد نفسه .

إنجيل مستحق التضحية والتألم لأجله

٨ فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا وَلاَ بِى أَنَا أَسِيرَهُ بَلِ
ٱشْتَرِكْ فِى ٱحْتِمَالِ ٱلْمَشَقَّاتِ لِأَجْلِ ٱلْإِنْجِيلِ بِحَسَبِ
قُوَّةِ ٱللهِ ٩ ٱلَّذِى خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً لاَ بِمُقْتَضَى
أَعْمَالِنَا بَلْ بِمُقْتَضَى ٱلْقَصْدِ وَٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِى أُعْطِيَتْ لَنَا فِى
ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ ٱلْأَزْمِنَةِ ٱلْأَزَلِيَّةِ ١٠ وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ
ٱلْآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِى أَبْطَلَ ٱلْمَوْتَ
وَأَنَارَ ٱلْحَيٰوةَ وَٱلْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ ٱلْإِنْجِيلِ ١١ ٱلَّذِى جُعِلْتُ
أَنَا لَهُ كَارِزًا وَرَسُولاً وَمُعَلِّماً لِلْأُمَمِ .

٢ تيموثاوس ١ : ٨ — ١١

الإخلاص للانجيل لا بد أن يأتى بالمتاعب . بالنسبة لتيموثاوس ، كان الإخلاص للانجيل ولبولس يعنى الإخلاص لرجل يعتبر مجرماً لأن بولس كتب هذه الرسالة أثناء وجوده فى السجن بروما . ولكن بولس هنا يبرز الإنجيل فى كل مجده . إنجيل يستحق التضحية والتألم لأجله . ويستعمل بولس التصريحات المباشرة وغير المباشرة فى إبراز عناصر الإنجيل المجيدة . ولا يشتمل العهد الجديد إلا على القليل من مثل هذه الكتابات التى تمتلأ وتفيض بهذا الإحساس العميق نحو مجد وعظمة إنجيل يسوع المسيح .

١ — هو إنجيل **القوة** . كل عذاب فى سبيل الإنجيل محتمل بقوة الله . كان الإنجيل للعالم القديم قوة للحياة ، فقد تميز العصر الذى كتب فيه بولس بأنه عصر الانتحار . كان الرواقيون أعلى طبقة بين مفكرى القدماء . وكانوا يدينون بأرقى المبادئ ؛ ولكن كانت لهم أيضاً طريقتهم الخاصة فى الهروب عندما تصبح الحياة غير محتملة . من أقوالهم : « وهب الله الحياة للانسان ، ولكنه أعطاه أيضاً هبة أعظم هى القدرة على أخذ حياته بيده » . أما الإنجيل فقد كان ، وما زال ، قوة للانتصار على الذات ، قوة لإخضاع الظروف ؛ قوة للاستمرار فى الحياة عندما يضيق العيش بالحياة ، قوة لتكون مسيحياً عندما تصبح المسيحية والاستحالة صنوان .

٢ — وهو إنجيل **الخلاص** . الله هو الإله الذى خلصنا . والإنجيل إنقاذ من الخطية . وهو الذى يحرر الإنسان من الأمور التى تسيطر عليه ، قوة لفصم الروابط التى لا تنقطع ، قوة لهزم الخطايا التى صارت نسيجاً فى تلافيف الحياة نفسها . الإنجيل فى مضمونه قوة لإنقاذ ما قد هلك وجعل الشرير باراً .

٣ — والإنجيل دعوة **للتقديس** . ليس الإنجيل مجرد منقذ من نتائج وعقاب الخطايا الماضية . بل هو أيضاً دعوة للمسير فى طريق القداسة . وقوة الإنجيل فى إحداث تغيير ، حقيقة مجردة تتحدى كل المناقشات . فى كتاب « **الإنجيل وتبشير العالم** » يذكر A. M. Chirgwin حادثتين عجيبتين عن قوة المسيح الإعجازية فى التغيير . أحد رجال عصابات نيويورك ، سجن لارتكابه حوادث سرقة بالإكراه يعتزم اللحاق بعصابته القديمة للاشتراك فى سرقة أخرى بالإكراه ، وفى طريقه ينشل رجلا فى الشارع الخامس . ثم يذهب إلى الحديقة العامة ليعاين ما نشله ، ولشد ما كان

اشمئزازه إذ وجد أن ما نشله هو العهد الجديد . وبالنسبة لأن ميعاد مقابلته مع أعضاء العصابة لم يكن قد حان بعد ، فقد أخذ يقلب الصفحات ببلادة ثم يقرأ . وسرعان ما ملك عليه الكتاب أحاسيسه ، فقرأ وقرأ للدرجة أنه ذهب بعد عدة ساعات لزملائه القدامى وأخبرهم بصراحة كاملة عما كان يفعله ثم قطع صلته بهم نهائياً .كان الإنجيل بالنسبة لهذا السجين السابق ،رجل العصابات الشرير ، دعوة للقداسة .

أما الحادثة الثانية فهى عن شاب عربى من حلب عزم على أن يقتل صديقاً سابقاً له بعد مشاجرة عنيفة بينهما . ولكنه صرح لمبشر مسيحى قائلا : « قررت أن أقتله . حقدت عليه لدرجة أننى دبرت طريقة لقتله . ولكن ، تصادف أن قابلتك يوماً ما وأقنعتنى أن أشترى نسخة من انجيل متى . واشتريتها إرضاء لك فقط ، ولم يدر بخلدى أن أقرأه إطلاقاً » ولكن بينما كنت أستعد للنوم تلك الليلة سقط الكتاب من جيبى فالتقطته وبدأت أقرأ . وعندما وصلت المكان الذى يقول فيه : « سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . . . . ولكنى أقول لكم إن من غضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم» ، تذكرت الكراهية التى كنت أكنها وأنميها ضد عدوى . وتابعت القراءة ، وشعورى بالضيق يتزايد حتى وصلت لكلمات . « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم . إحملوا نيرى عليكم ، وتعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم » وهنا فاض بى الكيل فصرخت « يا إلهى ارحمنى أنا الخاطى ». ملأ الفرح والسلام قلبى واختفت الكراهية. ومنذ تلك اللحظة صرت إنساناً جديداً، وأصبحت متعتى الرئيسية قراءة كلمة الرب » . هذا هو الإنجيل الذى حول سجين نيويورك السابق ، ومعتزم القتل فى حلب إلى طريق القداسة . أمام هذا المقياس تقصر مسيحتنا ، فالمسيحية التى لاتحدث تغييراً ليست مسيحية . من اختبر قوة الإنجيل المخلصة إنسان مجدد ، فى عمله ،

فى مسراته ، فى بيته ، فى طبعه ، فى أخلاقه . لا بد من وجود فرق حيوى بين المسيحى وغير المسيحى ، لأن المسيحى قد استجاب للدعوة وبدأ مسيرته نحو القداسة .

إنـجيل مستحق التضحية والتـألم لأجله

٤ — الإنجيل إنجيل النعمة . فهو لا يعتمد على أعمالنا بل على أغراض الله ؛ ليس شيئاً استحققناه ، ولكنه شيء قبلناه . لم يدعنا الله لأننا قديسون ولكنه دعانا ليقدسنا . لو كان علينا أن نعمل لنفوز ونستحق الإنجيل ومحبة الله ، لكان موقفنا ميئوساً منه . الإنجيل هو عطية الله المجانية . لا يحبنا الله لاستحقاقنا حبه ، ولكنه يحبنا من فيض كرم قلبه .

٥ — الإنجيل هو إنجيل مقاصد الله الأبدية . كان مخططاً ومصمماً قبل تأسيس العالم وقبل بدء الزمان . لا يجدر أن يخطر بأفكارنا مطلقاً أنه فى وقت ما كان الله جامداً صارماً ثم بعد حياة وموت يسوع صار الله محبة غافرة ؛ بل منذ بدء الزمان كانت محبة الله دائبة السعى فى البحث عن الناس ، كما أن نعمته وغفرانه ملك مجانى لكل من أراد . المحبة هى من صميم كيان الله وطبيعته الأزلية .

٦ — الإنجيل هو إنجيل الحياة والخلود . كان بولس يؤمن أن الحياة والخلود قد جاءا بيسوع المسيح . كان العالم القديم يخاف الموت ؛ واعتبره ليلا أبدياً . كان على كل إنسان أن يرقد رقاد الموت والفناء ؛ وأفضل ما جادت به فلسفات العالم القديم أن الموت إندماج فى كيان الله . ولكن رسالة المسيح هى أن الموت طريق إلى الحياة ، وبدلا من أن يكون الموت فاصلا بين الناس والله ، صار الوسيلة التى يقترب بها الناس من وجود الله .

٧ – الإنجيل هو إنجيل الخدمة . هذا هو الإنجيل الذى جعل من بولس كارزاً ، ورسولا ومعلماً للايمان . كم يكن إنجيلا يطيب خاطر بولس حيث أنه الآن قد نال خلاص نفسه ولا حاجة به أن ينشغل أو يقلق بعد ذلك . بل كان إنجيلا ألقى على عاتقه مأمورية لا فكاك منها ، أن يفنى نفسه فى خدمة الله والإنسان . وضع الإنجيل ثلاث ضرورات على بولس .

(أ) جعله كارزاً وهى كلمة تحتمل ثلاثة معان رئيسية ، وكل منها له دلالته بالنسبة لواجباتنا المسيحية . فالكارز هو المنبئ الذى يحمل إعلاناً من الملك . والكارز هو الرسول بين جيشين يواجهان بعضهما ينقل بينهما شروط الهدنة والسلام . والكارز هو المنادى الذى يؤجره صاحب مزاد أو تاجر ليعلن عن بضاعة ويدعو الناس للحضور والشراء . إذاً المسيحى هو من يأتى بالرسالة لزملائه من الناس ، وهو من يدعو الناس للصلح والسلام مع الله ، وهو من ينادى عليهم أن يقبلوا غنى عطية الله التى يقدمها لهم .

(ب) جعله رسولا . وهذه الكلمة تعنى من يرسل إلى الخارج ، أى مبعوث أو سفير ولا يتكلم الرسول عن نفسه ، بل عمن أرسله . وهو لا يمثل سلطته الشخصية بل يمارس سلطة من أرسله . والمسيحى هو ذلك المبعوث ، سفير المسيح ، أتى ليتكلم عن المسيح وليمثل المسيح أمام الناس .

(حـ) جعله معلماً . التعليم مهمة أساسية رئيسية فى حياة المسيحى وحياة الكنيسة . وهى مهمة أصعب من خدمة التبشير . واجب المبشر أن يحث الناس ، ويواجههم برسالة محبة الله . ويمكن أن يستجيب

إنسان لهذه الدعوة فى لحظة خاطفة ، عندما تفيض به عاطفة ، أو عندما تنهار الأعذار الواهية التى يتمسك بها أمام قوة كلمة الله . ولكن ليس هذا هو كل شىء ، فما زال الطريق طويلا أمامه ، لأن عليه أن يتعلم ماذا يعنى كل هذا ؛ عليه أن يتعلم تنمية الحياة المسيحية . لقد تم غرس البذرة ، ولكن ما زالت هناك عملية النمو البطيئة الطويلة . وضع الأساس ، ولكن بناء الحياة المسيحية ما زال فى بدء الإنشاء . شعلة التبشير لا بد أن يغذيها ويتابعها التوهج المستمر للتعليم المسيحى . ربما كان أحد الأسباب الرئيسية التى تنأى بالناس بعيداً عن الكنيسة ، أنهم لم ينالوا بعد التعليم الكاف فى معنى وصدق الإيمان المسيحى . إن وظيفة المسيحى الذى يود أن يخدم سيده وكنيسته ثلاثية الشعب ، فعليه أن يكون كارزاً ، ورسولا ومعلماً .

٨ ــ الإنجيل هو إنجيل يسوع المسيح . فبدونه لم يكن ممكناً أن نعرف الإنجيل . ولكن الإنجيل شوهد فى كماله أثناء ظهور ربنا يسوع المسيح . والكلمة التى يستعملها بولس عن ظهور كلمة ذات تاريخ حافل استعملها اليهود مراراً لوصف الشواهد العظيمة التى ظهرت فيها قوة الله المخلصة ، وهى الشواهد التى تكرر حدوثها أثناء الأيام الرهيبة فى كفاح المكابيين ، عندما كان أعداء إسرائيل يخططون لمحو اسم الله . فى أيام رئيس الكهنة أونياس جاء من يدعى هليودورس لينهب كنوز الهيكل فى أورشليم . وفشلت الصلوات والابتهالات فى منع هذا الاغتصاب . ثم تستطرد القصة فتقول إنه بينما كان هليودورس على وشك مد يديه نحو الكنز ، «أحدث رب الأرواح وأمير القوة رؤيا عظيمة . . . لأنه ظهر أمامهم حصان يمتطيه فارس رهيب.. اندفع بقوة وجبروت وصرع هليودورس بقدمه . . . فسقط فجأة إلى

الأرض واحتوته ظلمة عظيمة » (٢ مكابيين ٣ : ٢٤ — ٣٠) ربما لن نعرف أبداً ماذا حدث بالضبط ؛ ولكن الواضح أن هذا الشاهد العظيم ، هذه الرؤيا من الله ظهرت أثناء الساعات الحالكة للشعب عندما واجه يهوذا المكابى وجيشه الصغير جبروت نيقانور ، صلوا قائلين : « أيها الرب ، يا من أرسلت ملاكك فى زمن حزقيا ملك اليهودية ، وضربت من جيش أشور مائة وخمسة وثمانون ألفاً (الملوك الثانى ١٩ : ٣٥ و ٣٦) ، الآن أيضاً ، يا رب السماء ، أرسل ملاكك أمامنا ليلقى فى قلوبهم الرعب ؛ وبقوة ذراعك أضربهم ، أولئك الذين يأتون ضد شعبك المقدس لكى يجدفوا عليك » : ثم تستمر القصة : « عندئذ تقدم نيقانور ومن معه بالطبول والأغانى . ولكن يهوذا وصحبه واجهوا العدو بالابتهال والصلاة . ثم اشتبكوا معهم بالأيادى ، وقتلوا منهم ما لا يقل عن خمسة وثلاثين ألفاً ؛ لأن حماسهم بلغ أشده برؤيا الله » . (٢ مكابيين ١٥ : ٢٢ — ٢٧) . مرة أخرى نحن لا نعرف ماذا حدث ، ولكن مرة أخرى يتدخل الله بقوة وجبروت لإنقاذ شعبه . بالنسبة لليهود كانت كلمة رؤيا تعنى تدخلا من الله للانقاذ والخلاص .

وبالنسبة لليونانيين كانت هذه أيضاً كلمة حافلة . فهى تعنى ارتقاء الامبراطور عرشه . إنها لحظة مجيدة . كان كل امبراطور يأتى إلى العرش بآمال عريضة ؛ وكان مجيئه يؤذن بفجر يوم جديد مجيد ، وفاتحة خيرات عظيمة تعم المملكة .

وقد عرض الإنجيل بكامله بتتويج يسوع ؛ والكلمة ذاتها تعنى أن يسوع هو قوة الله العظيمة لخلاص العالم ، وأن مجىء المسيح هو بداية ارتقاء المسيح إلى العرش الذى سيصبح فى النهاية عرش ملكوت الله .

وديعة بشرية وإلهية

١٢ لِهٰذَا ٱلسَّبَبِ أَحْتَمِلُ هٰذِهِ ٱلْأُمُورَ أَيْضاً لٰكِنَّنِي
لَسْتُ أَخْجَلُ لِأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ
يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ .

١٣ تَمَسَّكْ بِصُورَةِ ٱلْكَلَامِ ٱلصَّحِيحِ ٱلَّذِي سَمِعْتَهُ مِنِّي
فِي ٱلْإِيمَانِ وَٱلْمَحَبَّةِ ٱلَّتِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ . ١٤ اِحْفَظِ
ٱلْوَدِيعَةَ ٱلصَّالِحَةَ بِٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ ٱلسَّاكِنِ فِينَا .

٢ تيموثاوس ١ : ١٢ – ١٤

يستخدم هذا الجزء كلمة يونانية ليصل إلى اتجاهين . فيتكلم بولس عما أودعه عند الله ؛ ويحث تيموثاوس أن يحافظ على الوديعة التي وضعها فيه الله وفي كلتا الحالتين تستعمل كلمة وديعة ، وهي تعني **وديعة موكولة لأمانة شخص** . يمكن للشخص أن يودع شيئاً لدى صديق له يأتمنه ، أو يحتفظ بشيء لدى بعضهم ليحافظ عليه لصالح أولاده أو أحبائه ؛ أو يودع الأشياء الثمينة بخزانة المعبد ، لأن المعابد كانت بمثابة البنوك وصناديق الائتمان في العالم القديم . وفي جميع الأحوال يدعى الشيء المودع أو المؤتمن عليه بالوديعة . وكانت المحافظة على هذه الوديعة ثم إعادتها حينما يأتي وقت المطالبة بها من أقدس الواجبات .

يقول بولس أنه ترك وديعته لدى الله ، بمعنى أنه ائتمن الله على عمله وحياته . لقد بدا فى ذلك الحين أنه ترك عمله ، وأنه سينهى حياته كمجرم فى أحد سجون روما وبذلك يرخى الستار على كل ما أنجزه . ولكن بولس غرس بذاره ، وبشر إنجيله وترك النتيجة بين يدى الله . إن كان قد بدا أن تلك كانت نهاية بولس ، ولكنه كان واثقاً أنه فى أمان طالما أنه ائتمن الله على حياته . لماذا كان بولس واثقاً ؟ لأنه كان عالماً بمن آمن . من الجدير ملاحظة وتذكر أن بولس لم يذكر أنه عالم بما آمن . فيقين بولس لم يأت عن معرفة عقلية بعقيدة أو بدين ، ولكنه أتى من معرفة شخصية بالله . كان يعرف الله شخصياً ، وكان يعرفه عن قرب ؛ كان يعلم كيف يكون الله فى المحبة وفى القوة ؛ وكانت هذه المعرفة تؤكد لبولس أنه من غير المعقول ومما لا يمكن تصوره أن يخيب الله رجاءه أو يعرض عنه .

إذا كنا قد أدينا عملنا بأمانة ، وإذا كنا قد بذلنا كل ما فينا من عزيمة وموهبة لتحقيق أحسن ما نستطيع ، نستطيع أن نأخذ معنا هذا العمل وهذا المجهود ، تاركين النتيجة بين يدى الله — مهما كان استصغارنا لشأن هذا العمل . إن عشنا أو متنا فإن هذا لا يهم طالما استودعنا حياتنا بين يدى الله . فحياتنا فى أمان هنا على الأرض أو فى عالم آخر طالما هو معنا ، لأنه لا شىء يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا .

وديعة بشرية وإلهية

ولكن هناك جانباً آخر لموضوع الوديعة فبولس يحث تيموثاوس أن يحرص ويحافظ على الوديعة التى وضعها الله فيه . لسنا نحن فقط الذين نضع ثقتنا فى الله ؛ بل الله أيضاً يضع ثقته فينا . أن فكرة اعتماد الله على الناس ليست خارجة عن فكر العهد الجديد . عندما يريد الله تنفيذ عمل ما ،

يبحث عن شخص لتأديته . إذا أراد الله لطفل أن يتعلم ، أو لرسالة أن تقدم ، أو لعظة أن تبشر ، أو لمفقود أن يوجد ، أو لحزين أن يتعزى ، أو لمريض أن يشفى فإنه يجد الوكيل والأداة لتنفيذ غرضه .

أن الوديعة التي أوكلها الله لتيموثاوس كانت رعاية وبنيان الكنيسة. وإذا كان لتيموثاوس أن يؤدى المهمة كاملة ، وجب عليه أن يتمسك بعدة أمور معينة :

١ ــ كان عليه أن يتمسك **بصورة الكلام المقوى الصالح** . أى كان عليه أن يحرص على طهارة المعتقدات المسيحية ، وأن تظل نقية من الآراء المغرضة والأفكار الخاطئة ، وأن مبادئ الإيمان العظيمة لا تنتهك . ليس معنى هذا أنه لا يوجد مكان فى الكنيسة المسيحية للأفكار الجديدة ، أو الآراء الجديدة ، أو لتطوير فى المعتقدات . ولكن المطلوب هو صون بعض الحقائق المسيحية العظمى من التلاعب بها . وربما كان من الممكن تلخيص هذه الحقائق جميعاً فى حقيقة واحدة هى عقيدة الكنيسة الأولى « يسوع المسيح هو رب » (فيلبى ٢ : ١١) إن أى لاهوتى يعمل على أن يزحزح المسيح من مركز القمة ، أو أن يأخذ منه مكانه الفريد فى خطة الله للخلاص بالضرورة مخطىء . وعلى الكنيسة المسيحية أن تجدد دائماً عهود إيمانها ، ولكنها جميعاً عهود إيمان فى المسيح .

٢ ــ لا يجب أن يتراخى فى **الإيمان** . والإيمان هنا يشير إلى فكرتين أو معنيين :

(أ) فكرة **الوفاء والولاء** . فالقائد المسيحى عليه دائماً أن يكون وفياً وموالياً ليسوع المسيح ، وأن لا يخجل قط من إعلان أنه يمت

ليسوع ويخدمه . وأن لا يخاف مطلقاً من الوقوف والتمسك بسيده ومخلصه الذى قبل الصليب لأجله . الوفاء هو أقدم وأهم الفضائل فى العالم .

(ب) ولكن الإيمان يحمل أيضاً معنى الرجاء . فعلى المسيحى أن لا يفقد ثقته أبداً فى الله ؛ ولا أن يجرفه تيار الإرهاق والتشاؤم . لا يحق له أن ييأس .

لهذا لا يجب أن يحمل قلب المسيحى شيئاً من اليأس ، أو التشاؤم أو الخوف سواء عن نفسه أو عن العالم .

٣ — لا يجب أن يتراخى عن المحبة . لكى تحب الناس عليك أن تراهم كما يراهم الله . وأن ترفض عمل أى شىء إلا ما فيه خيرهم وصالحهم . هو أن تقابل الإساءة بالإحسان . هو أن تبادل الكراهية بالمحبة . هو أن تقابل الاستخفاف بعاطفة جياشة لا يمكن أن تكتم أو تطفأ أو تميع . فى المحبة المسيحية إصرار على محبة الناس كما أحبهم الله ، وأن ينعكس حب الله الذى أحبنا به أولا فى حبنا للآخرين .

الخونة كثيرون والوفى واحد

١٥ أَنْتَ تَعْلَمُ هٰذَا أَنَّ جَمِيعَ ٱلَّذِينَ فِي أَسِيَّا ٱرْتَدُّوا
عَنِّي ٱلَّذِينَ مِنْهُمْ فَيُجَلُّسُ وَهَرْمُوجَانِسُ. ١٦ لِيُعْطِ ٱلرَّبُّ
رَحْمَةً لِبَيْتِ أُنِيسِيفُورُسَ لِأَنَّهُ مِرَاراً أَرَاحَنِي وَلَمْ يَخْجَلْ
بِسِلْسِلَتِي ١٧ بَلْ لَمَّا كَانَ فِي رُومِيَّةَ طَلَبَنِي بِأَوْفَرِ ٱجْتِهَادٍ
فَوَجَدَنِي. ١٨ لِيُعْطِهِ ٱلرَّبُّ أَنْ يَجِدَ رَحْمَةً مِنَ ٱلرَّبِّ فِي
ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ. وَكُلُّ مَا كَانَ يَخْدُمُ فِي أَفَسُسَ أَنْتَ تَعْرِفُهُ
جَيِّداً.

٢ تيموثاوس ١ : ١٥ – ١٨

هذا جزء تختلط فيه المشاعر العميقة بالفرح . فقد حدث لبولس فى النهاية ما حدث لسيده يسوع . نساه أصدقاؤه وهربوا . والمقصود بأسيا – فى العهد الجديد – الولاية الرومانية التى فى غرب آسيا الصغرى ، وعاصمتها أفسس . عندما سجن بولس هجره أصدقاؤه خوفاً مما يلحق بهم . ولا يمكن أن تكون التهمة الوحيدة ضد بولس تهمة دينية ، لأن الرومان لن يعبأوا بهذا ، ولا بد أن اليهود قد نجحوا فى إقناع الرومان بأن بولس يثير للقلاقل معكر للأمن العام ومن الخطورة تركه حراً . ولا شك أن اعتقال بولس تم بناء على تهمة سياسية . ولا شك استمرار الصداقة مع معتقل سياسى كهذا يعرض الاصدقاء

للخطر ؛ لهذا هجر بولس أصدقاؤه حرصاً على سلامتهم الشخصية وتركوه وحيداً فى ساعة حاجته .

ولكن إن خاف الجميع وتركوه ، فقد ظل رجل واحد وفياً له حتى النهاية . كان هذا الرجل هو أنيسيفورس ، والاسم يعنى مربح . خجل البعض وخافوا أن يتهموا بمعرفة بولس ، ولكن لم يكن انيسيفورس واحد منهم . ويرسم ب. ن. هاريسون صورة نابضة لانيسيفورس وهو يبحث عن بولس فى روما : « نلمح فى وسط الجماهير المتحركة وجهاً جاداً فيه إصرار وعزيمة ، ونحن نتبع فى اهتمام متزايد هذا الوجه الغريب ، الآتى من شواطئ بحر إيجه البعيدة وهو يتحسس سيره فى شبكة الشوارع التى لا يعرفها ، طارقاً أبواب منازل كثيرة ، متتبعاً كل أثر ، لا يثنيه عن غرضه تحذير أو خطر أو أى شىء ؛ حتى يرحب به فى النهاية صوت يعرفه جيداً فى مكان مظلم نصفه منزل ونصفه الآخر سجن ، هنا يكتشف بولس مقيداً إلى عسكرى رومانى . وإذ يجد انيسيفورس بولس ويعرف طريقه إليه ، لا يكتفى بزيارة واحدة ، ولكنه ، كاسمه ، لا يكل ولا يتعب فى خدمته وسؤاله . غيره تراجعوا وانكمشوا أمام التهديد والعار الذى تعنيه هذه السلسلة ؛ ولكن هذا الزائر يعتبر مشاركته لهذا المجرم فى عار الصليب امتياز حياته الأعظم . ولكثرة تردده على بولس أصبحت هذه الشبكة المعقدة من شوارع روما معروفة له كشوارع مدينة أفسس » .

ولا شك أن انيسيفورس عندما بدأ بحثه عن بولس ثم كرر التردد عليه كان يضع حياته على كفه . كان من الخطر أن يستمر فى السؤال عن مكان مجرم معين ؛ وكان من الخطر أن يزوره ، وكان الأكثر من هذا خطورة الاستمرار فى زيارته ؛ ولكن هذا ما فعله انيسيفورس .

مرة بعد مرة يواجهنا الكتاب المقدس بسؤال يصيب مرمى حقيقياً فى حياة كل منا . ومرة بعد مرة يقدم الكتاب المقدس شخصاً ثم يخرجه من مسرح التاريخ بجملة واحدة فقط . هرموجانس ، فيجلس ، إثنان لا نعرف عنهما غير الاسم وأنهما خانا بولس فتركاه فى محنته . انيسيفورس ، لا نعرف عنه إلا وفاءه لبولس ومخاطرته بحياته — وربما فقدها — فى سبيله . يذهب هرموجانس وفيجلس فى غياهب التاريخ مدموغين بالخيانة ؛ ويذهب انيسيفورس فى التاريخ بأنه الصديق الألزق من الأخ . إذا قدر لنا أن نصف فى جملة واحدة . ماذا تكون هذه الجملة ؟ هل يكون حكم جملة واحدة على حياتنا حكماً على خائن أو حكماً على تلميذ ظل أميناً .

الأصحاح الثانى

سلسلة التعليم المتصلة

١ فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ٱبْنِى بِٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِى فِى ٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ . ٢ وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّى بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ أَوْدِعْهُ أُنَاساً
أُمَنَاءَ يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضاً .

٢ تيموثاوس ٢ : ١ ، ٢

نجد هنا تخطيطاً لكيفية تلقى الإيمان المسيحى ونقله للآخرين .

١ ــ تلقى الإيمان مبنى على السمع . فمن بولس سمع تيموثاوس عن الحق والنعمة فى الدين المسيحى . وتأكد ما سمعه بأقوال شهود كثيرين ، أولئك الذين شهدوا قائلين : « هذه الكلمات . هذه الوعود جميعها صادقة ، ونحن نعرف ذلك لأننا اختبرناها فى حياتنا » . ومن الطبيعى أن كثيرين منا لا يملكون موهبة التعبير ، ولا يستطيعون تعليم أو شرح الدين المسيحى ، ولكن حتى ذلك الشخص الذى ليست لديه ملكة التعليم قادر أن يشهد لقوة الإنجيل الحية ، ولصدق جميع الوعود .

٢ ــ قبول الإيمان ليس امتيازاً فقط بل يجب نقله للغير . وعلى كل مسيحى أن يعتبر نفسه حلقة اتصال بين جيلين . فعليه أن يسلم الأمانة التى استلمها . ويكتب سمبسون عن هذا الجزء : « أن الشعلة السماوية يجب أن تنقل مشتعلة من جيل إلى آخر ، وعلى تيموثاوس أن يعد نفسه وسيطاً بين العهد الرسولى والأجيال الآتية » . تلقى الإيمان امتياز المسيحى ونقل الإيمان مسئولية .

٣ – ينقل الإيمان للمخلصين الذين يقومون بدورهم بتعليم الآخرين . واستمرار الكنيسة المسيحية يعتمد على سلسلة متصلة من المدرسين . وقد صور كلمينت هذه السلسلة فى كتاباته لكنيسة كورنثوس . « عن الرسل الشيوخ ، ومن هؤلاء توالت خدمة الإيمان بصورة مستمرة لا تنقطع » . فالمعلم حلقة اتصال فى السلسلة الحية التى تمتد كاملة غير مقطوعة من وقتنا الحالى إلى يسوع المسيح . وأن مجد التعليم هو أنه رابطة الوصل بين حاضرنا وبين حياة يسوع المسيح على الأرض .

يجب أن يكون هؤلاء المعلمون مخلصون. والكلمة اليونانية «مخلص» هى غنية بعدة معانى متقاربة . فرجل يوصف بأنه مخلص يعنى أنه مؤمن ، وفى ، لا يرجع فى وعوده ويمكن الاعتماد عليه . ويضيف فالكونر فيقول إن هؤلاء المؤمنين « لن يخضعوا لإرهاب أو يرهبهم خطأ » .

لأن قلب المعلم المسيحى يجب أن يستند إلى المسيح فلا يغريه عن طريق الوفاء أو يضله عن طريق الحق المستقيم تهديد بخطر أو خداع تعليم زائف . وهكذا يجب أن يكون المعلم المسيحى ثابتاً لا يتزعزع فى حياته وتفكيره .

جندى المسيح

٣ فَٱشْتَرِكْ أَنْتَ فِي ٱحْتِمَالِ ٱلْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ
لِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ . ٤ لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ
بِأَعْمَالِ ٱلْحَيٰوةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٣ ، ٤

تصوير الإنسان كجندى والحياة كميدان لمعركة أحد التشبيهات التى استخدمها اليونانيون والرومان كثيراً فى كتاباتهم . قال سنيكا « لكى تحيا يجب أن تكون جندياً » . وقال ابكتيتس « حياة كل شخص نوع من معركة ، وهى معركة طويلة متنوعة » . وطبق بولس هذه الصورة على حياة المسيحيين عموماً ، واختص بها القادة وخدام الكنيسة البارزين . فهو يحث تيموثاوس « أن يحارب المحاربة الحسنة » (اتيموثاوس ١ : ١٨) ويدعو ارخبس « المتجند معنا » (فليمون ٢) ويدعو أبفرودتس، رسول كنيسة فيلبى ، « المتجند معى » (فيلبى ٢ : ٢٥) . ومن الواضح أن بولس رأى فى حياة الجندى صورة لما يجب أن تكون عليه حياة المسيحى وخادم المسيح . ما هى إذاً صفات الجندية التى ود بولس تكرارها فى الحياة المسيحية ؟

١ ــ خدمة الجندى خدمة مركزة . متى ما دخل إنسان فى خدمة جيش ، لم يعد فى استطاعته أن يشارك أو يرتبط بأمور الحياة اليومية والعادية ، بل عليه أن يركز على خدمته كجندى ، ويذكر قانون ثيودوسيوس الرومانى :

« ممنوع على الملحقين بالخدمة العسكرية الاشتراك فى أعمال مدنية » . الجندى جندى ولا شيء آخر . والمسيحى مطالب بالتركيز على مسيحيته — ولا يعنى هذا عدم اشتراكه فى أعمال ومهام عالمية ، ولكنه يعنى أن يعيش مسيحيته ويبرهن عليها بقدرته فى أى مهمة أو عمل يشتغل به .

٢ — **الجندى مكلف بالطاعة** . فالتدريب الأولى للجندى يعلمه الطاعة العمياء ، طاعة غريزية لا تناقش كلمة الأمر الصادرة إليه . فربما جاء وقت تكون فيه هذه الطاعة العمياء سبباً فى إنقاذ حياته وحياة آخرين . هناك بعض الحق فى القول أنه ليس من واجب الجندى « أن يسأل لماذا » . فاشتباكه فى وسط المعمعة لن يعطيه صورة عامة شاملة لما يجرى فيها . لهذا يترك اتخاذ القرارات للقائد يشاهد جملة ما يجرى فى الميدان . وواجب المسيحى الأول هو إطاعة صوت الله ، وقبول حتى ما لا يستطيع أن يفهمه فى حينه .

٣ — **والجندى مدرب على التضحية** . كثيراً ما يكون واجب الجندى لا مهاجمة العدو بل الدفاع بأن يضع جسمه درعاً حياً بين العدو وبين من يحب . أى أن مهمته هى تضحية النفس لأجل أن يدافع عنهم . يحكى لنا جوسب أنه أثناء قيامه بعمل قسيس فى فرقة فى الحرب العالمية الأولى ، وصل للخطوط الأمامية للمرة الأولى . وهناك واجه الحرب ، والدماء ، والجروح والموت فى صورتها البشعة . وأثناء سيره شاهد على جانب الطريق جسد جندى اسكتلندى صغير ، وبدون أن يعرف السبب جال بخاطره كلمات المسيح نفسه : « هذا هو جسدى المكسور لأجلكم » أن الشرط الأساسى فى حياة الجندى هو استعداده أن يضع حياته لأجل أصدقائه . وهكذا المسيحى ، يجب أن يكون دائماً على استعداد للتضحية بنفسه ، بأغراضه ، برغباته ، بثروته ، لأجل الله والإنسان .

٤ ــ والجندى مدرب على الولاء . عندما يلتحق الجندى الرومانى بالجيش يأخذ على نفسه قسما للولاء للامبراطور . سجل أحدهم هذا الحديث بين المارشال فوش وضابط فى حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ . قال فوش « لا يجب أن تتراجع يجب أن تثبت بأى ثمن » . فأجاب الضابط مأخوذاً ، « إن هذا معناه أن نموت جميعاً » فأجابه فوش « بالضبط ! » . إن فضيلة الجندى العظمى هى إخلاصه حتى الموت . وهكذا المسيحى أيضاً ، فهو مخلص ليسوع المسيح ، خلال كل الظروف وتغيرات الحياة ، حتى أعتاب الموت .

رياضى المسيح

وَأَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ لاَ يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا .

٢ تيموثاوس ٢ : ٥

إستعمل بولس صورة الجندى ليصف المسيحى ، والآن يستعمل صورتين أخريتين ، صورة الرياضى ، وصورة الفلاح الذى يشق فى عمله ؛ وهو يستعمل نفس الصور الثلاث معاً فى ١ كورنثوس ٩ : ٦،٧ ، ٢٤—٢٧ .

يقول بولس أن الرياضى لن يفوز بالجائزة إلا إذا حافظ على قوانين المسابقة . الأصل اليونانى athlein nomimos وهى من تلك الكلمات التى تستعصى على الترجمة المباشرة . جاءت بالكتاب « يجاهد قانونياً » . واستعملها بعض الكتاب الذين جاءوا بعد ذلك لوصف الرياضى المحترف بعكس الرياضى الهاوى . الرجل الذى يجاهد nominos هو الذى يركز كل شىء فى صراعه وجهاده . فهذا الجهاد ليس فقط لملء وقت فراغه ، كما هو الحال بالنسبة للهاوى ، بل هو تكريس لحياته بكل نشاطاتها وأوقاتها للهدف الأعظم وهو الامتياز والفوز فى السباق الذى اختاره ، هنا أيضاً نجد نفس الفكرة التى تعبر بالخاطر إزاء رؤية المسيحى فى صورة الجندى . مرة أخرى نجد الضرورة فى تركيز المسيحى على مسيحيته تماماً كالضرورة التى نراها فى حياة الرياضى المحترف فى التركيز على رياضيته . المسيحى فى وقت الفراغ فقط مناقض للشروط ، لأن حياة الشخص كلية يجب أن تكون محاولة

بواحدة مرهقة ومتصلة ليعيش مسيحيته فى كل لحظة وفى كل نواحى حياته .

ما هى إذاً صفات الرياضى التى تجول بفكر بولس ؟

١ ــ الرياضى شخص خاضع **لتربية مستمرة وإنكار لذاته** . فواجبه أن يحافظ على جدول مرانه ولا يسمح لشىء آخر أن يعطله عنه . ستمر عليه أيام يود فيها أن يفلت من هذا التدريب القاسى ولكنه لا يستطيع أن يدع هذا التفكير يغلبه . المباهج والمسرات التى يمكن أن يندمج فيها تغزو عقله ولكن عليه أن يرفضها . هناك أوقات يشعر فيها بالتعب ، ويود أن يتوقف ؛ ولكن بوشكاش ، لاعب الكرة المجرى الشهير ، يعطى نصيحة لكل رياضى ، « عندما تشعر أنك لا تستطيع أن تستمر ، قاوم هذا الشعور لمدة ١٠ دقائق أخرى » . الرياضى الذى ينشد الامتياز يعلم جيداً أنه لا يستطيع أن يسمح لأى شىء أن يغير من مستوى اللياقة البدنية الذى حدده لنفسه . وهكذا يجب أن يكون هناك تربية مستمرة فى الحياة المسيحية . ستمر علينا لحظات نتمنى فيها التوقف عن الصلاة وعن الاستمرار فى الحياة المستقيمة الصالحة لكثرة مشاقها ؛ ستمر علينا أوقات نود فيها أن نسلك جانب الحياة السهلة الجذابة ، ونرخى ولو قليلا هذه المقاييس التى نصبناها لأنفسنا . ولكن المسيحى خاضع لتدريب ، وعليه أن يدرب نفسه أن لا يتراخى مطلقاً فى السعى حثيثاً نحو الغرض ، غرض تحقيق طهارة النفس وتقويتها .

٢ ــ الرياضى هو شخص **يرعى القواعد** . فخلف تربية الذات وقوانين التدريب تأتى المسابقة وقواعدها . لا يستطيع الرياضى الفوز إلا إذا أدى اللعبة . وهكذا المسيحى كثيراً ما يواجه التحدى ممن حوله . عليه أن يدافع عن الدين ، عليه أن يقنع ويفحم ، عليه أن يناقش ويحاور ؛ عليه أن يدافع عن موقفه ويهاجم مواقف الآخرين . وفى كل هذا عليه أن يطيع القواعد المسيحية . فهما حمس وطيس النقاش ، على المسيحى أن لا ينسى أبداً قواعد

الذوق . ومهما كانت أهمية الانتصار فى الجدال ، عليه أن لا ينحاز مطلقاً عن طريق الأمانة والصدق فى تقييم موقفه وأن يكون عادلا فى تقييم موقف معارضه . إن الكراهية التى تنشب بين اللاهوتيين صارت مثلا على عمق الكراهية ، فليس هناك مرات كتلك التى تثيرها المنازعات الدينية . ولكن المسيحى الحقيقى يتعلم أن قانون الحياة المسيحية الأسمى هو المحبة ، وسيحمل هذه المحبة معه فى أى مناقشة أو جدال يشترك فيه .

العامل الذى يشقى لأجل المسيح

٦ يَجِبُ أَنَّ ٱلْحَرَّاثَ ٱلَّذِى يَتْعَبُ يَشْتَرِكُ هُوَ أَوَّلاً فِى
ٱلْأَثْمَارِ . ٧ افْهَمْ مَا أَقُولُ . فَلْيُعْطِكَ ٱلرَّبُّ فَهْماً فِى كُلِّ
شَىْءٍ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٦، ٧

إستعان بولس فى وصفه للحياة المسيحية أولا بصورة الجندى، ثم بصورة الرياضى ، والآن يستعمل صورة فلاح الأرض الذى يشقى ، وهو الذى ينال النصيب الأول من ثمار الحصاد . لأن تعبه وكفاحه سيعطيانه الحق أن يحصد ويتمتع . ما هى إذاً صفات الفلاح التى يود بولس أن يراها فى حياة المسيحى؟

١ — يجب أن يكون الفلاح راضياً —أولا بالعمل وثانياً بالانتظار . فالفلاح — بخلاف جميع العمال والعاملين — هو من يعرف جيداً أنه لا يوجد شىء اسمه نتائج سريعة . وهكذا المسيحى عليه أن يتعلم كيف يعمل وكيف ينتظر. فغالباً ما يبذر بذار الكلمة الصالحة فى عقول وقلوب مستمعيه ولا يرى لها نتائج فورية . والمعلم يبذل جهده فى التعليم ، ولكنه غالباً لا يرى فروقاً سريعة فيمن يدرسون على يديه . والوالدان يشقيان فى تدريب وتوجيه أولادهما ، ولكنهما لا يجدان تغييراً محسوساً فيهم ، فالنتيجة فى جميع هذه الأحوال لا تظهر إلا بعد سنين ، غالباً عندما يبلغ هذا الشخص الصغير — الابن أو الابنة — سن النضوج . حينئذ يواجه الواحد منهم باغراء لا يقاوم ، أو بقرار

رهيب ، أو بعمل لا يحتمل . هنا فى هذه اللحظة الحرجة . تطفو على السطح من غياهب العقل الباطن ، كلمة إلهية ، أو مثالا حكيما ، أو جملة عميقة المعنى ويكون فيها الحد الفاصل بين الشرف والفساد ، بين الخلاص والهلاك . هذه هى اللحظة التى يأتى فيها تعليم السنين الماضية ، وجهاد الآباء والمدرسين والرعاة ، بثمارها الطيبة . إذا كان من يفلح الأرض قد تعلم كيف ينتظر فى صبر ، فيجب أن يتعلم المعلم المسيحى والوالد المسيحى هذا الدرس .

٢ — وهناك خاصية أخرى لعمل الفلاح ، أن يكون مستعداً للعمل فى أى ساعة . فى وقت الحصاد يعمل الفلاح فى الحقل حتى منتصف الليل ، طالما أن هناك بصيصاً من النور باق . لا يعرف الفلاح ساعات للعمل . وهكذا الحال مع المسيحى — فلا أحد يستطيع أن يجرده من مسيحيته لساعة أو ساعتين . والمشكلة فى مسيحية فائضة أنها قصيرة العمر ، تفور ثم تهبط سريعاً . ولكن المسيحى الحقيقى يعمل من الفجر حتى الغسق فى خدمة سيده .

هناك شىء واحد مشترك بين هذه الصور الثلاث هو الهدف . هدف الجندى النصر النهائى ، وهدف الرياضى نوال الجائزة ، وهدف الفلاح ثمار الحصاد . لهذا يخضع كل منهم نفسه للتربية المستمرة والتدريب الشاق لأجل المجد . وهكذا الأمر مع المسيحى ، لأن جهاده نحو غرض أو هدف سام . الوصول إلى مكان أفضل ، ويحق للمسيحى أن يثق فى أن نهاية الجهاد فى الحياة المسيحية فرح السماء ؛ وكلما ازداد الجهاد مشقة كلما كان الفرح أعظم .

ذكرى بالغة الأهمية

٨ اُذْكُرْ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ ٱلْمُقَامَ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ مِن نَسْلِ
دَاوُدَ بِحَسَبِ إِنْجِيلِي ٩ ٱلَّذِي فِيهِ أَحْتَمِلُ ٱلْمَشَقَّاتِ حَتَّى
ٱلْقُيُودَ كَمُذْنِبٍ . لٰكِنَّ كَلِمَةَ ٱللهِ لاَ تُقَيَّدُ . ١٠لِأَجْلِ ذٰلِكَ
أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ ٱلْمُخْتَارِينَ لِكَيْ يَحْصُلُوا
هُمْ أَيْضاً عَلَى ٱلْخَلاَصِ ٱلَّذِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعْ مَجْدٍ
أَبَدِيٍّ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٨ — ١٠

منذ بداية هذه الرسالة يحاول بولس حث تيموثاوس على العمل . ذكره أولا بثقته الشخصية فيه ، وذكره ثانياً بعائلته الصالحة ، ثم أراه صور الجندى المسيحى ، والرياضى المسيحى والعامل المسيحى . والآن يأتى إلى أعظم تذكرة على الإطلاق — تذكر يسوع المسيح . ويعلق فالكونر على هذه الكلمات أنها : « قلب رسالة بولس » . فانه حتى إذا فشلت كل هذه الذكريات الأخرى فى استثارة تيموثاوس ، فان ذكرى يسوع المسيح لا يمكن أن تفشل . وفيما يلى نجد ثلاثة أمور بخصوص هذه الذكرى .

١ — تذكر يسوع المسيح **المقام من الأموات** . يستعمل بولس هنا ما يفيد أن زمن حدوث الفعل لم ينته بعد بل مستمر إلى الدوام ، فهو لا يذكر تيموثاوس بقيامة المسيح الفعلية ، بل بالأحرى يقول له « أذكر يسوع المقام

من الأموات دائماً ، والرب الحاضر معنا دائماً » . هنا نجد الإلهام المسيحى العظيم . فنحن لا نرتكن إلى ذكرى ملهمة مهما كانت أهميتها ، ولكننا نتمتع بقوة حاضرة معنا . عندما يدعى مسيحى لمهمة كبرى ، مهمة يشعر إزاءها بالعجز ، فانه يتوجه لها متأكداً أنه ليس وحده ، بل أن معه قوة ربه المقام . وحضوره.عندما تهددنا المخاوف ، عندما تهاجمنا الشكوك ، لنذكر حضور الرب المقام .

٢ ـ تذكر يسوع المسيح المولود من نسل داود . هذا هو الجانب الآخر من السؤال . يقول بولس لتيموثاوس « تذكر إنسانية السيد » فنحن لا نتذكر واحداً من عالم الأرواح فقط ، بل نذكر واحداً سار هذا الطريق ، وعاش هذه الحياة ، وواجه هذه المشاق ، وهو لهذا يعرف ما نمر به . فحاضر معنا ، ليس فقط المسيح الممجد ، بل المسيح الذى عرف معنى اليأس فى جهاد البشر ، والذى أطاع مشيئة الله حتى النهاية المريرة .

٣ ـ وأخيراً يقول بولس ، تذكر الإنجيل ، تذكر الأخبار الحسنة . حتى لو كانت مطالب الإنجيل ثقيلة ، حتى لو استدعت مجهوداً يفوق طاقة البشر ، حتى لو قادت إلى مستقبل مظلم تغشاه التهديدات من كل جانب ، تذكر أنه إنجيل ، أنه الأخبار الحسنة ؛ وتذكر أن العالم فى انتظار هذه الأخبار الحسنة . مهما كانت مشقة العمل الذى يتطلبه الإنجيل ، فان هذا الإنجيل نفسه هو رسالة الحرية من عبودية الخطية ، والانتصار على كل الظروف لنا ولجميع البشر .

هكذا يشعل بولس حمية تيموثاوس نحو البطولة بتذكيره بيسوع المسيح وبحضور الرب المقام معه دائماً ، وبتذكيره بتعاطفه مع ضعفاتنا لأنه عاش

بشريتنا ويستثيره بذكرى مجد الإنجيل لنفسه والعالم الذى لم يسمع به ولكنه فى انتظاره .

كتب بولس هذه الكلمات من سجنه بروما وهو مقيد بالسلاسل ، ظل مقيداً ليلا ونهاراً إلى ذراع حارس رومانى ، وكانت حريته فى التحرك محدودة بطول السلسلة بينه وبين الحارس . والواضح أن روما كانت تتخذ كل حيطة ضد هرب سجنائها .

سجن بولس كمجرم فان كان الشخص المسيحى العادى يعتبر مجرماً فما بالك ببولس ؟ كانت هناك وسيلتان يمكن أن يبدو فيهما بولس مذنباً فى نظر الحكومة الرومانية .

أولا ، كانت الامبراطورية الرومانية تسيطر على العالم المعروف حينئذ ، وبديهى أن امبراطورية شاسعة كهذه كانت معرضة للضغوط والمؤثرات . لهذا كان من الواجب المحافظة على السلام وإزالة كل مراكز القلقلة والثورة . كانت روما شديدة التحفظ إزاء الجمعيات الموجودة فيها وهى كثيرة فكان هناك مثلا نادى العشاء يجتمع فيه البعض على فترات محددة لتناول العشاء معاً . وكان هناك أيضاً ما نستطيع أن نطلق عليه جمعيات الصداقة التى كانت ترتب إحساناً لعائلات الأعضاء المتوفين . وكان هناك جمعيات الدفن ترتب لأعضائها جنازة محترمة . ولكن السلطات الرومانية كانت شديدة الحرص إزاء الجمعيات لدرجة أن هذه المجتمعات المتواضعة المسالمة كانت تحتاج لاستخراج تصاريح خاصة من الامبراطور ليحل لها الانعقاد . والآن لنذكر أن المسيحيين كانوا فى الحقيقة جمعية غير قانونية ، وهذا سبب كاف أن يجعل من موقف بولس — رئيس هذه الجمعية — مذنب خطر يهدد الدولة كأى مذنب سياسى .

ثانياً ، كان هناك سبب آخر لاعتبار بولس مذنباً . ارتبط اضطهاد المسيحيين الأول ارتباطاً وثيقاً بحريق روما الشهير فى ١٩ يوليو سنة ٦٤ ميلادية . استمر الحريق ستة أيام وسبعة ليال وخرب المدينة تماماً . وهلك فى الحريق أقدس الأضرحة وأشهر المبانى . ولكن أسوأ من هذا ، دمر الحريق بيوت العامة فالغالبية العظمى من سكان روما كانت تعيش فى مبان خشبية اشتعلت بسرعة مذهلة . واحترق كثيرون أحياء ، وقتل كثيرون وجرح وأصيب آلاف . ومن نجا تركه الحريق يتيما لا يملك شيئاً . وتبقى من سكان روما مجموعة يجمعها الشقاء واليأس . كان المعروف أن الامبراطور نيرون هو المسئول عن الحريق . ويقال إنه راقب الحريق من برج وأعلن ابتهاجه بروعة اللهيب . ويقال أيضاً إن بعضاً من خدمه وأتباعه كان يعيد إشعال النيران فى الأماكن التى بدأت النار تخبو منها. كانت تتملك نيرون عاطفة قوية للبناء ، ويقال أن حريقه العمد للمدينة ثم يفرض استخدام الحطام فى بناء روما حديثة قوية. ومهمايقال فى صدق القصة من عدمه فان جميع الدلائل تشير إلى حدوثها فعلا هكذا ، ولن نتمكن من الوصول إلى سر الأمر أبداً . ولكن شيئاً واحداً ظل مؤكداً — وهو وثوق مواطنى روما. الفقراء المشردين من مسئولية نيرون فى الحريق . ولا شىء يستطيع أن يقضى على صحة هذه الإشاعة إلا أن تجد الحكومة كبش فداء تلقى عليه المسئولية واللوم . ووجد كبش الفداء ، ولندع لتاسيتس ، المؤرخ الرومانى ، وصف كيف تم ذلك : «ولكن رغم كل الجهود البشرية ، ورغم عطايا الامبراطور السخية وفدية الآلهة لم يطر هذا الاعتقاد المخيف وهو أن النار اشتعلت عمداً ، ولكى يقضى نيرون على هذا الاعتقاد ، ألصق التهمة بطبقة مكروهة يدعوها الشعب مسيحيين وأوقع عليهم أشد أنواع التعذيب » . (تاريخ تاسيتس ١٥ : ٤٤)

وقد أوعز بحملة السباب والشتائم ضد المسيحيين والتشهير بهم ولا شك أيضاً أن اليهود ذوى النفوذ كانوا خلف هذا الأمر . وهكذا تحمل المسيحيون المكروهون تهمة حريق روما الفظيع . ومن هذه الحادثة ، ومن هذه التهمة ، هبت أول عملية اضطهاد كبرى منظمة ضد المسيحيين . بولس مسيحى ، بل هو زعيم المسيحيين ، وربما كان بعضاً من التهم الموجهة ضده أن أتباعه هم المسئولون عن حريق روما وما نتج عن ذلك من شقاء الشعب .

إذاً ، كان بولس فى السجن كمجرم ، سجين سياسى ، عضو وزعيم جماعة غير قانونية ، وعضو تلك العصابة المكروهة من مثيرى الحرائق ، والذين ألصق بهم نيرون تهمة دمار روما ، من السهل رؤية الموقف اليائس الذى كان يواجه بولس .

حر حتى فى قيود الحديد

رغم وجود بولس فى السجن بتهم تجعل إطلاق سراحه أمراً مستحيلا ، لم يكن بولس مبتئساً ، ولم يعرف اليأس طريقه إليه . فقد توارد إلى قلبه خاطران عظيمان وهباه القوة .

١ ــ كان واثقاً أنه رغم قيوده لا شىء يستطيع أن يقيد كلمة الله . كان أندرو ملفيل واحداً من أوائل المبشرين بالإصلاح فى اسكتلندا . ودعاه ذات يوم الوصى على العرش مورتون واتهم كتاباته علناً ، قائلا « لن يكون هناك هدوء فى هذا البلد حتى يشنق ستة من أمثالك أو يطردون خارجها » . فأجابه ملفيل بهذا الكلام «لن تقدر أن تشنق أو تنفى الحق» . تستطيع أن تبعد إنساناً ولكنك لا تستطيع أن تنفى الحق. يمكنك أن تعتقل مبشراً ولكنك لن تستطيع أن

تحتقل الكلمة التى يبشرها . الرسالة دائماً أعظم من الرجل ، والحق دائماً أقوى من حامله . كان بولس واثقاً أنه فى إمكان الحكومة الرومانية أن تأمر بحبسه ولكنها غير قادرة أن تحبس كلمة الله خلف كل قضبان السجون التى يمكن أن تحشدها ؛ وأن إحدى حقائق التاريخ الثابتة قوة كلمة الله القاهرة التى لا يستطيع أحد أن يقاومها . لو كان فى إمكان الجهد البشرى أن يمحو المسيحية ، لكانت المسيحية قد هلكت منذ زمان طويل . ولكن الناس لا يستطيعون قتل ما هو خالد لا يموت .

٢ — كان بولس واثقاً أن ما يجوز خلاله سيكون عوناً لآخرين فى النهاية . إن عذابه لن يكون بلا معنى أو فائدة. مجرد معرفة الناس عن آلامه وتضحياته ستقود كثيرين إلى الإيمان . ودماء الشهداء هى بذار الكنيسة . والنور الذى تصاعد من المحرقات التى مات فوقها المسيحيون صار الشعلة التى أشعلت ناراً لا تطفأ . عندما يتألم واحد لأجل مسيحيته ، دعه يتذكر أن آلامه اليوم تمهد الطريق لإنسان آخر يأتى بعده . فى احتمالنا للألم نحمل نصيبنا الصغير من ثقل صليب المسيح ، ونقوم بأداء واجبنا الصغير فى تقديم خلاص الله للناس .

ترنيمة الشهداء

١١ صَادِقَةٌ هِيَ ٱلْكَلِمَةُ أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ
فَسَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ . ١٢ إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً
مَعَهُ . إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضاً سَيُنْكِرُنَا .١٣ إِنْ كُنَّا غَيْرَ
أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِيناً لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ .

٢ تيموثاوس ٢ : ١١ — ١٣

هذا الجزء ثمين للغاية لأن منه اقتبست إحدى الترانيم الأولى فى الكنيسة المسيحية . وضعت الكنيسة إيمانها فى الترنيم أثناء فترات الاضطهاد التى مرت بها . وربما كان هذا الجزء بعضاً من ترنيمة أطول . لأن بولى كارب (٥ : ٢) يضيف إليها شيئاً عندما يكتب : « إذا أرضينا المسيح فى العالم الحاضر ، ورثنا العالم الذى سيأتى ، لأنه وعد أن يقيمنا من الأموات . . »

هناك تفسيران ممكنان للجملة الثانية — « إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه » البعض يود اعتبار أن هذه الجملة تشير إلى المعمودية . فى رومية ٦ ، تشبه المعمودية بالموت ثم القيامة مع المسيح . « فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » . « فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » . (رومية ٦ : ٤ ، ٨) . لا شك أن اللغة واحدة ، ولكن الإشارة للمعمودية لا تنطبق على هذا الجزء ؛ لأن بولس كان يشير إلى موت الشهادة . قال لوثر ، فى

إحدى جمله العظيمة : « الكنيسة وارثة الصليب » . يرث المسيحى صليب المسيح ، ولكنه يرث أيضاً قيامة المسيح . لأن المسيحى شريك للرب فى العار وفى المجد أيضاً .

وتستمر الترنيمة : « إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » . من احتمل حتى النهاية خلص . بدون الصليب لا يوجد الإكليل .

ثم يأتى الجانب الآخر للموضوع : « إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرونا » وهذا ما قاله يسوع نفسه : « فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات ، ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات » . (متى ١٠ : ٣٢ ، ٣٣) . لا يستطيع يسوع المسيح أن يتوسط فى الأبدية لرجل رفضه فى حياة الأرض ؛ ولكن يسوع المسيح صادق وأمين للرجل الذى حاول أن يكون أميناً معه ؛ مهما كانت سقطاته .

هذه الأمور صادقة لأنها تكون جزءاً من صميم طبيعة الله . يمكن لإنسان أن ينكر نفسه ولكن لا يمكن لله أن ينكر نفسه . « ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم » . (عدد ٢٣ : ١٩) . إنها حقيقة رائعة لحياتنا أن نعرف أن الله لا يمكن أن يخيب رجاء من حاول أن يظل أميناً معه ، ولكن بالنسبة للرجل الذى رفض أن تكون له بالله علاقة لا يمكن حتى الله نفسه أن يعينه .

وقديماً قال ترتوليان : « من خاف أن يتألم لا يحق أن ينتسب إليه هو الذى تألم » مات المسيح ليظل أميناً على مشيئة الله ؛ وعلى المسيحى أن يتبع هذه المشيئة نفسها ، سواء أشرقت الأنوار أم سقطت الظلال .

خطورة الكلام

١٤ فَكِّرْ بِهٰذِهِ ٱلْأُمُورِ مُنَاشِدًا قُدَّامَ ٱلرَّبِّ أَنْ لاَ يَتَمَاحَكُوا بِٱلْكَلاَمِ . ٱلْأَمْرُ غَيْرَ ٱلنَّافِعِ لِشَيْءٍ . لِهَدْمِ ٱلسَّامِعِينَ

٢ تيموثاوس ٢ : ١٤

يعود بولس هنا مرة أخرى إلى عدم كفاية الكلمات . لنذكر أن الرسائل الرعوية كتبت ضد الغنوسيين الذين أدخلوا تصورات كثيرة ومباحثات طويلة لا تنتهى ونظريات تمتلىء بالخرافات ، والذين حاولوا أن يجعلوا من المسيحية فلسفة سرية بدلا من مغامرة فى الإيمان .

هناك دائماً جاذبية وخطورة فى الكلمات . ويمكن للكلمات أن تصبح بديلا للأعمال . فهناك بعض الناس يهتمون بالكلام عن الأشياء أكثر من اهتمامهم بعمل هذه الأشياء . لو أمكن إنقاذ العالم بالكلام ، لكان قد أنقذ منذ زمان طويل ؛ وإذا كان لمشاكل العالم حل بالمناقشات ، لكانت المشاكل قد اختفت الآن .

كان الدكتور جونسون أحد كبار محدثى عصره وكل العصور ؛ أما جون وسلى فكان أحد أعاظم الرجال العاملين . كانا يعرفان بعضهما ، ولجونسون شكوى واحدة ضد وسلى : « إن حديث جون وسلى جيد ، ولكنه لا يجد فراغاً مطلقاً . فهو دائماً مضطر أن يخرج فى ساعة معينة . وهذا أمر غير محبب إلى رجل يستلذ الجلوس وتبادل الحديث ، مثل ما أفعل » . ولكن

الحقيقة تبقى ، أن وسلى ، رجل العمل ، خلد اسمه فى كل انجلترا بطريقة لم يستطع جونسون ، رجل الكلام ، أن يحصل على مثلها .

وليس حقيقياً أن الكلام والمناقشات يمكن أن تعطى حلولا كاملة حتى للمشكلات العقلية والفكرية . وقد أبدى يسوع رأيه بوضوح فى هذا القول : « إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم . . . » (يوحنا ٧ : ١٧) . غالباً يأتى الفهم من العمل لا من الكلام . وكثيراً ما يحدث أن أفضل طريقة لتفهم المسيحية وأعماق معانيها هى أن تبدأ بتطبيق الواجبات الواضحة للحياة المسيحية .

لازال هناك شىء باق جدير بالذكر . هناك أوقات تصبح فيها كثرة الكلام من الخطورة بمكان . فالكلام الكثير والمناقشات الطويلة قد تؤدى إلى تأثيرين ضارين . أولا ، ربما أثارت الاعتقاد بأن المسيحية ما هى إلا مجموعة من الأسئلة للمناقشة والمشاكل للحل. وحلقة المناقشةمظهر من مظاهر العصر وكما قال شسترون مرة : « لقد سألنا كل الأسئلة التى يمكن أن نسألها . والآن حان الوقت أن نبطل الأسئلة ونبدأ البحث عن الحلول » . فى أى مجتمع يجب أن يوجد توازن بين حلقة المناقشة ومجموعة العمل .

ثانياً ، يمكن أن تكون المناقشة مثيرة ومشجعة لأولئك الذين يتقبلون المسيحية على المستوى العقلى ، أو الذين يملكون من المعرفة والثقافة ما يمكنهم من الاستمتاع بالمناقشة ، أو الطلبة الذين اعتادوا ذلك ، أو من لهم معرفة ورغبة فى اللاهوت ، أما بالنسبة لشخص بسيط التفكير فانه يجد نفسه وسط مجموعة تتقاذف بالمعضلات . وتلقى بالأسئلة العويصة التى لا جواب عليها . فان هذا لن يقوى إيمانه فى شىء ، بل ربما حدث العكس وخرج متشككاً مهموماً . وربما كان هذا ما عناه بولس بقوله أن المعارك الكلامية قد تؤدى

إلى هدم من يستمع لها . الكلمة المستعملة لتعنى بناء شخص فى الإيمان المسيحى هى نفسها التى تعنى حرفياً بناء بيت ؛ والكلمة التى يستعملها بولس لتعنى هدم شخص هى نفسها الكلمة التى تستعمل فى هدم بيت . وربما كانت المناقشة الذكية ، العميقة ، ذات التصورات والخيالات ، الجريئة فكرياً ، المحطمة إذا أخذت حرفياً ، ربما كانت هذه المناقشة ذاتها سبباً فى هدم لا بناء إيمان بسطاء الناس الذين يستمعون إليها . كما يحدث فى كل الأمور ، هناك وقت للكلام ووقت للسكوت .

طريق الحق وطريق الخطأ

١٥ اَجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلّهِ مُزَكًّى عَامِلاً لاَ يُخْزَى
مُفَصِّلاً كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ بِٱلاسْتِقَامَةِ. ١٦وَأَمَّا ٱلأَقْوَالُ ٱلْبَاطِلَةُ
ٱلدَّنِسَةُ فَٱجْتَنِبْهَا لأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ فُجُورٍ. ١٧
وَكَلِمَتُهُمْ تَرْعَى كَآكِلَةٍ. ٱلَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَفِيلِيتُسُ
١٨ ٱللَّذَانِ زَاغَا عَنِ ٱلْحَقِّ قَائِلِينَ إِنَّ ٱلْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ
فَيَقْلِبَانِ إِيمَانَ قَوْمٍ .

٢ تيموثاوس ٢ : ١٥ — ١٨

يحث بولس تيموثاوس أن يقدم نفسه كمعلم صادق للايمان وسط هذه المجموعة من المعلمين الكذبة — والكلمة اليونانية التى استعملها بولس لتعنى يقيم تفيد يقدم شخص نفسه للخدمة . وفيما يلى الكلمات والجمل التى تبرز المعنى .

الكلمة اليونانية dokimos تعنى ذالك الذى جاز الامتحان ، وهى تصف ما قد تمت تجربته وتنقيته وأصبح لائقاً للاستعمال . فمثلا تصف الذهب أو الفضة بعد تنقيتها وتنظيفها من كل العوالق بها بادخالها فى النار . وهى الكلمة المستعملة للمال الحقيقى ، أو كما يسمى Sterling . وتطلق أيضاً على الحجر الذى تم تسويته واختباره وأصبح معداً لوضعه فى مكانه فى البناء .

أما الحجر الذى يوجد به عيب فتوضع عليه علامة A التى تبدأ بها الكلمة اليونانية adokimastor وهى تعنى اختبر ووجد ناقصاً . إذا كان على تيموثاوس أن ينقى ويختبر حتى يصبح سلاحاً ماضياً فى عمل المسيح ، وعاملا ليس هناك ما يدعو لخزيه .

ثم يحث تيموثاوس ، فى جملة شهيرة ، أن يفصل كلمة الحق بالاستقامة. والأصل يعنى حرفياً يقطع بأمانة ولها عدة صور .

فكالفن يربط بينها وبين أب يقسم الطعام بين أفراد عائلته ، فيقطعه بحيث ينال كل فرد فى العائلة نصيبه العادل الضرورى له . وربط بيزابينها وبين تقطيع ذبيحة الفداء إلى عدة أجزاء كل منها يناسب من ستعطى له . الهيكل أو الكاهن . واستعملها اليونانيون أنفسهم فى ثلاثة معان مختلفة : استعملت لتعنى شق طريق مستقيم ؛ واستعملت لتعنى حفر مجرى عبر حقل ؛ واستعملت لتعنى عمل البناء فى قطعه وتربيعه حجراً ما ليعده لملأ فراغ مناسب فى هيكل البناء . هكذا الرجل الذى يقطع بأمانة . يستعمل بأمانة كلمة الحق ، ويشق طريقاً مستقيما فى الحق ويرفض إغراء الطرق الملتوية المعسولة . وهو يحفر مجرى مستقيماً فى حقل الحق ، ويأخذ كل قسم من أقسام الحق ، ويملأ به مكانه الصحيح ، كما يفعل البناء بالحجر ، ولا يسمح لأى جزء أن يبرز أكثر مما يجب فلا يعتدى على مكان لغيره أو يفوز بأهمية أكثر من الباقين ، مما يسقط عن بناء الحق كله التوازن الواجب .

وعلى الجانب الآخر ينشغل المعلم المزيف «بالأقوال الباطلة» . ويستعمل بولس هنا جملة نابضة ، الكلمة اليونانية للتقدم وهى تعنى حرفياً يتقطع إلى أسفل فى المقدمة ، أى يزيل العقبات من الطريق ليصبح التقدم السوى بدون معوقات ممكناً . ويقول بولس عن هؤلاء الثرثارين السفهاء إنهم يتقدمون

شيئاً فشيئاً فى الدنس والفجور . فتقدمهم تقدم معكوس . كلما أكثروا من الكلام كلما زاد ابتعادهم عن الله . هذا هو الاختبار إذاً . هل نشعر فى نهاية الحديث أننا أقرب لبعضنا البعض وأقرب إلى الله ؟ إذاً فكل شىء حسن . ولكن إذا كنا فى نهاية الحديث قد أقمنا حواجز بين بعضنا البعض . وزدنا بعداً عن الله وأصبحنا نرى الله مغلفاً فى ضباب كثيف ، إذاً فهناك شىء خطأ . القصد من كل مناقشة مسيحية وكل عمل مسيحى هو تقريب الشخص إلى الله .

القيامة المفقودة

بين هؤلاء المعلمين الكذبة ذكر بولس على الخصوص هيمينايس وفيليتس . نحن لا نعرف هذين الرجلين ، ولكننا نعرف فى لمحة خاطفة عن تعليمهم على الأقل من وجهة واحدة . قالوا إن القيامة قد حدثت فعلا . وهذا بالطبع لا يشير إلى قيامة يسوع ؛ بل إلى قيامة المسيحى بعد الموت . ونحن نعرف وجهتى نظر خاطئتين عن قيامة المسيحى — كان لهما تأثير كبير فى الكنيسة الأولى .

١ — قيل إن قيامة المسيحى الحقيقية تتم أثناء المعمودية . ومن الحق أن بولس كتب بقوة فى رومية ٦ عن كيفية موت المسيحى فى لحظة عماده ثم قيامته إلى الحياة الجديدة . وهناك من علموا أن القيامة تتم فى لحظة العماد ، وأنها قيامة إلى جدة الحياة فى المسيح فى اللحظة والتو ، وليس بعد الموت .

٢ — وكان هناك من علموا أن معنى القيامة الفردية لا يخرج عن أن

الشخص يعيش فى أطفاله ، وأنه يجد بعثه فى امتداد حياته فى نسله الذين يأتون بعده ويحملون فى ذواتهم حياته هو .

والمشكلة فى كل هذا أن ذلك التعليم وجد آذناً صاغياً عند أعضاء الكنيسة من اليهود أو من اليونانيين . فنى الجانب اليهودى ، كان الفريسيون يؤمنون بقيامة الجسد ، أما الصدوقيين فلا . وهكذا أى تعليم يستبعد فكرة الحياة بعد الموت يجد قبولا عند الصدوقيين لأنه يناسب معتقداتهم . وحقيقة الأمر مع الصدوقيين أنهم جميعاً كانوا من الأغنياء الأرستقراطيين ، ممن لهم مصالح كبيرة ومتشعبة فى هذا العالم لدرجة أبعدت أى اهتمام لديهم بأى عالم آخر .

أما بالنسبة للجانب اليونانى ، فالمشكلة أعسر . فنى أوائل أيام المسيحية كان اليونانيون عموماً يؤمنون بالخلود ولكنهم لم يؤمنوا بقيامة الجسد . وكان للرواقيين أرقى المعتقدات ، وهى أن الله روح نارى ، أما نسمة الحياة فى الإنسان فهى شرارة من تلك الروح ، قبس من الإله نفسه ، إشعاعة من الرب . ولكنهم اعتقدوا أنه عندما يموت الشخص تعود هذه الإشعاعة إلى الله وتمتص فيه . وهذا اعتقاد نبيل ولكنه ينفى نفياً قاطعاً الحياة الشخصية بعد الموت . وبالإضافة إلى ما سبق ، كان اليونانيون يؤمنون أن الجسد كله شرير ، كان آخر شىء يرغبونه أو يؤمنون به هو قيامة الجسد ؛ لهذا كان ترحيبهم بأى تعليم عن القيامة يناسب معتقداتهم .

ومن الواضح أن المسيحى لا يؤمن بقيامة هذا الجسد . فلا يستطيع أحد أن يتصور شخصاً مات مهشما فى حادثة أو بعد أن أهلكه السرطان أن يبعث هذا الشخص حياً فى السماء فى نفس الجسد ؛ ولكن المسيحى يؤمن بجماع قلبه فى دوام الذات الشخصية ، يؤمن بكل قوة أنه بعد الموت ستظل أنت هو

أنت وسأظل أنا هو أنا . وكل تعليم يزيل هذا اليقين فى البقاء الشخصى لكل إنسان فرد إنما يوجه لطمة إلى صميم الإيمان المسيحى .

عندما علم هيمينايس وفيليتس ومن شاكلهم أن القيامة قد حدثت فعلا ، سواء أثناء المعمودية أو فى أطفال الشخص، كانوا يقدمون شيئاً لا يمكن أن يرفضه اليهود الصدوقيون أو اليونانيون الفلاسفة ، ولكنهم كانوا يعلمون شيئاً ينخر فى أحد المعتقدات الرئيسية التى تتوسط الإيمان المسيحى .

الأساس الراسخ

١٩ وَلٰكِنَّ أَسَاسَ ٱللهِ ٱلرَّاسِخَ قَدْ ثَبَتَ إِذْ لَهُ هٰذَا ٱلْخَتْمُ يَعْلَمُ ٱلرَّبُّ ٱلَّذِينَ هُمْ لَهُ . وَلْيَتَجَنَّبِ ٱلإِثْمِ كُلُّ مَنْ يُسَمِّي ٱسْمَ ٱلْمَسِيحِ .

٢ تيموثاوس ٢ : ١٩

تستعمل كلمة أساس فى الإنجليزية فى معنيين ، أولها القاعدة التى يشيد عليها البناء ، وثانيهما منشأة كجمعية أو كلية أو مدينة أسسها شخص معين . لذلك نقول أساس البيت ، ونقول أيضاً أن كلية الملك بكمبردج منشأة هنرى السادس . واستعمل اليونانيون الكلمة فى نفس المعنيين ، وأساس الله هنا يعنى الكنيسة . فالكنيسة هى الجمعية أو المؤسسة التى أسسها الله ؛ الكنيسة هى منشأة الله .

ويمضى بولس فيقول إن الكنيسة عليها كتابة معينة محفورة عليها . ومعناها المعتاد ختم . وهو الختم الذى يثبت الأصالة أو الملكية . الختم الموجود على البضائع يثبت أن المحتويات أصلية لم يعبث بها أحد ؛ وكذلك يوضح الملكية ومصدر البضائع . ولكن الكلمة لها استعمالات أخرى مثل استعمالها لتعنى (الماركة) أو ما نطلق عليه العلامة التجارية ويذكر الطبيب اليونانى « جالن » الكلمة لتدل على مكحلة ، ويعنى ماركة الكحل بداخلها . وقد تعنى الكلمة علامة المهندس المعمارى على المبنى — وهى العلامة التى يتركها المعمارى على

البناء الذى يقيمه ، سواء أكان هذا رمزاً تذكارياً أو تمثالاً أو بناء ، ليعلن مسئوليته عن تصميم البناء وتشييده كما يمكن أن تعنى الكتابة التى تبين الغرض الذى شيد البناء لأجله .

وللكنيسة ، ختم . أو نقش ، يبين ماهيتها ولماذا شيدت . ويذكر بولس هذا الختم على الكنيسة فى اقتباسين يلقيان الضوء على كيفية استعمال الكتابات المقدسة بين مبشرى ومفكرى الكنيسة الأولى . والاقتباسان هما : « يعلم الرب الذين هم له » . « ليتجنب الاثم كل من يتسمى باسم الرب » . والطريف أن كلا من الجملتين ليس اقتباساً دقيقاً من الكتاب . فالاقتباس الأول « يعلم الرب الذين هم له » فيه تذكار قول موسى لقورح وجماعة الذين ثاروا عليه « غداً يعلن الرب من هو له » (عدد ١٦ : ٥) وقد ألقى يسوع ضوءاً على هذا المعنى فى متى ٧ : ٢٢ « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يا رب أليس باسمك تنبأنا ؟ وباسمك أخرجنا شياطين ؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ » فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط : اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم» . من هذا نرى أن نص العهد القديم قد أعيدت صياغته فى قول المسيح . أما الجملة الثانية « ليتجنب الاثم كل من تسمى باسم الرب » . ففيها تذكرة أخرى لقصة قورح : « اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة . ولا تمسوا شيئاً مما لهم» (عدد ١٦ : ٢٦) . ولكن هذا النص القديم يرد فى قول يسوع فى لوقا ١٣ : ٢٧ حيث يخاطب يسوع أولئك الذين يعلنون كذباً أنهم أتباعه : « تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الاثم » . واللطيف فى الموضوع : أن كتاب العهد الجديد يقرأون العهد القديم فى ضوء العهد الجديد ، وخاصة فى ضوء أقوال يسوع ؛ وثانيهما عدم تمسكهم باللفظ أو الحرف ؛ ولكنهم عالجوا أى مشكلة فى روح الكتاب كله . ولا يزال هذان المبدآن ممتازان ، يستوجبان التطبيق فى قراءتنا واستعمالنا للكتاب المقدس .

يوضح لنا النصان مبدئين عريضين عن الكنيسة :

النص الأول يخبرنا أن الكنيسة تتكون من أولئك الذين ينتمون إلى الله ، هؤلاء الذين سلموا حياتهم لله بحيث لم يعد لهم حكم عليها ، كما أنه ليس للعالم عليهم سلطان ، بل هم ملك لله . الكنيسة مجتمع هؤلاء الذين أعطوا حياتهم لله ليفعل بها ما يشاء .

النص الثانى يخبرنا أن الكنيسة تتكون من أولئك الذين تجنبوا الاثم . ليس معنى هذا أن الكنيسة لا تشتمل إلا على الكاملين من الناس . فلو كان هذا حقيقة ، لما كانت هناك كنيسة . قيل إن اهتمام الله الأعظم ليس منصباً على أين وصل الشخص بل على الاتجاه الذى يتخذه . والكنيسة مجتمع أولئك الذين أداروا وجوههم نحو القداسة والبر . كثيراً ما يفشلون وكثيراً ما يسقطون ، وأحياناً يبدو الهدف بعيداً إلى درجة اليأس والقنوط ، ولكن وجوههم دائماً أبداً تنظر الهدف ورغباتهم دائماً أبداً نحو البر .

تشمل الكنيسة أولئك الذين ينتمون إلى الله وأولئك الذين كرسوا نفوسهم لمعركة البر .

أوان للشرف وأخرى للهوان

٢٠ وَلٰكِنْ فِى بَيْتٍ كَبِيرٍ لَيْسَ آنِيَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَقَطْ بَلْ مِنْ خَشَبٍ وَخَزَفٍ أَيْضاً وَتِلْكَ لِلْكَرَامَةِ وَهٰذِهِ لِلْهَوَانِ .٢١ فَإِنْ طَهَّرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ مِنْ هٰذِهِ يَكُونُ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ مُقَدَّساً نَافِعاً لِلسَّيِّدِ مُسْتَعَدّاً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٢٠ ، ٢١

هناك ارتباط عملى وثيق بين هذا الجزء والجزء الذى سبقه ، حيث عرف بولس الكنيسة تعريفاً رائعاً . الكنيسة تشتمل على من ينتمون إلى الله وأولئك الذين فى طريق البر . وأول رد يتبادر إلى الذهن : إذا كان هذا حقيقياً ، فكيف يمكن تفسير وجود هؤلاء الهراطقة المتقولين فى داخل الكنيسة ؟ كيف يمكن تفسير وجود هيمينايس وفيليتس فى الكنيسة ؟ وجواب بولس هو أنه فى كل بيت كبير توجد جميع أنواع الأوانى والأدوات المنزلية ؛ هناك أشياء من معدن ثمين وأشياء أخرى من معدن رخيص ، هناك أشياء للاستعمالات الحقيرة وأشياء للاستعمالات الكريمة . هناك أشياء من كل نوع ؛ وهكذا الحال فى الكنيسة . طالما كانت الكنيسة مؤسسة أرضية ستظل دائماً مكونة من خليط . طالما أن الكنيسة مجتمع من الرجال والنساء ستحتفظ بصفتها قطاع صادق من البشرية . تماماً كما أن العالم يشتمل على كل أنواع الناس ، هكذا تشتمل الكنيسة على كل أنواع الناس .

هذه حقيقة عملية أعلنها يسوع من قبل . . ذكرها فى مثل الحنطة والزوان. (متى ١٣ : ٢٤ — ٣٠ ، ٣٦ — ٤٣) . ومركز الثقل فى المثل أن الحنطة والزوان ينموان معاً ، وأنه فى المراحل الأولى تتشابه الحنطة والزوان لدرجة استحالة التفرقة بينهما وبهذا لا يمكن تقليع الزوان بدون تقليع الحنطة . ذكر يسوع هذه الحقيقة أيضاً فى مثل الشبكة المطروحة فى البحر (متى ١٣ : ٤٧ - ٤٨) . الشبكة تجمع سمكاً من كل نوع . فى كلا المثلين يعلمنا يسوع أن الكنيسة بالضرورة خليط ، وأن الحكم البشرى عليها يجب أن يوقف ، ولكن دينونة الله فى النهاية مؤكدة ، والتفرقة ستتم أيضاً فى النهاية .

هؤلاء الذين ينتقدون الكنيسة لأن فيها أشخاصاً ناقصين غير كاملين ، إنما ينتقدون الكنيسة لأنها مكونة من رجال ونساء. لم يعط لنا أن ندين، لأن الدينونة لله .

ولكن واجب المسيحى أن يحتفظ بنفسه حراً من كل تأثيرات شريرة . وإذا فعل ذلك ، ما هى مكافأته ؟ مكافأته أخذه للخدمة . مكافأته ليست تكريماً خاصاً ، أو امتيازا خاصاً ، أو ترقية خاصة ، بل خدمة خاصة .

هنا نصادف روح الإيمان المسيحى . الإنسان الصالح حقيقة لا يعتبر صلاحه سبباً فى حصوله على تكريم خاص أو احترام خاص ؛ صلاحه لا يعطيه الحق أن يتعالى على غيره لو كان صالحاً ، تكون رغبته الوحيدة أن يكون لديه عمل أكثر ليقوم به ؛ لأن عمله هو امتيازه العظيم . إذا كان صالحاً فان آخر شيء يعمله هو أن يعتزل من حوله ويتعالى عليهم ، بل على العكس تماماً ، سيحاول دائماً أن يكون بينهم ، فى أسوأ أحوالهم ، خادماً لله فى خدمتهم . ومجده لن يكون فى إعفائه من الخدمة ؛ بل فى خدمة لله تتطلب مجهوداً أعظم وتضحية أكبر . لن يليق بالمسيحى أن يعتبر نفسه جديراً بالتكريم بل بالأحرى لائقاً للخدمة .

نصيحة تسدى إلى القائد المسيحى

٢٢أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا وَاتَّبِعِ الْبِرَّ
وَالْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ
قَلْبٍ نَقِيٍّ .٢٣ وَالْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ وَالسَّخِيفَةُ اجْتَنِبْها
عَالِماً أَنَّهَا تُوَلِّدُ خُصُومَاتٍ .٢٤ وَعَبْدُ الرَّبِّ لَا يَجِبُ أَنْ
يُخَاصِمَ بَلْ يَكُونَ مُتَرَفِّقاً بِالْجَمِيعِ صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ
صَبُوراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ٢٥ مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ عَسَى
أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللّٰهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ٢٦فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ
إِبْلِيسَ إِذْ قَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٢٢ – ٢٦

هنا جزء عملى للغاية للقائد والمعلم المسيحى .

يجب أن يهرب من الشهوات الشبابية . وقد أبدى كثير من المعلقين عدة آراء بشأن ماهية هذه الشهوات . وهى آراء تبعد المعنى عن شهوات الجسد .

فهى تشمل مثلا التسرع فتصور الشاب الذى لم يتعلم بعد كيف يتمهل ، والذى ما زال أمامه أن يكتشف أن شدة الاستعجال ربما أضرت بدلا من أن تفيد ، وتشمل **الثقة الزائدة بالنفس** ، التى لا تحتمل معارضة آرائها ، وتتمثل

فى الكبرياء التى لم تتعلم بعد كيف تتعاطف مع الآخرين وترى الجيد فى آراء الغير وتشمل محبة المعارضة والجدال التى تميل إلى كثرة النقاش وقلة الفعل ، التى تتسلى بالألاعيب العقلية ، والتى تصرف الوقت كله فيما لا طائل تحته وتخلف وراءها أكواماً من المشاكل التى لم تحل ؛ وتشمل شهوة الجديد ، التى تتجه إلى إلقاء كل ما هو قديم لأنه قديم فقط ، وتشتهى كل ما هو جديد لمجرد كونه جديداً ، التى تستخف بقيمة الخبرة ، وتدفع كل معتقدات الجيل السابق بأنه لا محل لها فى الحاضر . هنالك شيء واحد يستدعى الملاحظة — أخطاء الشباب هى أخطاء المثالية . فقلة الخبرة ، والحداثة ، وروح الاندفاع هى التى تدفع الشباب إلى هذه الأخطاء . مثل هذه الأخطاء لا تستوجب الإدانة بل الإصلاح برفق وتفهم ، لأن كل واحد منها خطأ يخفى فى ثناياه فضيلة ما .

يستهدف المعلم والقائد المسيحى البر ، أى إعطاء كل ذى حق حقه فالله يأخذ حقه والناس يأخذون حقهم .

الإيمان أى الولاء والوفاء بالوعد وهاتان الصفتان تنبعان من الثقة فى الله ؛ من المحبة ، وهى التصميم الكامل عمل كل ما فيه الخير الكامل لكل رفقاء البشرية ، مهما كان نوع المعاملة التى يعاملوننا بها ؛ ومحو كل إحساس بالمرارة وكل رغبة فى الانتقام ؛ من السلام ، وهى علاقة المحبة السليمة مع الله ومع الناس . كل هذه الأمور تتم فى رفقة أولئك الذين يدعون الرب . لأنه لا ينبغى للمسيحى أن يعيش وحيداً ، منعزلا عن زملائه من الناس . بل يجد قوته وفرحه وتعضيده فى الزمالة المسيحية . وكما قال جون وسلى : « يجب أن يكون للشخص أصدقاء أو يخلق أصدقاء ؛ لأن السماء لا يدخلها الشخص وحيداً » .

وعلى المسيحى أن يتجنب الاشتباك فى خصومات لا معنى لها ، بل أن مثل هذه المهاترات هى سبب كل النكبات التى أحاقت بالكنيسة . ومصيبة الكنيسة فى العصر الحاضر أن معظم المناقشات المسيحية مزدوجة التفاهة ، لأنها نادراً ما تتناول الأمور الهامة فى الحياة والعقيدة والإيمان ، ولكنها غالباً ما تدور حول التافه من الأمور كأسعار المأكولات والملابس وما شابه . ومتى ما اشتبك قائد فى خصومة تافهة غير مسيحية مثل هذه يكون قد أضاع كل حق فى القيادة .

وعلى القائد المسيحى أن يكون مترفقاً بالجميع ؛ حتى إذا تحتم الأمر أن ينقد تصرفاً ما أو يشير إلى خطأ معين ، يجب أن يتم ذلك برفق دون ألم . ويجب أن يكون صالحاً للتعليم ؛ فلا يكفى فقط معرفة الحق ، بل يجب أن يكون قادراً على تعليم هذا الحق ؛ لا بمجرد الكلام عنه ، بل أن يكون فى حياته ومعيشته قدوة تظهر يسوع للناس ثم يجب أن يكون حليماً صبوراً على المشقات ؛ مثله مثل سيده ، إذا أهين لا يرد الإهانة ؛ وإذا احتقر وجرح وضرب فليقبل لأن يسوع قبل ذلك . ربما توجد خطايا أكبر من سرعة الغضب وحدة الطبع ، ولكن لا يوجد أكثر منها إضراراً بالكنيسة المسيحية . عليه أن يؤدب بالوداعة مقاوميه ، فتصبح يده كيد الجراح تتلمس موطن الداء دون خطأ ، ولا تحدث ألماً لا داع له . أن يذيب برودة المعارضة بدفء المحبة . فى قيادته للناس نحو التسليم للحق يكون سلاحه المحبة لا التعنيف .

الجملة الأخيرة فى هذا الجزء شديدة التعقيد فى اليونانية ، ولكنها تفيد أن هناك رجاء أن الله سيوقظ التوبة والرغبة فى الحق فى قلوب الناس حتى يمكن إنقاذ من سقطوا فى فخ الشيطان بينما هم بعد أحياء ، وإعادتهم إلى إطاعة مشيئة الله ، بعمل خادم الله . الله هو الذى يوقظ روح التوبة ؛ والقائد المسيحى هو الذى يفتح باب الكنيسة للقلب التائب .

الأصحاح الثالث

أوقات رهيبة

١ وَلٰكِنِ ٱعْلَمْ هٰذَا أَنَّهُ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْأَخِيرَةِ سَتَأْتِى أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ .

٢ تيموثاوس ٣ : ١

عاشت الكنيسة الأولى فى عصر تباطأ فيه الزمن بل تعطل . لأنهم توقعوا «المجىء الثانى » فى أية لحظة . لنذكر أن المسيحية قد نشأت فى اليهودية ، وكان من الطبيعى أن يكون تفكيرها متطبعاً بالآراء والصور اليهودية . فكرة واحدة أساسية كانت تسيطر على الفكر اليهودى . بالنسبة لليهود ينقسم الزمان إلى العصر الحاضر وكله شر ، والعصر الآتى وهو عصر الله الذهبى ، وبين العصرين يأتى يوم الرب . وهو يوم يتدخل فيه الله شخصياً ليزعزع أركان العالم حتى يعيد بناءه من جديد . يسبق يوم الرب وقت رهيب ؛ وقت تتجمع فيه قوى الشر لمعركة أخيرة ؛ وقت تتزلزل فيه أركان العالم الطبيعية والأخلاقية وما يفكر فيه بولس أثناء كتابة هذه الجملة هو تلك الصورة الرهيبة لهذه الأزمنة الأخيرة .

يقول إنه فى الأيام الأخيرة ستأتى أزمنة صعبة . وفى اليونانية لها استعمالات أخرى تشرح معناها هنا . فهى تستعمل فى متى ٨ : ٢٨ لتصف المجنونين من كورة الجرجسيين الخارجين من القبور لاستقبال يسوع فى هياج وخطورة شديدة . وتستعمل فى بلوتارك لتصف الجرح المتقيح . واستعملها قدماء

الكتاب فى علم النجوم لوصف تجمعات نجمية تنبيء بأحداث رهيبة . الكلمة إذاً تعنى إلى جانب معناها العادى، ما يفيد الخطر ، والتهديد باحداث مرعبة . فى الأيام الأخيرة ستأتى أيام خطيرة تهدد بالقضاء على الكنيسة المسيحية وعلى الخير نفسه ؛ سيأتى هجوم عنيف أخير لقوى الشر قبل اندحارها النهائى .

وفى التصورات اليهودية لهذه الأيام الرهيبة نجد نفس الصورة المرسومة هنا. سيأتى زمن تزدهر فيه قوات الهلاك ، وتتزعزع فيه أساسات الأخلاق . وفى أحد كتب الأبوكريفا فيما بين العهدين القديم والجديد ، نجد صورة مثل هذه :

« اعلموا ، لماذا ، يا أبنائى ، إنه فى الأزمنة الأخيرة
سيلقى أبناؤكم بالإخلاص جانباً .
وسيشغفون بشهوات لا ترتوى .
ضاربين بالبراءة صفحاً ، متلبسين بالشر الحقود
غافلين عن وصايا الرب
ملتصقين بأبو الكذب
تاركين الفلاحة ، متتبعين أعمالهم الشريرة .
سيتفرقون فى الأمم ، ويقومون بخدمة أعدائهم » .

وفى سفر باروخ نجد صورة أكثر حيوية فى وصف الفوضى الأخلاقية فى هذه الأيام الأخيرة .

« سيصبح الشرف عاراً ، والقوة محتقرة ،
سيقضى على الإخلاص والصدق ، أما الجمال فيصير قبحاً . . .
سينمو الحسد فيمن لم يعتبروا أنفسهم شيئاً

وتغلب المشاعر الحادة من كان مسالماً .
وسيغلى الغضب فى كثيرين ليجلبوا الأذى إلى آخرين
فيثيرون جيوشاً لسفك الدماء
وفى النهاية يهلكون معهم » .

فى هذه الصورة التى رسمها بولس هنا يفكر فى صور معروفة عند اليهود . وإذا كان لنا أن نستعمل تشبيهاً معاصراً ، سيحدث صراع نهائى مع قوات الشر . أو كما يصفها أ. ك. سمبسون « سيزداد العالم عالمية » أو كما نقول أحياناً كثيرة ، لا بد أن تزداد الأمور سوءاً قبل أن تتحسن .

وفى أيامنا الحالية ، علينا أن نعيد صياغة هذه الصور العتيقة فى لغة العصر . لم يكن القصد منها إلا إعطاء صورة ورؤيا ، ونحن نظلم الفكر اليهودى والمسيحى الأول إذا أخذنا هذه الأقوال حرفياً . ولكنها تخلد هذه الحقيقة ، أنه يوماً ما ستأتى النهاية ، عندما يتقابل الشر مع الله فى اصطدام مباشر ، عندما يأتى الانتصار النهائى لله ، الذى سيسبق اليوم الذى ستصبح فيه ممالك الأرض ملكوت الله .

الصفات الدنسة

٢ لِأَنَّ ٱلنَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لِأَنْفُسِهِمْ مُحِبِّينَ
لِلْمَالِ مُتَعَظِّمِينَ مُسْتَكْبِرِينَ مُجَدِّفِينَ غَيْرَ طَائِعِينَ
لِوَالِدِيهِمْ غَيْرَ شَاكِرِينَ دَنِسِينَ ٣ بِلاَ حُنُوٍّ بِلاَ رِضًى
ثَالِبِينَ عَدِيمِي ٱلنَّزَاهَةِ شَرِسِينَ غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلاَحِ
٤ خَائِنِينَ مُقْتَحِمِينَ مُتَصَلِّفِينَ مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ
لِلّٰهِ ٥ لَهُمْ صُورَةُ ٱلتَّقْوَى وَلٰكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ
عَنْ هٰؤُلاَءِ

٢ تيموثاوس ٣ : ٢ — ٥

نجد هنا صورة رهيبة لما يمكن أن يكون عليه عالم دنس . صفات الدنس تتبع بعضها البعض فى تسلسل مروع . لنفحصها صفة بعد صفة .

ليس من قبيل الصدف أن تكون الصفة الأولى فى التسلسل هى **محبة النفس** والكلمة اليونانية المستعملة تعنى **محب للذات** . محبة الذات هى الخطية الأساسية ومنها تنبع كل الخطايا الأخرى . فى اللحظة التى تصبح فيها الإرادة الشخصية والرغبات الشخصية مركز التفكير فى حياة الشخص ، فى هذه اللحظة بالذات تتفكك كل الروابط المقدسة والبشرية . متى ما أقام الإنسان من نفسه إلهاً على ذاته ، تصبح الطاعة لله والإحسان نحو الناس مستحيلة . لو

كانت الذات مركز الحياة ، لم يعد ليسوع مكاناً فى الحياة . وروح المسيحية ليست فى تتويج الذات بل فى محوها . كل الخطايا تبدأ بمحبة النفس .

يصبح الناس **محبين للمال** . جدير بالذكر أن خدمة تيموثاوس كانت فى أفسس ، وربما كانت أفسس أعظم سوق فى العالم القديم نتيجة لموقعها عند مصب نهر ، وكانت الأنهار الوسيلة الرئيسية فى نقل التجارة . كانت أفسس تسيطر على أغنى تجارة فى كل آسيا الصغرى . وفى أفسس تلاقت أعظم الطرق ، فكان هناك طريق التجارة العظيم الممتد من وادى نهر الفرات ماراً بكولوسى ولاودكيا آتياً بكنوز الشرق ليلقى بها فى افسس . وكان هناك الطريق الممتد من شمال آسيا الصغرى . ماراً بغلاطية وسارديس . وكان هناك الطريق الممتد من الجنوب الذى ركز تجارة الوادى فى أفسس . لهذا دعيت أفسس « خزانة العالم القديم » ، أو « معرض آسيا الصغرى للكماليات » وقد قيل إن يوحنا عندما كتب الرؤيا كان يفكر فى أفسس عندما جاء إلى هذا الجزء الذى لا ينسى فى وصف تجارة الناس : « بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير والقرمز وكل عود ثينى وكل إناء من العاج وكل إناء من أثمن الخشب والنحاس والحديد والمرمر ؛ وقرفة وبخور وطيب ولبان وخمر وزيت وسميذ وحنطة وبهائم وغنائم وخيلا ومركبات وأجساد ونفوس الناس » (رؤيا ١٨ : ١٢ ، ١٣) . كانت أفسس مدينة ناجحة فى الأمور العالمية . والمدنية المادية ؛ الصفات التى يمكن أن يفقد فيها الإنسان نفسه بسهولة ، وهذا هو مصدر الخطورة ، خطورة تقييم الثراء بمقدار ما نملك من الماديات ، خطورة قياس المدنية بمقدار ما يتبادل من المال والبضائع فيها . ولنذكر دائماً أنه من الأيسر أن يفقد الإنسان نفسه فى وقت اليسر عن وقت العسر ؛ وأنه فى طريقه نحو الضياع إذا بدأ تقييم الحياة بمقدار ما يملكه من أشياء .

صفات الدنس

فى هذه الأيام الصعبة يصبح الناس متعظمين مستكبرين .

فى الكتابات اليونانية تتزامل هاتين الكلمتين معاً ، وفى كليهما نجد تصويراً صادقاً لما تعنيه كل منهما .

متعظم تأتى من كلمة **متجول حوله** . فى الأصل كانت تعنى طبيباً مزيفاً متجولا . واستعمل بلوتارك نفس الكلمة لوصف طبيب مزيف . وهو ذلك المهرج الذى يتجول فى البلاد مدعياً الطب ممارساً أنواع علاج مختلفة وطرق استخراج الشياطين لكل أنواع الأمراض . وما زلنا نرى أمثال هؤلاء المشعوذين فى المعارض والأسواق ، يصرخون على بضاعتهم من أدوية مبتكرة سحرية ، ومساحيق تعيد الشباب و . . . . ثم اتسع استعمال الكلمة فأصبحت تعنى أى **متفاخر** أو **متعظم** . وقد كتب أساتذة الأخلاقيات اليونانيون كثيراً عن هذه الكلمة . وهذا تعريف : « هو ادعاء أشياء حسنة لا يملكها الشخص » وعرف أرسطو المتعاظم أنه « الشخص الذى يتظاهر بصفات حميدة لا يملكها أو يملك القليل عما يدعى » . أما تعريف كورش ملك الفرس فينطبق على هؤلاء الذين يتظاهرون بأنهم أغنى مما هم حقيقة ، أو أشجع مما هم حقيقة ، كما تنطبق على أولئك الذين يعدون بما لا يستطيعون الإيفاء به ، وأنهم إنما يفعلون ذلك للحصول على شيء ما أو كسب معين» . ذكر سقراط أن المدعين موجودون فى كل طرق الحياة ، ولكن أسوأهم جميعاً فى السياسة . « أكبر هؤلاء النصابين جميعاً هو من احتال على مدينته حتى وثقت أن تسلمه قيادتها له والعالم مليء بمثل هؤلاء المحتالين حتى يومنا هذا ؛ هؤلاء الأذكياء الذين يعرفون كل شيء ويخدعون الناس فيعتقدون

أنهم حكماء ؛ هؤلاء الساسة الذين يدعون بأن لدى أحزابهم برامج تأتى بالحكم المثالى ، وأنهم وحدهم القادرون أن يصيروا قادة للناس ؛ وكل هؤلاء الناس الذين يزحمون الإعلانات بادعاءاتهم أن فى استطاعتهم أن يأتوا بالجمال ، أو بالمعرفة أو بالصحة لكل من يرغب ؛ وأعضاء الكنيسة الذين يتظاهرون بالخير وكلهم نفاق والمشكلة أنه فى كل مجتمع سيظهر أمثال هؤلاء الدجالين ورغبتهم الوحيدة الحصول على أعلى المراكز بين زملائهم سواء كان هذا بوسيلة عادلة أو شريرة .

وأسوأ من المتعاظم المختال المستكبر المغرور وهو الذى يكن احتقاراً لكل شخص آخر فيما عدا نفسه . هو الشخص المتهم بخطية القلب المتكبر . هو الشخص الذى يقاومه الله ، لأنه مكتوب مراراً فى الكتاب « يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة (يعقوب ٤ : ٦ ؛ ١ بطرس ٥ : ٥ ؛ أمثال ٣ : ٢٤) » . والكبرياء قلعة الشرور ، أو قمة الشر .

الفرق بين المتعاظم والمستكبر هو أن المتعاظم مخلوق متفاخر منتفخ الأوداج ، يصرخ بادعاءاته إلى أركان السماء الأربع ؛ ويحاول أن يشق طريقه بالقوة والتفاخر نحو مراكز القوة والسلطان . لا أحد يستطيع أن يخطئه أو لا يرى مقصده . ولكن المستكبر يخفى خطيته فى قلبه . لدرجة أنه ربما بدا متواضعاً مسالماً لا يؤذى ؛ ولكن هناك فى ثنايا قلبه الخفية يضمر احتقاراً للجميع . ويغذى غروراً بالغاً يأكل ويحرق كل ما فى طريقه . فى قلبه مذبح صغير يتعبد فيه لنفسه ، وفى عينيه نظرة صامتة ترمق الجميع باحتقار .

صفات الدنس

النتيجة الحتمية لهاتين الصفتين المتلازمتين التعاظم والتكبر هو حب الإهانة ، هذه هى الكلمة التى تترجم إلى تجديف وتعنى عادة إهانة موجهة ضد الله ؛ ولكنها فى اليونانية تعنى إهانة ضد الإنسان أو ضد الله على حد سواء . وتتمخض الكبرياء دائماً عن الإهانة التى تلد عصياناً وإهمالا نحو الله ، نابعاً من تلك الكبرياء التى تشعر بعدم الحاجة لله . وتظن أنها تعلم أفضل منه . وتنتج الكبرياء احتقاراً للناس ، احتقاراً ربما تسبب فى أفعال ضارة وألفاظ جارحة . وقد خصص معلمو اليهود مكاناً عالياً لخطية الإهانة فى قائمة الخطايا. الإهانة التى تأتى من الغضب سيئة ، ولكن يمكن الصفح عنها ، لأنها تنطلق فى حرارة اللحظة ؛ ولكن الإهانة الباردة التى تأتى من كبرياء مغرورة محقرة قبيحة لا يمكن الصفح عنها .

سيصير الناس غير مطيعين لوالديهم . كان العالم القديم يقدس الواجب نحو الوالدين . حرمت القوانين اليونانية القديمة حق الانتخاب على كل من ضرب والديه ؛ وفى عرف القانون الرومانى كان ضرب الأب موازياً للقتل وفى الناموس اليهودى جاء إكرام الأب والأم عالياً فى قائمة الوصايا العشر . هذه هى علامة انحطاط المدنية ، عندما يفقد الشباب كل احترام للسن ، ويموت إحساسه بالنسبة للدين العظيم والواجب الأساسى الذى يدين به نحو أولئك الذين أعطوه الحياة .

سيصير الناس غير شاكرين سينكرون أى دين يدينون به سواء نحو الله أو نحو الناس . والخاصية الغريبة لإنكار الجميل هى أنها أكثر الخطايا إيلاماً ، لأنها أكثر الخطايا عمى . وستظل كلمات الملك لير صادقة :

« طفل ناكر أحد إيلاماً من لدغ الثعبان »

إنها إحدى علامات الشرف أن يسدد الإنسان ديونه ؛ وهناك دين لله فى عنق كل إنسان ، كما أن هناك ديون نحو زملائه من الناس ؛ وهو باعتباره إنسان ذو كرامة عليه أن يتذكرها ويدفعها .

سينكر الناس كل الصفات الحميدة فى الحياة . والكلمة اليونانية هى أن الناس سيصيرون دنسين لا تعنى كثيراً كسر القوانين الوضعية ، بقدر ما تعنى التعدى على القوانين غير الوضعية ، وهى تلك الأمور المتعارف عليها والتى منها نسيج وروح الحياة . بالنسبة لليونانى يعتبر رفض دفن الميت دنس ؛ كذلك زواج الأخ بأخته أو الابن بأمه كلها من قبيل الدنس . والرجل الدنس يعتدى على أصول الصفات الحميدة فى الحياة . هذا الاعتداء يمكن أن يحدث ويحدث فعلا . الشخص الذى تسيطر عليه نوازعه الدنيئة ينفث عنها بأكثر الطرق عاراً ، كما يظهر فى شوارع المدينة الكبيرة عندما يخيم ظلام الليل . الشخص الذى استنفد كل متع الحياة المعتادة ، والذى ما زال نهماً بعد ، سيتفقد ملذاته بين المتع الغير بريئة الخارجة عن المعتاد والتى يصبح من العار حتى ذكر أسمائها . مرة أخرى ، يمكن لصفات الحياة الحميدة أن تنسى فى مدينة منحطة وضيعة .

سيصير الناس بلا حنو . تستعمل الكلمة اليونانية storgé عن المحبة العائلية ، حب الطفل لأبيه ، وحب الأب لطفله . إذا لم يكن هناك حنو بشرى اختفت العائلة . فى الأوقات الرهيبة ، ستصل محبة الذات فى الناس للدرجة أن أقرب الروابط العائلية لن تعنى بالنسبة لهم شيئاً . وإذ يندفعون نحو إرضاء نفوسهم من متع الحياة سينكرون كل الواجبات والروابط الأساسية التى تبنى عليها الحياة .

سيصير الناس ثابتين فى عداواتهم بلا رضى . ويمكن أن تعنى شيئين .
إما أن تعنى شخصاً بلغ به الحقد والعداء درجة لا يستطيع معها أن يصل إلى أى اتفاق مع الشخص الذى تخاصم معه. وإما أن تعنى شخصاً بلغت به المهانة أن يكسر ويهمل كل شروط الاتفاقية التى وقع عليها . وفى كلتا الحالتين تصف الكلمة حالة معينة من قساوة وصلابة العقل يمكنها أن تفصل بين الشخص وبين رفقائه من الناس فى مرارة لا تلين . حيث أننا بشر فقط ، فربما كان محتماً حدوث خلافات بيننا وبين الناس ، ولكن الاستمرار فى تذكر هذه الخلافات خطية من أسوأ وأكثر الخطايا شيوعاً . عندما تتملكنا الرغبة فى عمل ذلك لنذكر قول الرب المبارك ، وهو على الصليب « يا أبتاه إغفر لهم » .

صفات الدنس

فى هذه الأيام الرهيبة يصير الناس ثالبين . وكلمة ثالب فى اليونانية هى نفس الكلمة شيطان فى العربية . الشيطان هو الملاك الحارس لكل الثالبين ، وهو الزعيم بين الثالبين . . هناك صدق فى اعتبار انتهاك السير أقسى أنواع الخطايا . إذا سرقت بضائع شخص ، يمكنه أن يبدأ مرة أخرى ويبنى ثروته ، ولكن إذا فقد الشخص سمعته الطيبة لا يمكن إصلاح الضرر الذى أصابه . من السهل إثارة إشاعة كاذبة خبيثة شريرة ، ولكن من أصعب الأمور إيقاف هذه الإشاعة . وكما وصفها شكسبير . . :

السمعة الطيبة. للرجل والمرأة ،

هى جوهرة نفوسهم ،

من يسلبنى نقودى يأخذ نفاية ، شىء
بل لا شىء ؛
ولكن من يسلبنى سمعتى الطيبة
يسلبنى ما لا يغنيه
ولكن يتركنى معدماً حقاً » .

كثير من الرجال والنساء ، يستنكفون أن يمدوا أيديهم إلى جيوب الآخرين ، لكنهم لا يجدون غضاضة — بل ربما وجدوا متعة — فى نشر قصة قد تقضى على سمعة شخص آخر ، دون أن يحاولوا حتى التحقق من صحة القصة . ومسلك السيرة مشهور فى القرية ، وفى كثير من الكنائس حتى لنتصور أن الملاك الذى يسجل هذه الألفاظ القاسية يبكى ألماً .

سيصبح الناس عديمى النزاهة . الفعل اليونانى يعنى يضبط ، أى يملك السلطة على . يمكن لشخص أن يصل إلى مرحلة يصبح فيها عبداً لعادة أو رغبة . هذا هو طريق الدمار المؤكد لأنه لن يسود إنسان على أى شىء إذا لم يسيطر على نفسه أولا .

سيصبح الناس شرسين ، وهى كلمة تليق بالحيوان المفترس أكثر من الكائن البشرى . وهى تعنى وحشية لا حساسية أو تأثر فيها . ويمكن للانسان أن يتوحش فى تعنيفه ، أو فى تصرفات لا رحمة فيها . الكلب يتأثر إذا آذى صاحبه ، ولكن يوجد أناس يفتقدون كل إحساس وتأثر بشرى فى تعاملهم مع الآخرين :

صفات الدنس

فى تلك الأيام الرهيبة الأخيرة لن يحب الناس ما هو صالح من أشياء أو أشخاص. أحياناً يأتى وقت فى حياة إنسان يخجل فيه من رفقة الناس والأشياء الطيبة . ويفقد فيه القدرة على مبادلتهم أى حديث . من يستمتع بالموسيقى الرخيصة لن يجد متعة فى الإصغاء إلى الموسيقى الجيدة . من يغذى عقله بالأدب التافه سيفقد فى النهاية أى تقدير للأعمال الأدبية الخالدة وستنعدم لديه حاسة التذوق الأدبى . لا شك أن الشخص الذى ما عاد يطيق رفقة الناس الطيبين أو حديثهم قد قطع شوطاً طويلا فى الانحدار .

سيصبح الناس خائنين . لنتذكر متى كتب هذا . كتب فى بداية سنوات الاضطهاد ، فى العصر الذى كانت فيه المسيحية جريمة . فى ذلك العصر بالذات كانت اللعنة التى حلت بروما كثرة المخبرين سواء فى أمور السياسة أو فى المسيحية . كانت الأمور سيئة لدرجة دفعت تاسيتوس أن يقول : « من ليس له عدو خانه صديقه » . كان هناك من يود إرضاء حقد قديم ، فيشفى إنتقامه من عدو بالتبليغ عنه . وما يدور بخلد بولس هنا أكثر من خيانة الصداقة . رغم أن فى هذا جرح كاف . — إن بولس يفكر فى أولئك الذين لأجل رد ثأر قديم ، لإرضاء حقد قديم ، لتهدئة كراهية ماضيه ، لكسب مكافأة لحظة رخيصة ، يبلغون عن المسيحيين إلى الحكومة الرومانية .

سيصبح الناس مقتحمين فى الكلام والعمل . والكلمة اليونانية تعنى اندفاع . وتصف الرجل الذى تملكته العاطفة والنزوة والرغبة لدرجة أفقدته سلامة التفكير وحسن المنطق . والضرر الحادث من انعدام التفكير أكثر من أى ضرر آخر . ما أكثر المرات التى كان يمكن أن نجنب أنفسنا والآخرين الألم وجرح الإحساس ، إذا توقفنا قليلا للتفكير .

سيصبح الناس متصلفين منتفخين بالغرور وتعنى منتفخ الأوداج . هؤلاء هم الذين أعماهم الغرور بأهميتهم الشخصية . لازال هناك بعض الناس فى الكنيسة صارت عظمتهم الشخصية تفكيرهم الشاغل . أما المسيحى فهو تابع وتلميذ لذلك الذى كان وديعاً ومتواضع القلب .

وسيكون هناك محبين للذات دون محبة الله . وهنا نعود إلى نقطة البداية ؛ فهؤلاء الناس يضعون رغباتهم وآمالهم الشخصية فى مركز الحياة . لذلك فهم يعبدون الذات لا الله .

والحكم النهائى على هؤلاء الناس هو أنهم يحتفظون بالمظهر الخارجى للدين ، ولكنهم ينكرون قوته . أى أنهم يذكرون عن ظهر قلب العقائد الأصيلة . ويباشرون كل طقوس العبادة والقداس ، ويحافظون على كل مظاهر الدين الخارجية ، ولكنهم يجهلون كل شىء عن الدين كقوة محركة تستطيع أن تغير حياة الناس . يقال إن اللورد ملبورن أبدى الملاحظة التالية ، أثر استماعه إلى عظة تبشيرية ، « لقد وصلت الأمور إلى ممر حرج إذا سمح للدين أن يغزو محيط الحياة الخاصة » . ربما لم يكن الخاطئ الموغل فى الخطية هو العقبة الكبرى أمام الدين ، بل هو ذلك الشخص المخلص الذى يحتفظ بطابع الدين الصادق والسلوك المتعاظم ويرتعب عندما يقال له إن الدين الحقيقى قوة ديناميكية تستطيع تغيير حياة الشخص الخاصة. لايحق لأحد حتى الاقتراب من المسيحية ما لم يكن مستعداً أن يخوض ثورة نفسية تذكيها قوة يسوع المسيح المجـــددة .

التغرير باسم الدين

٦ فَإِنَّهُ مِنْ هَؤُلاَءِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَدْخُلُونَ ٱلْبُيُوتَ وَيَسْبُونَ
نُسَيَّاتٍ مُحَمَّلاَتٍ خَطَايَا مُنْسَاقَاتٍ بِشَهَوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ٧ يَتَعَلَّمْنَ
فِى كُلِّ حِينٍ وَلاَ يَسْتَطِعْنَ أَنْ يُقْبِلْنَ إِلَى مَعْرِفَةِ ٱلْحَقِّ أَبَداً.

٢ تيموثاوس ٣ : ٦ ، ٧

جاء التحرير المسيحى للنساء بمشاكله الحتمية . سبق أن رأينا كيف كانت حياة المرأة اليونانية المحترمة مصونة ، وكيف تربت تحت رقابة غاية فى الشدة والتضييق ، وكيف لم يكن مسموحاً لها « أن ترى شيئاً ، أو تسمع شيئاً ، أو تسأل أى سؤال » ، وكيف أنها لم تظهر مطلقاً وحيدة فى الشارع ، حتى لو كانت تقوم ببعض المشتريات ، وكيف أنه كان محرماً عليها الظهور فى أى اجتماع عام .

وكان من الحتم أن تغير المسيحية كل هذا ، وكان من المحتم أيضاً ظهور بعض المشاكل الجديدة . وكان من المتوقع ، وليس هناك شك فى ذلك ، ظهور طبقة من النساء ممن لا يعرفن كيف يستعملن حرياتهن الجديدة . وتبع ذلك ظهور طبقة مزيفة من المعلمين أسرعوا لاستغلال الموقف .

ويرسم لنا ايرنايس صورة حية للوسائل التى كان يتبعها مثل هؤلاء المدرسين فى أيامه . ولو أن ما ذكره ، كان خاصاً بأمور حدثت بعد ذلك

العصر ، ولكن القصة المؤلمة كانت تتكرر . كان هناك شخص مهرطق يدعى ماركوس يتعامل فى السحر والشعوذة . كان يمضى جل وقته فى رفقة النساء من العائلات الراقية الغنية ، اللائى يرفلن فى أجمل الثياب . كان يخدع هؤلاء النسوة أنه يستطيع ، بما يتلوه من رقيات وشعوذة ، أن يمكنهن من التنبؤ . وتعتذر المرأة منهن أنها لم تفعل ذلك من قبل ، وأنها لا تستطيع ذلك . فيقول لها : « افتحى فمك ، وتكلمى بما يخطر لك ، وبهذا تتنبأين ويملك الشغف قلب المرأة ، فتفعل ذلك ، ويخيل لها حقاً أنها تستطيع التنبؤ فعلا . عندئذ تبذل كل جهد لمكافأة ماركوس ، ليس فقط بما تسبغه عليه من ثروتها (وقد جمع ثروة عظيمة من ذلك) ، ولكن أيضاً بالاستسلام له ، مشتهية أن تتحد معه ، فتصير وإياه واحداً » . وقد تكررت هذه الحوادث سواء فى أيام تيموثاوس ، أو فى الأيام التالية فى عصر إيرنيايس .

كانت هناك طريقتان يستطيع بهما هؤلاء الهراطقة فى زمن تيموثاوس أن يحدثا تأثيراً شريراً . لا بد أن نذكر أنهم غنوسيون ، وأن المبدأ الرئيسى فى الغنوسية هو صلاح الروح الكامل وفساد المادة الكامل . وقد رأينا أن هذا التعليم انبثق عن اتجاهين . اتجاه نحو التقشف والحرمان ، بمحاولة تحقير وهدم هذا الجسد المادى ، واتجاه نحو الإباحة الفاجرة ، بارضاء كل شهوات الجسد وخلجاته حيث أن هذا الجسد فى النهاية لا يهم فى شىء . ويعلم الغنوسيون هذه المبادئ لهؤلاء النسوة السريعات التأثر . والنتيجة إما أن تقطع المرأة العلاقات الزوجية ، حتى تعيش حياة التقشف والحرمان ، وإما أن تطلق العنان لكل غرائزها البهيمية ، وتخالط الرجال فى علاقات جنسية ماجنة . وفى كلتا الحالتين ، ينهدم البيت والحياة العائلية .

ومن المعلوم أن المدرس أو القائد يتمتع بنفوذ كبير على غيره من

الناس ، وهو نفوذ غير مقبول وغير صحى وخاصة إذا كان هؤلاء الناس سريعوا التأثير ، من السهل اللعب بعواطفهم وعقولهم . ولا يمكن أن يكون التعليم أميناً إذا كان يؤدى إلى كسر الروابط المقدسة للبيت والحياة العائلية .

ويتهم بولس هؤلاء الناس بأنهم « على استعداد أن يتعلموا من أى واحد، ورغم هذا فهم غير قادرين إطلاقاً أن يصلوا إلى معرفة الحق » . ويشير براون إلى خطورة ما يدعوه « فضول عقلى بدون حافز أخلاقى » . هناك ذلك الصنف من الناس الذى يشغف بمناقشة كل نظرية جديدة ، وتجده منشغلا دائماً بآخر التقاليع الاجتماعية والحركات الدينية ، ولكنه لا يبدى أى استعداد لتقبل التربية اليومية ، لا يمكن لأى مقدار من الفضول العقلى أن يأخذ مكان الحافز الأخلاقى . ليس المقصود أن نحشو عقولنا بكل شطحات العقل الجديدة ؛ ولكن الغرض أن نطهر ونقوى حياتنا فى معركة الأخلاق حتى نحيا الحياة المسيحية .

مقاومو الله

٨ وَكَمَا قَاوَمَ يَنِّيسُ وَيَمْبرِيسُ مُوسَى كَذٰلِكَ هٰؤُلَاءِ أَيْضاً يُقَاوِمُونَ ٱلْحَقَّ . أُنَاسٌ فَاسِدَةٌ أَذْهَانُهُمْ وَمِنْ جِهَةِ ٱلْإِيمَانِ مَرْفُوضُونَ .٩ لٰكِنَّهُمْ لاَ يَتَقَدَّمُونَ أَكْثَرَ لِأَنَّ حُمْقَهُمْ سَيَكُونُ وَاضِحاً لِلْجَمِيعِ كَمَا كَانَ حُمْقُ ذَيْنِكَ أَيْضاً .

٢ تيموثاوس ٣ : ٨ ، ٩

فى الفترة التى مرت بين العهدين القديم والجديد تمت كتابة العديد من الكتب اليهودية التى وسعت من قصص العهد القديم وأضافت إليها الكثير من المادة والتفاصيل . وقد برز ينيس ويمبريس بشكل واضح فى بعض هذه الكتب ، وهما ساحران فى بلاط فرعون وقد قاوما موسى وهارون ، عندما أراد موسى إخراج بنى إسرائيل من العبودية فى مصر . فى بادئ الأمر ، تمكن هذان الساحران من محاكاة الأعاجيب التى قام بها موسى وهارون ، ولكنهما انهزما فى النهاية وضاع صيتهما. لم يأت ذكر لاسميهما فى العهد القديم نفسه ، وإن كان قد أشير لهما فى خروج ٧ : ١١ ؛ ٨ : ٧ ؛ ٩ : ١١ . ودارت حول اسميهما مجموعة كاملة من القصص والأساطير . فقيل إنهما الخادمان اللذان رافقا بلعام عندما عصى الله (عدد ٢٢ : ٢٢) ؛ وقيل إنهما اختلطا مع الحشد الذى رافق بنى إسرائيل فى الخروج من مصر (خروج

١٢ : ٣٨) ؛ وقال البعض إنهما هلكا أثناء عبور البحر الأحمر ؛ كما جاء ببعض القصص الأخرى أن ينيس ويمبريس كانا المحرضين على عمل العجل الذهبي وأنهما هلكا مع أولئك الذين قتلوا لأجل هذه الخطية (خروج ٣٢ : ٢٨) ؛ وأصرت بعض القصص على أنهما تهودا فى النهاية. فى وسط كل هذه القصص تقف حقيقة واحدة — أن ينيس ويمبريس صارا شخصيات أسطورية تمثل كل هؤلاء الذين يقاومون ويحاولون أحباط أغراض الله ، وأعمال أولئك الذين يستخدمهم الله فى القيادة .

لن يسلم القائد المسيحى من المقاومين فسيتواجد دائماً أولئك الذين يفضلون أفكارهم على أفكار الله . وسيكون هناك دائماً أولئك الذين يرغبون فى مباشرة النفوذ والسلطان على الناس ، غير مبالين باتخاذ أى وسيلة لتحقيق ذلك . وسيظل دائماً هناك أولئك الذين يحتفظون للدين المسيحى باراء ملتوية ، ويرغبون فى كسب آخرين لمعتقداتهم الخاطئة . ولكن بولس كان واثقاً من شيء واحد — أن أيام هؤلاء المخادعين معدودة . سيظهر زيفهم ؛ وسينالون جزاء مناسباً. وتاريخ الكنيسة المسيحية يعلمنا شيئاً هاماً—أنه لا حياة للخداع ، ربما ازدهر لوقت ما ، ولكنه عندما يتعرض لنور الحق فإنه يذبل ويموت . هناك امتحان واحد فقط للغش — « من ثمارهم تعرفونهم » وأفضل طريقة للتغلب على المزيف وطرده هو أن نحيا بطريقة تظهر للجميع الجمال والعذوبة والروعة التى فى الحق . إن هزيمة الغلط لا تعتمد على المهارة فى معارضته ، بل على إظهار كيف تكون الحياة الممتازة المثالية .

واجبات وصفات الرسول

١٠ وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي وَسِيرَتِي وَقَصْدِي
وَإِيمَانِي وَأَنَاتِي وَمَحَبَّتِي وَصَبْرِي ١١وَٱضْطِهَادَاتِي وَآلاَمِي
مِثْلَ مَا أَصَابَنِي فِي أَنْطَاكِيَةَ وَإِيقُونِيَّةَ وَلِسْتْرَةَ . أَيَّةَ
ٱضْطِهَادَاتٍ ٱحْتَمَلْتُ . وَمِنَ ٱلْجَمِيعِ أَنْقَذَنِي ٱلرَّبُّ .
١٢وَجَمِيعُ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِٱلتَّقْوَى فِي ٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ .١٣وَلَكِنَّ ٱلنَّاسَ ٱلْأَشْرَارَ ٱلْمُزَوِّرِينَ
سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَأَ مُضِلِّينَ وَمُضَلِّينَ .

٢ تيموثاوس ٣ : ١٠ — ١٣

يقارن بولس هنا بين سلوك تيموثاوس ، تلميذه المخلص . وبين سلوك المراطقة الذين كانوا يبذلون أقصى ما لديهم لهدم الكنيسة . **وكلمة تبعث** ، تستعمل فى اليونانية بمعنى أوسع وأروع كثيراً . فهى تعنى أن تلتصق به فى السراء والضراء ، أن تقف بجانبه فى الظروف الحسنة والسيئة . وتعنى أن تتبع شخصاً عقلياً ، أن تصغى بيقظة إلى تعليمه ، وأن تستوعب تماماً المعانى التى يقولها ومدى أهميتها وتعنى أنك تتبع شخصاً روحياً ، ليس فقط لتفهم ما يقوله ، بل لتحمل مبادئه ، فالاتباع هى الكلمة التى تليق بالتلميذ ، لأنها تشمل وفاء لا يتزعزع للرفيق الأمين ، والفهم التام للعالم الحقيقى ، والطاعة الكاملة للخادم المكرس .

ثم يمضى بولس ليسجل الأشياء التى تبعه فيها تيموثاوس تلميذه ؛ وأهمية هذه القائمة أنها تشتمل على السداة واللحمة التى ينسج منها حياة وعمل التلميذ. ففيها نجد واجبات ، وصفات ، وخبرات الرسول .

أولا ، هناك واجبات الرسول . هناك تعليم . لا يستطيع إنسان تعليم ما لا يعرفه ، لهذا قبل أن يستطيع الشخص أن يعلم المسيح للآخرين ، عليه أن يعرف المسيح . عندما كان والد كارليل يناقشه فى نوع الراعى الذى تحتاجه أبرشيته ، قال : « ما تحتاجه الأبرشية رجل يعرف المسيح شخصياً لا معرفة منقولة » والتعليم الحقيقى ينبع دائماً من الخبرة الحقيقية . هناك تدريب . الحياة المسيحية لا تقتصر فقط على معرفة شىء ما ، بل تشمل أيضاً أن تكون شيئاً ما . وعمل الرسول لا يقتصر فقط على إخبار الناس عن الحق ؛ بل يشمل أيضاً مساعدتهم لعمل هذا الحق . والتدريب الذى يعطيه القائد الصادق هو تدريب للحياة وكيف تحيا .

ثانياً ، هناك صفات الرسول . يأتى فى مقدمة كل شىء هدف الرسول فى الحياة . كان إثنان يتحدثان عن مهرج معروف تملكه حافز أخلاقى . فقال أحدهم « لقد رفس العالم بقدمه » ، « كأنما كان كرة قدم » فأجابه الآخر « هذا حق ، ولكنه رفسه لهدف » . ونحن كأفراد يجب أن نصمت أحياناً ونسأل أنفسنا : ما هو هدفنا فى الحياة ؟ هل لدينا هدف واحد على الأقل ؟ وكمعلمين يجب أن نسأل أنفسنا أحياناً : ماذا أحاول أن أصنع من هؤلاء الناس الذين أعلمهم ؟ سئل مرة ملك اسبرطة « ماذا نعلم أولادنا ؟ » فكانت إجابته : « أكثر الأمور فائدة بالنسبة لهم عندما يصيرون رجالا » . هل هى معرفة ، أم هى حياة ، تلك التى نحاول نقلها ؟ وكأعضاء فى الكنيسة ، يجب أن نسأل أنفسنا أحياناً : ماذا نحاول أن نفعل فى الكنيسة ؟ هل يكفى السرور

بكثرة النشاط ؟ وعندما نزدحم كل ليلة فى الأسبوع بالناس يحق أن نتساءل أحياناً : وإذا كان هناك هدفاً فما هو الغرض الموحد الذى يربط كل نشاطاتها معاً ؟ يجب دائماً أن نذكر أنه لا يوجد فى الحياة ما يوازى المجهود الخلاق المثمر الذى يتيحه إحساس بوضوح الغرض والهدف .

ثم يعرج بولس إلى صفات الرسول الأخرى . هناك إيمان ، ثقة كاملة فى الله ، إيمان كامل بأن وصايا الله حتمية وأن وعود الله صادقة . هناك أناة . وتعنى الأناة مع الناس . هى المقدرة على الاحتفاظ بالصبر مع أناس أغبياء والاحتفاظ بالهدوء مهما بدا من عدم قابليتهم للتعليم. هى المقدرة على احتمال الحمق بسرور ، وتقبل الحماقة ، والعناد الغبى ، والعمى ، وإنكار الجميل الذى يفعله الناس ، مع الاحتفاظ بكرم الأخلاق ، والاستمرار فى العمل المضنى . هناك محبة . والمحبة هى موقف الله بالنسبة للناس . والمحبة هى السلوك نحو الناس الذى يتحمل كل شىء يفعله الناس ، والتى ترفض الغضب أو الحقد ، والتى تسعى دائماً لخيرهم العظيم . من تحب الناس يصفح عنهم ويهتم بهم كما غفر الله وكما يهتم الله . والله وحده الذى يمكننا من عمل ذلك .

اختبارات الرسول

ويختم بولس قصة الأشياء التى شاركه فيها تيموثاوس ، والتى يجب أن يشاركه فيها ، بالحديث عن اختبارات الرسول ، ويضع فى مقدمة هذه الاختبارات صفة الصبر . والكلمة اليونانية لا تعنى احتمال الأشياء فى خنوع ، بل مواجهتها فى انتصار ، فربما أمكن استخراج الجيد من الردئ . فهى تصف الروح التى تسيطر على الحياة لا الروح التى قبلت الحياة .

وخاصة الاحتمال والصبر المنتصر ضرورية ، لأن الاضطهاد جزء حيوى فى اختبار الرسول — ويعدد بولس ثلاث مرات تألم فيها للمسيح . طرد من أنطاكية التى فى بيسيديه (أعمال ١٣ : ٥٠)؛وهرب إلى إيقونية لينجو من الضرب ؛ ورجم بالحجارة فى ليسترا وترك بعد أن ظنوه ميتاً (أعمال ١٤ : ١٩) . حدثت هذه الأمور قبل أن يدخل الصغير تيموثاوس المسيحية، ولكنها كلها حدثت فى الإقليم الذى تربى فيه ، وربما كان تيموثاوس أحد شهود العيان . وربما كان هذا برهاناً على شجاعة تيموثاوس وتكريسه ؛ أنه رأى بوضوح ثام ما قد يحدث وما حدث فعلا للرسول ، ورغم هذا لم يتردد أن يرتبط ببولس .

وبولس مقتنع تماماً أن تابع المسيح الحقيقى ، الإنسان الذى يود أن يعيش حياة طاهرة مقدسة ، لن ينجو من الاضطهاد . عندما جاءت الضيقات إلى أهل تسالونيكى ، كتب لهم بولس : « لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون » (اتسالونيكى ٣ : ٤) — وكأنه بهذا يقول لهم : « لقد حذرتكم جيداً » . فى رحلة العودة ، بعد أول رحلة تبشيرية له ، قام بولس بزيارة الكنائس التى أسسها ، « يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » (أعمال ١٤ : ٢٢) للملكوت ثمنه . كما أن يسوع نفسه قال : « طوبى للمطرودين من أجل البر » (متى ٥ : ١٠) من أراد أن يتبع مقاييس تخالف تلك التى يعيش بها العالم ، فلا شك أنه سيقابل المتاعب . ومن أراد أن تمتلئ حياته باخلاص يفوق كل الإخلاص الأرضى ، فلا شك من حدوث اصطدامات واختلافات . وهذا هو بالضبط ما تريد المسيحية أن نفعله ، وهو ما يتعهد المسيحى أن يفعله .

ستأتى الضيقات ، والمصاعب ، والمشاكل ، والاضطهادات ، ولكن كان بولس واثقاً من أمرين :

فهو يثق أن الله سينجى الإنسان الذى يضع كل إيمانه فيه . وهو واثق من أنه من الأفضل – على المدى الطويل – احتمال الضيقات لأجل الله ولأجل البر عن النجاح مع الناس والغلط . كان بولس متأكداً من حدوث ضيقات وقتية ، ولكنه كان يمتلىء باليقين من المجد الذى ينتظره .

وكان واثقاً أن الإنسان الشرير الدنس سيمضى من سىء إلى أسوأ . وبمعنى آخر كان بولس متيقناً أنه لا مستقبل للرجل الذى يرفض قبول طريق الله .

١٤ وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ عَارِفاً
مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ .١٥وَأَنَّكَ مُنْذُ ٱلطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ ٱلْكُتُبَ
ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ بِٱلْإِيمَانِ ٱلَّذِي
فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ .١٦كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ ٱللهِ
وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي
ٱلْبِرِّ ١٧لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ ٱللهِ كَامِلاً مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ
صَالِحٍ .

٢ تيموثاوس ٣ : ١٤ — ١٧

ويختتم بولس هذا الجزء بدعوة تيموثاوس أن يظل وفياً لكل التعاليم التي أخذها . كانت أم تيموثاوس يهودية ولكن أباه كان يونانياً (أعمال ١٦ : ١) وكان من الواضح أن أمه هي التي قامت بتربيته . اهتم اليهود أن يتربى أطفالهم منذ حداثتهم في تعلم الناموس . وادعى اليهود أن أولادهم يتعلمون الناموس وهم بعد في سن الرضاعة حتى أنهم يرضعون الناموس مع لبن أمهاتهم . وادعوا أن الناموس محفور في قلب وعقل كل طفل يهودي لدرجة أنه من السهل أن ينسى اسمه ، ولكنه لا ينسى حرفاً من الناموس . إذاً كان تيموثاوس يعرف كلمة الله منذ طفولته المبكرة . ويجب أن نذكر أن الكتاب الذي يتكلم عنه بولس هو العهد القديم ، لأنه بطبيعة الحال لم يكن العهد الجديد قد

تظهر بعد . فاذا كان ما يقوله بولس عن العهد القديم صادقاً ، كم بالأحرى تكون كلمات العهد الجديد الثمينة أعظم صدقاً .

يجب أن نلاحظ هنا أن بولس يعمل تفرقة . فهو يتكلم عن « كل الكتب الموحى بها من الله » . كان للغنوسيين كتبهم الخيالية الجذابة ، وكتب المراطقة كثيراً عن معتقداتهم ، ولكن بولس اعتبر هذه جميعاً من صنع الإنسان . ليس هناك فائدة ما فى هذه الكتب للانسان ، أما الكتب العظيمة التى تغذى روح الإنسان ، فهى الكتب الموحى بها من الله .

لننظر الآن ما يقوله بولس عن فائدة الكتاب .

١ — يقدم لنا الكتاب الحكمة المخلصة . يذكر مؤلف كتاب « الكتاب المقدس وتبشير العالم » قصة راهبة فى مستشفى للأطفال فى انجلترا . وجدت الحياة — على حد قولها — بلا فائدة أو معنى . قرأت كتاباً تلو آخر ، وتعبت فى فلسفة أثر فلسفة فى محاولة أن تجد الرضى النفسى ، لم تجرب أبداً الكتاب المقدس ، بعد أن أقنعها صديق بمناقشات ماهرة أن الكتاب غير صادق ولا يمكن أن يكون صادقاً . وفى يوم ما جاء زائر إلى القسم الذى تعمل فيه وترك هدية ، مجموعة من الأناجيل . واقتنعت الأخت الراهبة أن تأخذ انجيل يوحنا وتقرأه فقالت ، « كانت كلماته تلمع وتسطع بالحق ، واستجاب كيانى كله له . وكانت الكلمات التى أقنعتنى نهائياً هى ما جاءت فى يوحنا ١٨ : ٣٧ : لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى ، وهكذا ، أصغيت أنا لهذا الصوت ، وسمعت الحق ، ووجدت مخلصى » . مرة بعد أخرى يفتح الكتاب طريق الله أمام الكثيرين من الرجال والنساء . من يطلب الحق لا بد أن يقرأ الكتاب . فلا يمكن أن يهمل كتاب له مثل هذا التاريخ الحافل . وغير المؤمن يظلم نفسه

إذا لم يحاول قراءته . فربما حدثت له أشياء عجيبة إذا قرأه ، لأن فى الكتاب حكمة مخلصة لا مثيل لها فى أى كتاب آخر .

٢ ــ والكتب المقدسة نافعة للتعليم . من الصدق أن يقال أن فى العهد الجديد وحده نجد صورة المسيح ، وقصة حياته ، وسجل تعليمه . لهذا لا يمكن تعليل إهمال الإنسان لقراءة العهد الجديد مهما كانت مجادلاته ، كما أنه من المستحيل على الكنيسة أن تعمل بدون الأناجيل . كما أن الحق الكامل ــ كما سبق التأكيد والقول مراراً عديدة ــ هو أن المسيحية غير مؤسسة على كتاب مطبوع ، بل على شخص حى ، وستبقى هذه الحقيقة دائماً وهى أن المكان الوحيد فى العالم الذى نستطيع أن نحصل فيه على قصة هذا الشخص بلسان شهود العيان وقصة تعليمه هى فى العهد الجديد . هذا هو السبب الذى من أجله تفتقد فيه الكنيسة ــ التى لا تدرس الكتاب ــ عنصراً ضرورياً لا يعوض

٣ ــ والكتاب قيم فى التوبيخ . وليس المقصود هنا أن الكتاب قيم فى إيجاد الخطأ ؛ بل قيم للاقناع ، فى اقتناع الشخص أن طرقه خاطئة ، وإرشاده للطريق الصحيح . ويقص علينا شيرجوين القصة بعد الأخرى عن كيفية وقوع الكتاب بالصدفة فى أيدى الكثيرين وكيف أحدث تغييراً شاملا فى حياتهم . فى البرازيل ، اشترى السنيور أنطونيو دى ميناس عهداً جديداً ليأخذه إلى بيته ويحرقه وجد النار مطفأة فى المدفأة ، فأشعلها عمداً ، وألقى بالعهد الجديد فيها ، ولكنه لم يحترق بسهولة ، فتح صفحاته ليجعل الاحتراق أسهل . وانفتح عند موعظة الجبل . ألقى عليها بنظرة سريعة قبل أن يلقى بالكتاب للنيران . وارتبك عقله ، فأخذ الكتاب ليقرأ ــ « وقرأ واستمر فى القراءة ، ناسياً للوقت ، خلال ساعات الليل ، وعندما أوشك الفجر أن ينبلج وقف صائحاً « « إنى اؤمن » .

وجد فنسنت كيروجا من شيلي بضعة صفحات قلائل من كتاب ألقته الأمواج على الشاطىء إثر زلزال أرضي . فقرأها ، ولم يهدأ له بال حتى حصل على بقية الكتاب المقدس . لم يصبح مسيحياً مؤمناً فقط ، بل كرس بقية حياته لتوزيع الكتب المقدسة في القرى النائية في شمال شيلي .

في ليلة حالكة : قبضت عصابة على موزع كتب مقدسة في إحدى غابات صقلية — وتحت تهديد المسدس أمر قائد العصابة باشعال نار وإلقاء الكتب فيها . أشعلت النار ؛ وطلب الموزع السماح له بقراءة جزء قليل من كل كتاب قبل أن يلقيه في النار . قرأ المزمور الثالث والعشرين في كتاب ؛ وقصة السامري الصالح في كتاب آخر ؛ والموعظة على الجبل في كتاب ثالث ؛ وأصحاح ١ كورنثوس ١٣ في كتاب رابع . في نهاية كل قراءة قال قاطع الطريق « هذا كتاب جيد ؛ لن نحرق هذا الكتاب ؛ أعطه لي » . وفي النهاية لم يحرق أي كتاب ؛ وترك قاطع الطريق موزع الكتب واختفى في الظلام مع الكتب . وبعد سنين ظهر هذا اللص مرة أخرى . في هذه المرة كان مبشراً مسيحياً ، وقال إن التغيير الشامل في حياته يرجع إلى قراءة هذه الكتب.

ليس هناك جدال أو شك أن الكتاب المقدس قادر أن يبكت الإنسان على خطية ، ويعطيه اليقين في قدرة المسيح .

٤ — والكتاب نافع للتقويم والتصحيح . ومعنى هذا هو اختبار كل النظريات ، والآراء اللاهوتية ، والتعاليم الأخلاقية في ضوء تعليم الكتاب المقدس . فاذا تناقضت مع هذا التعليم يجب رفضها . من الضروري أن نستعمل عقولنا ؛ ومسئوليتنا أن نسمح لهذه العقول أن تغامر وتسرح في عالم الفكر والتصور فهذه ضرورة مسيحية . ولكن الامتحان النهائي هو أن تتفق

هذه الشطحات الفكرية مع تعاليم يسوع المسيح كما يقدمها لنا الكتاب المقدس .

ه ـ ويذكر بولس نقطة أخيرة . دراسة الكتاب تدرب الإنسان على السير حتى يكون مجهزاً لكل عمل صالح . وهنا الخاتمة الهامة . إن دراسة الكتاب لا يجب أبداً أن تكون أنانية ؛ لا يجب أن تقتصر ببساطة على خير نفس إنسان واحد . فأى تغيير أو تحول يعمى الإنسان عن أن يرى أى شخص خلاف خلاصه هو ليس بتغير أو تحول صادق . فدراسته للكتاب يجب أن تجعل منه شخصاً نافعاً لله وللمجتمع حوله . يجب أن يهدف من دراسته . ليس فقط لخلاص نفسه ، بل أن يصير مقبولا لدى الله فيستخدمه فى خلاص وتعزية حياة الآخرين . ليس هناك من هو مخلص حقيقة ، إذا لم تأكله نار الغيرة نحو تخليص آخرين .

الأصحاح الرابع

بولس يستثير حمية تيموثاوس

١ أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذًا أَمَامَ ٱللهِ وَٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ
ٱلْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ ٱلْأَحْيَاءَ وَٱلْأَمْوَاتَ عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ
٢ أَكْرِزْ بِٱلْكَلِمَةِ ٱعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ
مُنَاسِبٍ . وَبِّخِ ٱنْتَهِرْ عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ . ٣لِأَنَّهُ
سَيَكُونُ وَقْتٌ لَا يَحْتَمِلُونَ فِيهِ ٱلتَّعْلِيمَ ٱلصَّحِيحَ بَلْ
حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ ٱلْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً
مَسَامِعُهُمْ ٤فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ ٱلْحَقِّ وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى
ٱلْخُرَافَاتِ . ٥وَأَمَّا أَنْتَ فَٱصْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . ٱحْتَمِلِ
ٱلْمَشَقَّاتِ . ٱعْمَلْ عَمَلَ ٱلْمُبَشِّرِ . تَمِّمْ خِدْمَتَكَ .

٢ تيموثاوس ٤ : ١ — ٥.

عندما أوشك بولس على الانتهاء من رسالته ، يود أن يثير حمية وحماس تيموثاوس للعمل الموضوع أمامه . لأجل هذا يذكره بثلاثة أمور تخص يسوع .

١ — يسوع هو ديان الأحياء والأموات . فى يوم ما سيوضع عمل تيموثاوس للامتحان ؛ وسيقوم يسوع المسيح نفسه بالامتحان. وعمل المؤمن يجب أن يكون صالحاً لا لإرضاء الناس فقط ، بل لإرضاء يسوع . يجب

أن يقوم بكل مأمورية تسند إليه بشكل يشرفه ، أن يأخذها ويقدمها إلى المسيح . وهو فى هذا لا يهمه نقد أو شهادة إنسان . كل ما يطمع فيه هو قول يسوع « حسناً فعلت ! » لو أتممنا أعمالنا فى الكنيسة وفى العالم بهذه الروح ، لاختلفت الحياة اختلافاً كلياً عما هى عليه الآن . كنا سنتخلص من هذه الروح المشاكسة التى تثيرها انتقادات الناس ؛ وكنا سنلقى جانباً إحساس الأهمية والعظمة التى نضفيها على حقوقنا الشخصية ، ومستوانا الشخصى ؛ وكنا سنتخلص من روح التركيز على الذات التى تتوقع من الناس شكراً وحمداً على كل عمل تقوم به ؛ وكنا سنتخلص من الشعور بالأسى الذى نحس به إزاء إنكار الناس . يجب أن يكون التركيز المسيحى على المسيح .

٢ — يسوع هو القائد المنتصر العائد . يقول بولس « أناشدك بظهوره ؛ » الكلمة التى يستعملهاقد تعنى تتويج الإمبراطور أو زيارته لإقليم أو مدينة ، وهذا هو المعنى الذى يقصده بولس بالذات. فمتى تقررت زيارة الامبراطور لمكان ما ، توضع كل الأشياء فى نظام كامل. تكنس الشوارع وترش ، وتجدد كل الأعمال . وتزين أركان المدينة لتليق بزيارة الامبراطور . لهذا يقول بولس لتيموثاوس: « أنت تعلم ماذا يحدث عندما تتوقع مدينة ظهور الامبراطور ؛ وأنت تتوقع ظهور يسوع المسيح. أتمم عملك ليكون كل شىء معد لاستقباله». والمؤمن ينظم حياته ليكون مستعداً فى أى لحظة لمجىء المسيح .

٣ — يسوع هو الملك . يحث بولس تيموثاوس على العمل متذكراً ملكوت يسوع المسيح . سيأتى اليوم الذى ستصير فيه ممالك العالم ملكوتاً للرب . وفى أى مملكة سيكون للمواطن الذى يطيع القوانين ويكرم الملك الكرامة والمجد . لهذا يقول بولس لتيموثاوس : « هكذا عاش وهكذا عمل فيكون لك المستوى الرفيع بين طبقات المواطنين فى الملكوت عندما يجىء هذا الملكوت » .

هذا هو الدافع المسيحى للعمل والخدمة . فعملنا يجب أن يصمد أمام فحص المسيح . وحياتنا يجب أن تكون مستعدة دائماً أن ترحب بظهور الملك . وخدمتنا يجب أن تشهد بحقيقة تبعيتنا لملكوت الله .

واجب المسيحى

لا يوجد إلا قليل من الكتابات فى العهد الجديد التى توضح بجلاء واجبات الواعظ والمعلم والمبشر المسيحى مثل ما جاء فى هذا الجزء .

يجب أن يكون المعلم المسيحى عاكفاً على الكرازة ومهتماً. فالرسالة التى يؤديها مسألة حياة أوموت. والمعلم والواعظ اللذان ينجحان فى توصيل رسالتهما إلى الناس هما اللذان تفيض نبرات أصواتهما بالاهتمام. كان سبرجن يكن إعجاباً حقيقياً لمارتينو . ولكن مارتينو كان من الكنيسة الموحدة **unitarian** التى تنكر ألوهية المسيح ، بينما كان سبرجن يؤمن بهذه الألوهية بحماس دافق . ورغم هذا عبر سبرجن أكثر من مرة عن إعجابه بمارتينو . فسأل أحدهم سبرجن : « كيف يمكنك أن تعجب بمارتينو بينما أنت لا تؤمن بما يعظ به ؟» فأجاب سبرجن « لا ، ولكنه هو يؤمن » كل شخص يحمل كلامه الاهتمام والحماس يجد أذناً صاغية لدى الناس .

يجب أن يكون المعلم المسيحى مثابراً ، يعكف على دعوة المسيح « فى الوقت المناسب وغير المناسب » . وكما قال أحدهم « انتهز أو اخلق فرصتك ». أو كما قال آخر : « يجب أن يعتبر المسيحى كل وقت فرصة ليتكلم عن المسيح » . قيل عن جورج موريسون من كنيسة ولنجتون فى جلاسجو أن أى محادثة تبدأ معه ، لا بد أن تصل إلى المسيح . لا يعنى هذا أننا لن نختار الوقت لنتكلم ، لأنه توجد لباقة فى التبشير كما فى كل الاتصالات الإنسانية الأخرى ؛ ولكن يعنى أن كثيرين منا يغلبهم الخجل فى الشهادة ليسوع المسيح .

ثم يستطرد بولس فى وصف التأثير الذى يجب أن يحدثه المعلم والواعظ والمسيحى .

عليه أن يوبخ ، فيشعر الخاطئ بخطيته . وبطريقة أو بأخرى يجب أن يوقظ إحساس الخاطى بالاشمئزاز نحو نفسه ونحو خطيته . ويرسم إبكتيتوس الخط الفاصل بين الفيلسوف المزيف الذى يبتغى الشهرة فقط ، والفيلسوف الحقيقى ، الذى لا يبتغى إلا خير مستمعيه . الأول يذكر مستمعيه بأنه عظيم المقدرة والإخلاص والصدق . يتوقع المديح ، ويستدر الثناء . أما دعوة الفيلسوف الحقيقى فهى : « إنى أدعوكم لأخبركم أنكم اخترتم الطريق الردىء ، وأنكم تهتمون بكل شىء إلا ما يستوجب الاهتمام حقيقة ، وأنكم لا تستطيعون التمييز بين الصالح والشرير ، وأنكم تعساء عاثرو الحظ » . ويستطرد فيقول « إن محاضرة الفيلسوف ، نوع من الجراحة ، عندما تتركها يجب أن تحس بالألم لا بالسرور » . اعتاد يونانى ، أن يقول لسقراط : « إنى أكرهك يا سقراط ، لأنه فى كل مرة أتقابل معك تجعلنى أرى نفسى كما أنا » . فالضرورة الأولى إذاً ، هو أن تجبر الإنسان أن يرى نفسه كما هو .

عليه أن ينتهر . فى أيام مجد الكنيسة كانت هناك نبرة شجاعة لاتعرف الخوف فى صوت الكنيسة . فلم تكن الكنيسة هيابة أو خائفة . يقص علينا براون حادثة من الهند . كان هناك نبيل صغير السن فى بلاط نائب الملك فى كلكتا اشتهر بخلاعته وعاداته الرديئة . وفى يوم ما وضع الأسقف ويلسون رداءه الكهنوتى وذهب إلى دار الحكومة ، وقال للحاكم : « يا صاحب الفخامة ، إذا لم يغادر اللورد . . . . كلكتا قبل الأحد القادم ، سأتهمه علناً من منبر الكاتدرائية » . واختفى اللورد الصغير قبل مجىء ذلك الأحد . كان الأسقف امبروز من ميلانو واحداً من عظماء الكنيسة القديمة . وكان صديقاً حميماً للامبراطور ثيودوسيوس

المسيحي ولكنه كان حاد الطبع . ولم يتردد أمبروز عن قول هذه الحقيقة للامبراطور « من يجرؤ على قول الحقيقة لك ، إذا جبن الأسقف عن ذلك ؟». عين الامبراطور واحداً من أقرب أصدقائه ، حاكماً على تسالونيكي . وكان حاكماً صالحاً ، وفي إحدى المناسبات أمر بسجن بطل مشهور في سباق العربات لسلوكه الفاضح . وكانت شعبية هؤلاء الرياضيين غير معقولة . ثار الناس وقتلوا الحاكم . وبلغ الغضب بالامبراطور حد الجنون . حاول امبروز تهدئته واسترضائه فلا يوقع عقابه على الجميع بدون تمييز ، ولكن وزيره تعمد إلهاب غضبه . أصدر الإمبراطور أوامره بمذبحة انتقامية في تسالونيكي . ثم عاد فألغى الأمر ، ولكن أمر الإلغاء جاء متأخراً فلم يصل إلى تسالونيكي في الوقت المناسب . كانت ساحة الألعاب في تسالونيكي مزدحمة إلى أقصى سعتها ؛ الأبواب مقفلة ؛ وتحرك جنود الامبراطور بين الجماهير يذبحون الرجال والنساء والأطفال لمدة ثلاث ساعات متصلة . قتل في هذه المذبحة أكثر من سبعة آلاف نفس . وتواردت أخبار المذبحة على ميلانو . وجاء الإمبراطور لحضور خدمة الأحد التالي في الكنيسة . فرفض امبروز السماح له بالدخول . ارتجى الامبراطور العفو . وبعد مضي ثمانية أشهر جاء مرة أخرى إلى الكنيسة . ومرة ثانية يرفض امبروز السماح له بالدخول . وفي النهاية ارتمى الامبراطور على الأرض في طلب المغفرة . حتى سمح له بالعبادة في الكنيسة مرة أخرى . في تلك الأيام المجيدة لم تكن الكنيسة هيابة أو وجلة في التعنيف والانتهار .

وفي علاقاتنا الشخصية ، ربما أنقذت كلمة تحذير أو لوم أخاً عزيزاً من خطايا كثيرة ومن تحطيم حياته . ولكن ، على حد قول أحدهم ، يجب أن تقال هذه الكلمة « كما من أخ يبتغي الخير لأخيه » . يجب أن تصدر عن إحساس بذنوبنا المشتركة . فليس هذا هو المكان لننصب فيه من أنفسنا قضاة

تحكم على أخلاق هذا أو ذاك ؛ وبالرغم من كل شيء فواجبنا أن نعطى كلمة التحذير هذه إذا لم يكن مفر من قولها .

عليه أن يعظ . هذا هو الجانب الآخر من الموضوع . فلا يحق لأى توبيخ أو انتهار أن يدفع الإنسان نحو اليأس واختفاء الأمل فى حياته . فالتوبيخ يجب أن يصحبه تشجيع . والتشجيع واجب مسيحى لا يقل عن واجب التوبيخ إن لم يفقه .

ثم أن هذه الواجبات المسيحية فى التوبيخ والانتهار والوعظ يجب أن تتم جميعاً بروح الأناة التى لا تكل . والكلمة اليونانية لأناة تصف ذلك الروح الصافى الذى لا يضيق بشيء ، أو يغضب من شيء ، لا يكل ، ولا ييأس ؛ ولا يفقد إيمانه فى الطبيعة الإنسانية ، ولا يعتبر أى إنسان مهما بلغ من سقوطه ميئوساً منه يتعذر على نعمة الخلاص أن تشمله . المسيحى له طول أناة فى إيمانه بالناس لأنه يعرف معرفة أكيدة قوة المسيح للتغيير .

مستمعون أغبياء

ثم يستطرد بولس لوصف المستمعين الأغبياء . يحذر تيموثاوس أنه سيأتى وقت يرفض فيه الناس الاستماع إلى التعليم الصحيح ، ويحيطون أنفسهم بمعلمين يسمعونهم المديح والتعاليم المشوقة ، تحلل لهم المحرمات ، وتيسر لهم كل الأمور بما يتفق مع ما يودون سماعه .

وكان من المؤسف حقيقة كثرة هؤلاء المعلمين فى أيام تيموثاوس . كانوا يدعون السوفسطائيين ، يتجولون من مدينة إلى أخرى ، عارضين تعليم أى شيء نظير مقابل . « كانوا مستعدين أن يدرسوا كل الأخلاقيات

نظير ١٥ أو ٢٠ جنيهاً . كان بامكانهم أن يعلموا الشخص أن يناقش بذكاء وخبث ، وأن يستعمل ألفاظه بطرق ملتوية حتى يبدو الردىء أفضل من الجيد . كان وصف أفلاطون لهم عنيفاً : « صيادون يقتفون أثر الشباب الغنى الناجح، طعمهم تربية معينة ، يتقاضون أجراً عن تجارتهم ، مكتسبين مالا . من اللعب بدهاء بمعانى الألفاظ فى المناقشات الخاصة ، بينما هم يدركون جيداً فساد تعاليمهم » .

كانوا يتنافسون فيما بينهم للفوز بالزبائن . كتب عنهم أحدهم « ربما استمعت إلى كثير من هؤلاء السوفسطائيين المتشردين وهم يصرخون ويسبون بعضهم البعض ، بينما تلاميذهم يتناقشون بصوت عال ، وكثير من الكتاب يقرأون موضوعاتهم الغبية ، وكثير من الشعراء يتغنون بأشعارهم ، وكثير من المشعوذين يعرضون ألاعيبهم ، وكثير من قراء الطالع يفسرون مبالغاتهم ، وعشرة آلاف خطيب يتبارون فى إغفال الحق وإظهار الباطل فى القضايا القانونية ، وعدد لا يقل من التجار ينادون على بضائعهم » .

فى أيام تيموثاوس ، كانت جموع هؤلاء المعلمين المزيفين تحيط بالناس وتتبارى فى المعرفة المعيبة . وكانوا يتعمدون تزييف الحق واختلاق التعاليم التى يستطيع بها الناس تبرير ما يرغبون فى عمله والمعلم الذى يتجه بتعليمه نحو التصغير من شأن الخطية ونتائجها الخطيرة إنما هو خطر يهدد المسيحية والبشرية.

كانت الواجبات الملقاة على تيموثاوس على عكس ذلك . كان عليه أن يكون صاحياً فى كل شىء . الكلمة اليونانية تعنى أن يكون واعياً متمالكاً نفسه ، كالرياضى المتحكم فى عواطفه وشهواته وأعصابه . ويصف أحدهم الكلمة : « إنها حالة عقلية خالية من كل ما يعكر صفاءها أو يعمى بصيرتها .. كل وظائفها على أتم الأهبة والاستعداد ، فتزن كل الحقائق وكل الاعتبارات

دون أن تغلب واحدة على الأخرى » . والمسيحى لا يسقط ضحية للاندفاعات المجنونة ، فالثبات والصحو هو شعاره فى عالم غير متزن يغلبه الجنون .

وعليه أن يتحمل المشقات التى يصادفها . المسيحية مكلفة ، وعلى المسيحى أن يدفع الثمن دون شكوى أو أسف .

وعليه أن يعمل عمل المبشر فيأتى بالأخبار الحسنة رغم التوبيخ ، والانتهار ، والتحذير ، فى إصرار المسيحى على التربية القويمة ، وإنكار الذات والتأكيد بأن السعادة التى تنتظره أعظم وأبقى من تلك الملذات الرخيصة التى يتيحها العالم .

وعليه أن لا يترك أى عمل لم يتم فى خدمته . طموح المسيحى شىء واحد : أن يكون ذا فائدة للكنيسة المنضم إليها ، وللمجتمع الذى يعيش فيه . والفرصة التى لا يجب عليه أن يفلتها ليست فرصة الربح الرخيص ، بل فرصة أن يقدم خدمة لإلهه ، وكنيسته ، وأخوته من الناس .

بولس يأتى للنهاية

٦ فَإِنِّى أَنَا ٱلآنَ أُسْكَبُ سَكِيباً وَوَقْتُ ٱنْحِلاَلِى قَدْ حَضَرَ.
٧ قَدْ جَاهَدْتُ ٱلْجِهَادَ ٱلْحَسَنَ أَكْمَلْتُ ٱلسَّعْىَ حَفِظْتُ
ٱلإِيمَانَ ٨ وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِى إِكْلِيلُ ٱلْبِرِّ ٱلَّذِى يَهَبُهُ لِى
فِى ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلرَّبُّ ٱلدَّيَّانُ ٱلْعَادِلُ وَلَيْسَ لِى فَقَطْ بَلْ
لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضاً .

٢ تيموثاوس ٤ : ٦ — ٨

كان بولس يعلم أن النهاية قريبة جدا بالنسبة له . عندما شاخ ايماسماس قال : « إنى عجوز استحق أن أترك العالم ويجب أن أترك الجهاد لمن هم أصغر منى سناً » . وهكذا يضع بولس ، المحارب المسن ، أسلحته ليلتقطها تيموثاوس .

لا يوجد فى العهد الجديد كله جزءاً يشع بمثل هذه الصور الحية ، كهذا الجزء .

قال بولس : « فان حياتى قد وصلت إلى النقطة التى يجب أن تسكب فيها » . والكلمة التى يستعملها بولس للانسكاب تعنى حرفياً الانسكاب كذبيحة للآلهة . كانت المائدة الرومانية تختتم دائماً بنوع من الذبيحة . فيؤخذ كأس خمر ويسكب للآلهة . وكأنما لسان حال بولس يقول : « مال النهار ؛ وحل ميعاد القيام والرحيل ، ويجب أن تسكب حياتى ذبيحة لله » .

لم يكن يخطر ببال بولس أنه سيقتل ؛ بل شعر أنه سيقدم حياته لله .

لم تكن حياته على وشك أن تؤخذ منه ، بل كان على وشك أن يضعها منذ اللحظة التى تحول فيها بولس وهو يقدم كل شىء لله — ماله ، علمه ، قوته ، وقته ، حيوية جسده ، حدة عقله ، ووفاء قلبه الجياش بالعاطفة ولم تبق إلا الحياة نفسها ليقدمها ، وها هو بولس ينتوى أن يضعها بسرور .

ثم يمضى فيقول : « وقت انحلالى قد حضر » والكلمة التى يستعملها للانحلال كلمة نابضة بالحياة ؛ وتشتمل على صور كثيرة ، كل منها يحكى لنا شيئا عن مغادرة هذه الحياة :

(أ) فهى تعنى فك الحيوان من قيده بالعربة أو المحراث . الموت بالنسبة لبولس راحة من تعب الكفاح . وهو سعيد أنه سيضع حمله جانباً. وكما أجملها سبنسر : راحة بعد عناء ، ميناء بعد بحر عاصف ، موت بعد حياة ، كلها أشياء محبوبة . سينام جيداً بعد حياة ممتلئة بالهم .

(ب) وهى كلمة تعنى فك القيود أو السلاسل . الموت بالنسبة لبولس تحرير وانطلاق من الأسر . فيه يستبدل جدران السجن الرومانى الكئيبة المحدودة بالحرية الرائعة فى رحاب السماء .

(ح) وهى كلمة تعنى إرخاء حبال الخيمة . بالنسبة لبولس كان ميعاد القيام برحلة جديدة قد حل . كم من رحلة قام بها عبر طرق آسيا الصغرى وأوروبا . والآن يستعد للقيام بآخر وأعظم رحلاته جميعاً ؛ فهو يأخذ الطريق الذى يقوده لله .

(د) وهى كلمة تعنى إرخاء حبال السفينة التى تربطها إلى الشاطىء

مرات عديدة يبحر فيها بولس عبر البحر الأبيض المتوسط ، ويشعر بالسفينة تغادر الميناء إلى المياه العميقة . والآن فهو على وشك أن ينطلق إلى أعظم الأعماق جميعاً ؛ فقد أرخى قلاعه ليعبر مياه الموت ليصل إلى مرساة الأبدية .

بالنسبة للمسيحى ، فى الموت إلقاء للحمل جانباً لكى يستريح . وفى الموت فك للقيود لنصير أحراراً . وفى الموت رحلة تتيح لنا الإقامة فى أركان السماء . وفى الموت إلقاء للحبال التى تقيدنا بهذا العالم فنرخى قلاعنا لرحلة تنتهى فى حضرة الله . من يرهب هذا الموت إذاً .

فرحة الجهاد الحسن

وهكذا يمضى بولس ، متكلماً بهذه الصور النابضة الحية التى كان فيها سيداً لا يدانى : « جاهدت الجهاد الحسن : أكملت السعى : حفظت الإيمان » . والاحتمال أن بولس هنا لا يستعمل ثلاث صور مختلفة من زوايا نواحى مختلفة للحياة ، بل يستعمل صورة واحدة من ناحية واحدة فى الحياة ، من الألعاب .

أولا ، يقول : « جاهدت الجهاد الحسن » . وكلمة الجهاد تعنى مسابقة فى ساحة الألعاب . عندما يستطيع رياضى أن يقول بصدق ، إنه فعل أحسن مالديه ، وأنه يترك الميدان بعد أن بذل فيه آخر قطرة من طاقته ، وعندما يشعر أن المسابقة كانت حسنة وعادلة ، وعندئذ يستوى لديه الفوز والخسارة ، لأنه سيشعر فى داخله بعمق الرضى . وقد أتى بولس للنهاية ، وهو ملىء بالثقة أنه قدم عرضاً جيداً . عندما ماتت أم سير جيمس بارى ،

صرح بارى بثقة كبرى « إنى أنظر إلى الخلف ، ولا أستطيع أن أرى شيئاً ، مهما قل شأنه ، لم يتم » . لا يوجد فى العالم كله رضى يوازى ذلك الذى يتولد من معرفتنا أننا فعلنا أحسن ما لدينا .

ثانياً ، يقول بولس : « أكملت السعى » . هذا هو بالضبط عين الصعوبة فى الحياة . ما أسهل أن نبدأ ، وما أشق أن نكمل . الشىء الوحيد الضرورى للحياة هو القوة المحتملة المستمرة ، وهى تعوز الكثيرين . أقترح على أحد مشاهير الرجال أن يكتب تاريخ حياته وهو حى . ولكنه رفض باصرار أن يوافق على ذلك ، وسبب رفضه كان : « لقد رأيت رجالا كثيرين يسقطون عند القفزة الأخيرة » . من السهل تحطيم حياة نبيلة بختام طائش ؛ من السهل إتلاف سجل حافل ، فى عملنا بالعالم وفى الكنيسة ، بعمل واحد خاطىء . ولكن بولس يشهد بأنه أكمل السعى . هناك رضى عميق فى الوصول إلى الهدف . ربما أعظم سباق فى العالم هو سباق الماراثون . كانت معركة الماراثون إحدى معارك التاريخ الفاصلة . ففيها التقى الإغريق بالفرس ، ولو كان الفرس قد انتصروا ، لانطفأت هذه الشعلة التى حملتها اليونان ومنها شع الضياء إلى بقية العالم . انتصر الإغريق ضد احتمالات مضادة رهيبة ، وبعد المعركة ، جرى جندى إغريقى كل الطريق ، ليلا ونهاراً ، حتى وصل أثينا بالأخبار . وإلى مشرعى أثينا جرى مباشرة وصاح لاهثاً « افرحوا ، لقد انتصرنا » . وسقط صريعاً وهو يوصل رسالته . لقد أكمل السعى ، وأدى عمله ، وليس هناك أفضل من ذلك لكى تنتهى الحياة .

ثالثاً ، يقول بولس : « حفظت الإيمان » ولهذه الجملة أكثر من معنى . وأكثر من خلفية . لو أردنا الاحتفاظ بصورة الألعاب ، لكانت الخلفية هكذا . كانت الألعاب الأولمبية فى اليونان هى أعظم الألعاب . وإليها

كان يحج أعظم الرياضيين فى العالم . وفى اليوم السابق للألعاب ، يجتمع كل المتنافسون ، ويقسمون قسماً خطيراً أمام الآلهة ، أنهم أدوا تمريناً لا يقل عن عشرة أشهر ، وأنهم لن يلجأوا إلى أى خدعة للفوز . ثم يأخذون على أنفسهم تعهدات صارمة أن يحافظوا على قوانين الشرف فى صراعهم . وإذاً يمكن أن يكون معنى ما يقوله بولس هو هذا : « لقد حافظت على القوانين . لقد أديت الألعاب » . إنه أمر عظيم أن نموت عالمين أننا لم نعتد إطلاقاً – خلال حياتنا – على أمور الشرف والأمانة فى سباق الحياة .

ولكنه سبق القول إن هذه الجملة تحمل أكثر من معنى . فهى جملة تستعمل كثيراً فى دوائر العمل . وهى الجملة اليونانية المعتادة التى تعنى « لقد حافظت على شروط العقد ؛ وكنت أميناً لارتباطاتى » . لو كان بولس قد استعملها فى هذا المعنى ، يكون قصده أنه ربط نفسه بخدمة المسيح وأنه ظل أميناً لهذا الارتباط ، ولم يتخل عن سيده مطلقاً . وهناك معنى أبعد من ذلك : « حفظت الإيمان : لم أفقد ثقتى ورجائى مطلقاً » . لو كان استعمال بولس للجملة بهذا المعنى ، يكون قصده أنه فى الشدة والرخاء ، فى الحرية وفى العبودية ؛ خلال أخطاره جميعاً بالبر والبحر . والآن فى وجه الموت ذاته ، لم يفقد ثقته الكاملة وإيمانه بيسوع المسيح . فى داخل هذا القلب كان هناك قبس من الرجاء ، لم يخب أبداً ، بل ظل يشتعل بثبات طيلة أيام الحياة جميعاً ، وما زال يضىء فى وجه الموت .

وهكذا يمضى بولس ليقول إن الأكليل قد وضع له . فى الألعاب اليونانية كانت أعظم الجوائز إكليل الزهر . يتوج به الفائز ؛ وهو أعظم شرف يمكن لأى رياضى أن يتطلع إليه . كانوا يجاهدون لأجل اكليل من الزهر سيذبل ويضمحل فى أيام قليلة ، ولكن بولس كان يعلم أن ما ينتظره إكليل لا يضمحل ولا يذبل .

فى هذه اللحظة ينتقل بولس من قضاء الناس إلى قضاء الله . كان بولس يعلم أنه فى فترة قصيرة جداً سيمثل أمام كرسى القضاء الرومانى ، وأن محاكمته ليس لها إلا نهاية واحدة . كان يعلم قضاء نيرون ، ولكنه كان يعلم أيضاً قضاء الله . الرجل الذى كرس حياته ليسوع المسيح لا يهمه قضاء الناس . فلن تؤثر فيه إداناتهم له طالما يسمع صوت سيده « حسناً فعلت ! » .

ثم يعلن بولس شيئاً آخر — أن هذا الإكليل ليس فى انتظاره وحده فقط ، بل أيضاً فى انتظار كل من يتوقعون مجىء الملك . وفى هذا كأنما يقول بولس لتيموثاوس : « ياتيموثاوس ، إن نهايتى قريبة : وأنا أعلم أننى أذهب لمكافأتى . لو تبعت خطواتى ، ستشعر بنفس الثقة وبنفس السرور عندما تأتيك النهاية » . إن السرور الذى يفيض فى قلب بولس متاح لكل شخص يجاهد نفس الجهاد ، ويكمل السعى ، ويحفظ الإيمان .

قائمة الشرف والعار

٩ بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَيَّ سَرِيعاً ١٠ لِأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ
تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ ٱلْعَالَمَ ٱلْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي
وَكِرِيسْكِيسُ إِلَى غَلَاطِيَّةَ وَتِيطُسُ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ .
١١لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي .خُذْ مُرْقُسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي
لِلْخِدْمَةِ .١٢ أَمَّا تِيخِيكُسُ فَقَدْ أَرْسَلْتُهُ إِلَى أَفَسُسَ .
١٣الرِّدَاءَ ٱلَّذِي تَرَكْتُهُ فِي تَرُوَاسَ عِنْدَ كَارْبُسَ أَحْضِرْهُ مَتَى
جِئْتَ وَٱلْكُتُبَ أَيْضاً وَلَا سِيَّمَا ٱلرُّقُوقَ .١٤ إِسْكَنْدَرُ
ٱلنَّحَّاسُ أَظْهَرَ لِي شُرُوراً كَثِيرَةً . لِيُجَازِهِ ٱلرَّبُّ حَسَبَ
أَعْمَالِهِ . ١٥ فَٱحْتَفِظْ مِنْهُ أَنْتَ أَيْضاً لِأَنَّهُ قَاوَمَ أَقْوَالَنَا
جِدًّا .

٢ تيموثاوس ٤ : ٩ — ١٥

يخطط لنا بولس هنا قائمة شرف وقائمة عار لأصدقائه . البعض منهم لا نعرف عنهم غير الاسم فقط ، كما نعرف القليل عن البعض الآخر ممن ورد ذكرهم فى أعمال الرسل والرسائل : ويمكننا أن نعيد بناء بعض القصص باستعمال شيء من الخيال . لننظر إذاً إلى هؤلاء الرجال فى تلك القائمة .

رحلة ديماس الروحية

يأتى ديماس فى صدر القائمة . ويذكر اسم ديماس ثلاث مرات فى رسائل بولس ، وربما أمكننا التعرف على المأساة خلال هذه الإشارات الثلاث :

(١) فى **فيلمون ٢٤** يذكر ديماس مع مجموعة من الأشخاص يدعوهم بولس **العاملين معه** .

(٢) فى **كولوسى ٤ : ١٤** يذكر ديماس بدون تعليق على الإطلاق .

(٣) هنا ديماس هو ذلك الإنسان الذى ترك بولس لأنه أحب العالم الحاضر . **أولا** ، ديماس هو ديماس العامل مع بولس ؛ **ثانياً** ، ديماس هو مجرد ديماس ؛ **ثالثاً** ، ديماس هو الهارب الذى أحب العالم . نصادف هنا قصة الانحلال الروحى . خطوة بعد خطوة والعامل الزميل يتجه إلى الهرب ولقب التشريف ينحدر إلى اسم العار .

ماذا حدث لديماس ؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عليه بالتأكيد ، ولكن يمكننا أن نخمن .

١ — ربما تبع ديماس المسيح دون أن يحسب أولا حساب النفقة . ربما كان ديماس واحداً من أولئك الذين يأتون إلى المسيح فى لحظة تجلى روحية . أو ربما جرفته إلى الكنيسة لحظة عاطفية عاصفة ، لم تسمح له بالتفكير فيما يعنيه أن يكون مسيحياً . وربما لم يكن ديماس ملاماً على الإطلاق . هناك نوع من التبشير يعلن :

« إقبل المسيح وستجد راحة وسلاماً وفرحاً » . نحس بعمق وبركة هذه الحقيقة فى أعمق إحساساتنا ومشاعرنا . ولكن من الحق أن يقال أيضاً إن

متاعبنا تبدأ عندما نقبل المسيح . حتى هذه اللحظة كانت حياتنا فى إنسجام مع العالم ومع مقاييس العالم . ولا شك أنها حياة سهلة ، لأننا نتبع فيها أقل الطرق مقاومة وأيسرها سيراً ، فى رفقة الجموع . ولكن متى ما قبل الإنسان المسيح فانه يكون قد قبل ضمناً مجموعة جديدة تماماً من المقاييس ؛ ويصبح مرتبطاً بحياة جديدة تماماً فى عمله ، فى علاقاته الشخصية ، فى مسراته ، فى سلوكه ، فى ألفاظه ، وفى الأشياء التى يسمح لنفسه بعملها . ولا بد من حدوث صدام . ربما اندفع ديماس إلى الكنيسة تحت تأثير لحظة عاطفية دون أن يقلب الأمر جيداً ؛ ثم كان عليه أن يحيا تحت الضغط ، والاضطهاد ، وضرورة التضحية ، والوحدة ثم أخيراً السجن . وترك ديماس الكنيسة لأنه لم يتوقع شيئاً من هذا القبيل . متى ما أخذ إنسان عهداً أن يتبع المسيح ، يجب أن يعرف جيداً ما هو مقبل عليه .

٢ ــ ربما غلب ديماس وهن السنين . وللسنين طريقتها فى أخذ مثلنا بعيداً ، وإشعارنا بالرضاء بالقليل فالأقل ، وإنقاص مقاييسنا ، واعتيادنا تقبل الهزيمة ، يخبرنا سزر لاند كيف كان شعوره عند تخرجه كطبيب . كان إذا سمع هذا القول « أيوجد طبيب هنا ؟ » سواء فى الشارع أو فى أى مكان آخر ، ملكه الحماس وشعور الفخر فيتقدم حالا للمساعدة . ولكن بمرور السنين ، أصبحت دعوة كهذه مثاراً للضيق . اختفى الحماس .

وعظ دين إنج عن مزمور ٩١ : ٦ ــ « الهلاك الذى يفسد فى الظهيرة » . دعاه «خطر العمر المتوسط » . ليس هناك أخطر من التهديد الذى تتعرض له مثلنا من تهديد السنين . وهو تهديد لا علاج له ولا يمكن التغلب عليه إلا بالحياة المشمولة بروعة وجود يسوع المسيح .

٣ ــ قال بولس عن ديماس « إنه أحب العالم الحاضر » . ربما كانت

مشكلة ديماس بسيطة للغاية ولكنها مع ذلك فظيعة . ربما كانت ببساطة محبة ديماس للحياة المريحة أكثر من محبته للمسيح ، إنه فضل الطريق السهل عن الطريق الذى يقود أولا للصليب ثم للنجوم . ربما رغب ديماس أن يكون شخصاً ناجحاً فى العالم أكثر من رغبته أن يكون مسيحياً .

إننا نذكر ديماس ، لا لكى ندينه ، بل لنعطف عليه ، لأن كثيرين منا يماثلونه .

ومن المحتمل أن ما ذكر لا يمثل بداية أو نهاية قصة ديماس . فديماس هو مختصر الاسم ديمتريوس . والآن فان اسمى ديماس وديمتريوس من الأسماء المعتادة والرأى الذى سنقترحه حالا لا يشترط أن يكون حقيقة تاريخية ، ولكن ربما كان هذا ما حدث فعلا نتيجة لرحمة الله .

نصادف ديمتريوس مرتين فى العهد الجديد . كان هناك ديمتريوس الذى قاد شغب الصاغة فى أفسس ، وكان يود أن ينصب محكمة لبولس ، لأنه أفسد عليهم تجارة الهيكل (أعمال ١٩ : ٢٥) . وكان هناك ديمتريوس الذى كتب عنه يوحنا أنه مشهود له من الجميع ومن الحق نفسه ، كما أن يوحنا يشهد له بنفسه شهادة صادقة (٣ يوحنا ١٢) . هل هذه هى بداية ونهاية القصة ؟ هل وجد ديمتريوس الصائغ فى بولس والمسيح ما أحاط بجماع قلبه ؟ هل تحول قائد الشغب المعادى إلى المسيح ؟ ممكن أن يكون هذا قد حدث . هل تبع بعد ذلك طريق المسيحية ، ثم تخلف فى الطريق وصار ديماس ، الهارب ، الذى أحب العالم الحاضر ؟ وهل لحقته نعمة الله بعد ذلك ، وأعادته ، وفدته وأعطته حياة جديدة ، وصيرته ديمتريوس الأفسسى الذى يكتب عنه يوحنا أنه كان خادم الحق يشهد له الجميع ؟ هذا ما لن نعرفه أبداً ، ولكنه

جيد أن يخامرنا هذا الفكر ، إن تهمة الخيانة والهرب لم تكن الحكم النهائى على حياة ديماس .

قائمة الشرف والعار

لنتابع بحثنا فى قائمة الشرف والعار

الأممى الذى شهد له الجميع

بعد ما تكلم بولس عن الشخص الذى تركه استطرد فى الكلام عن الشخص الذى ظل مخلصاً له حتى الممات « لوقا وحده معى » . ما نعرفه عن لوقا قليل جداً ، ولكن من هذا القليل الذى نعرفه تبدو لنا شخصية من أعذب الشخصيات فى العهد الجديد .

١ – نعرف شيئاً واحداً من سياق القصة – رافق لوقا بولس فى رحلته الأخيرة إلى روما وإلى السجن . ولوقا هو كاتب أعمال الرسل . هناك عدة فقرات فى الأعمال مكتوبة فى صيغة الجمع ، فقرات يذكر فيها : « نحن فعلنا هذا ، نحن فعلنا ذلك » عندما يكتب لوقا فى هذه الصيغة ، لنثق أنه يصف حوادث وظروفاً كان هو نفسه طرفاً فيها . فمثلا أعمال ٢٧ يصف اعتقال بولس فى روما ، والقصة مذكورة فى صيغة نحن . من هذا نتأكد أن بولس كان هناك . وأيضاً يمكننا استنتاج شيء آخر . ربما كان حقيقياً فقد كان للسجين الذى سيحاكم فى روما ، الحق فى اصطحاب عبدين .

وهناك احتمال كبير أن لوقا سجل نفسه كعبد لبولس حتى يسمح له بمرافقته إلى روما ثم إلى السجن . إذ فليس عجيباً أن يذكر بولس لوقا وصوته يتهدج بالحب . ليس هناك شك فى أن إخلاصاً كهذا قد بلغ المنتهى أن يصير لوقا عبد لبولس مفضلا ذلك على الانفصال عنه .

٢ — ولا يوجد فى العهد الجديد إلا إشارتان واضحتان إلى لوقا . فى كولوسى ٤ : ١٤ يوصف بأنه الطبيب المحبوب . كان بولس يدين بالكثير للوقا . كان بولس يعانى من عذاب شوكة الجسد ؛ ولا بد أن لوقا كان الشخص الذى يمرضه ، ويعتنى به ويسهر عليه ، ويخدمه بكل ما أوتى من براعة لتخفيف حدة الألم ، وليمكنه من الصمود والاستمرار . كان لوقا رقيق القلب ، ولا يبدو أنه كان بارعاً فى الوعظ أو التبشير ؛ بل كان الشخص الذى يؤدى دوره فى صورة خدمة شخصية . منحه الله قدرة الشفاء على يديه ، وكانت هذه هى المهارة التى خدم بها لوقا الله . الرقة هى الصفة والفضيلة التى ترفع الإنسان فوق مستوى الشخص العادى . البلاغة تنسى ؛ والنباهة العقلية يمكن أن تعيش فى الصفحة المكتوبة ، ولكن الرقة تحيا على عرش القلوب .

٣ — الإشارة الثانية إلى لوقا جاءت فى فيلمون ٢٤ ؛ وهناك يدعوه بولس العامل معى . لوقا هو الشخص الذى يشارك فى العمل ؛ لم يكتف فقط بالكتابة ؛ ولم يكتف فقط بمزاولة مهنته كطبيب ؛ ولكنه مد يديه ليعمل . الكنيسة ملأى بالمتكلمين ؛ والكنيسة ملأى بأولئك الذين يريدون أن يأخذوا منها أكثر مما يعطون ؛ أما لوقا فكان أحد هؤلاء الذين لا يقدر ثمنهم — كان أحد العاملين فى الكنيسة .

٤ — هناك إشارة محتملة إلى لوقا فى العهد الجديد . ففى ٢ كورنثوس ٨ : ١٨ جاء ذكر « الأخ الذى مدحه فى الإنجيل فى جميع الكنائس » . منذ الأيام الأولى للكنيسة يعرف هذا الأخ بلوقا . فلوقا هو الإنسان الذى شهد له الجميع . كان الصديق الوفى حتى الموت ؛ كان الإنسان رقيق القلب ؛ وكان الشخص الذى كرس نفسه للخدمة والعمل . مثل هذا الإنسان يكون دائماً محل ثناء الجميع .

قائمة الشرف والعار

لا زال هناك اسم فى هذه القائمة لم تذكر قصته المثيرة بعد

الإنسان الذى افتدى نفسه

يحث بولس تيموثاوس أن يحضر مرقس معه « لأنه نافع لى للخدمة » وكلمة خدمة هنا لا تشير إلى معناها المحدود أنه خدمة فى الكنيسة ، بل يقصد منها المعنى الأشمل وهى الخدمة العامة . يقول بولس : « أحضر مرقس ، لأنه نافع جداً فى الخدمة » أو كما يقول سكوت ؛ « أحضر مرقس ، لأنه يستطيع أن يستخدم يديه فى أى شىء » . أو كما نصفها نحن فى لغتنا الاعتيادية : « أحضر مرقس ، لأنه شخص مفيد فى وجوده معنا » .

تقلب مرقس فى عدة ظروف غريبة ، عندما بدأت الكنيسة كان حدثاً صغيراً ، ولكنه عاش فى مركز حياة الكنيسة . عندما هرب بطرس من السجن ، توجه لبيت مريم أم مرقس ، ويمكننا من هذا أن نستنتج أن بيت أم مرقس كان هو مركز اجتماعات الكنيسة فى أورشليم (أعمال ١٢ : ١٢) .

عندما قام بولس وبرنابا بأول رحلة تبشيرية لهما ، أخذا مرقس معهما ، واسمه الكامل يوحنا مرقس ، ليكون لهما عوناً ومساعداً (أعمال ١٣ : ٥) . وكانت كل الأمور تشير إلى أن مرقس يعد لمستقبل عظيم فى صحبة بولس وفى خدمة الكنيسة . ولكن حدث حين ذاك أمر . إذ حينما غادر بولس وبرنابا بمفيلية وأخذا الطريق الوعر الخطر الذى يقود إلى داخل هضبة آسيا الصغرى ، تخلى عنهم مرقس وعاد إلى بيته (أعمال ١٣ : ١٣) . فارقته شجاعته وانهارت أعصابه فرجع .

وتصلب بولس فى موقفه إزاء هذا الهروب . عندما استعد بولس وبرنابا للقيام برحلتهما التبشيرية الثانية ، أراد برنابا أن يصطحبا مرقس — وكان قريباً له (كولوسى ٤ : ١٠) — معهما مرة ثانية . ولكن بولس رفض بإصرار أن يأخذ هذا الهارب معه مرة ثانية ؛ وكان الخلاف بينهما عنيفاً وحاداً لدرجة أن بولس وبرنابا انفصلا ، ولم يعملا معاً مرة أخرى (أعمال ١٥ : ٣٦— ٤٠) . إذاً ، كان هناك وقت رأى فيه بولس أنه لا فائدة ترجى من مرقس وهو الهارب الجبان فى نظره ، لذلك رفض كلية أن يأخذه ضمن العاملين معه .

ما حدث لمرقس بعد ذلك غير معروف . تذكر التقاليد أنه ذهب إلى مصر وأنه كان المؤسس للكنيسة المسيحية فيها . مهما كان العمل الذى أداه مرقس ، فمن المؤكد أنه افتدى نفسه . عندما كتب بولس الرسالة إلى كولوسى من سجنه بروما ، كان مرقس معه ، وأثنى عليه بولس للكنيسة فى كولوسى وكلفهم باستقباله . والآن ، عندما اقتربت النهاية ، كان الشخص الوحيد الذى يريده بولس ، بخلاف حبيبه تيموثاوس ، هو مرقس ، لأنه كان نافعاً فى وجوده . تحول مرقس الهارب إلى مرقس الذى يعمل كل شىء فى خدمة بولس وخدمة الإنجيل .

ألقى فوزديك مرة عظة تحمل هذا العنوان العظيم « لا يتحتم بقاء أى إنسان كما جبل عليه » . مرقس هو البرهان الحى على ذلك . فى مرقس تشجيع وإلهام لنا ، لأن مرقس هو الشخص الذى فشل ولكنه رغم ذلك عمل صالحاً. وحتى يومنا هذا ، يستطيع يسوع المسيح أن يشجع روح الجبان ، وأن يشدد الخائر للجهاد . يمكنه أن يوقظ روح البطولة القائمة فى نفس كل إنسان . ويستطيع أن يحول عار الفشل إلى فرح انتصار الخدمة .

قائمة الشرف والعار

المعاونون ، والمعاند ، وطلب أخير

وتمضى قائمة الأسماء فى العرض . لا نعلم عن كريسكيس شيئاً على الإطلاق . أما تيطس فكان واحداً من أكثر أعوان بولس إخلاصاً . يدعوه بولس ، « ابنى الصريح » (تيطس ١ : ٤) . عندما أقلقه الاضطراب الحادث فى كنيسة كورنثوس ، كان تيطس واحداً من مرسلى بولس لمعالجة الأمور (٢ كورنثوس ٢ : ١٣ ؛ ٧ : ٦ ، ١٣ ؛ ١٢ : ١٨) أما تيخيكس فقد أؤتمن على توصيل الرسالة إلى أهل كولوسى (كولوسى ٤ : ٧) ، والرسالة إلى أهل أفسس (أفسس ٦ : ٢١) . كانت مجموعة المعاونين الصغيرة مبعثرة بين الكنائس المختلفة ، لأن العمل كان لا بد أن يستمر حتى أثناء وجود بولس فى السجن ؛ وكان على بولس أن يعانى الوحدة حتى يتقوى معاونوه المتفرقون ويجدون الإرشاد والتعزية .

ثم يأتى ذكر شخص قاوم وعاند بدلا من أن يساعد : « اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة » . لا نعرف ماذا فعل اسكندر ؛ ولكن ربما أمكننا استنتاج الضرر الذى أحدثه . الفعل الذى يستخدمه بولس فى اليونانية يظهر أو يعرض ؛ وكان غالباً ما يستعمل عند التبليغ ضد شخص ما . كان المخبرون لعنة كبرى فى حياة روما فى ذلك الوقت . كانوا يتصيدون العطاء والمكافأة نظير إبلاغهم عن آخرين . ربما كان اسكندر مسيحياً مرتداً ، تبرع أمام الحكام ببلاغات كاذبة شريرة ضد بولس . أو ربما انقلب اسكندر ضد بولس وأراد أن يحطمه بكل طريقة قبيحة ومشينة .

طلب بولس عدة طلبات شخصية . كان يريد الرداء الذى تركه خلفه فى

بيت كاربس فى ترواس . هذا الرداء عبارة عن ثوب مستدير ، وله فتحة متوسطة للرأس ، وعندما يوضع على الجسم يغطى الإنسان كخيمة صغيرة تصل إلى الأرض . كان رداء للشتاء ولا بد أن بولس كان يعانى من برد السجن فى روما .

أراد إحضار **الكتب** ؛ والكلمة تعنى حرفياً لفائف البردى ؛ وربما كانت هذه اللفائف مشتملة على النسخ الأولى للأناجيل . وأراد إحضار **الرقوق** . والرقوق لا تخرج عن واحد من شيئين . ربما كانت مستندات بولس القانونية الضرورية له وخاصة شهادة أنه مواطن رومانى . وهناك احتمال أكثر أنها نسخ من الكتب العبرية المقدسة ، العهد القديم ، لأن اليهود نسخوا كتبهم المقدسة على رقوق من جلود الحيوانات . كانت كلمة يسوع وكلمة الله هى التى أرادها بولس فوق كل شىء آخر ، وهو ملقى فى السجن ينتظر الموت .

والتاريخ يعيد نفسه بطريقة غريبة . فبعد ألف وخمسمائة عام ، كان وليام تندال راقداً فى السجن فى فلفورد ، ينتظر الموت ، لأنه تجرأ وترجم الكتاب المقدس إلى اللغة التى يتكلم بها الناس . كان شتاء رطباً بارداً ، فكتب إلى صديق له : « أرسل لى ، لأجل خاطر يسوع ، عباءة وشيئاً أستطيع أن ألفه حول ساقى ، وقميصاً من الصوف ، وفوق الكل **كتابى المقدس بالعبرية** » عندما انقلبت الأمور ضدهم ، وحلت عليهم نسمة الموت الباردة ، لم يرد هؤلاء العظماء شيئاً غير كلمة الله لتعطيهم القوة والشجاعة التى تحتاجها نفوسهم.

كلمات أخيرة وتحيات

١٦ فِي ٱحْتِجَاجِي ٱلْأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي بَلِ ٱلْجَمِيعُ
تَرَكُونِي . لاَ يُحْسَبْ عَلَيْهِمْ .١٧ وَلٰكِنَّ ٱلرَّبَّ وَقَفَ مَعِي
وَقَوَّانِي لِكَيْ تُتَمَّ بِي ٱلْكِرَازَةُ وَيَسْمَعَ جَمِيعُ ٱلْأُمَمِ فَأُنْقِذْتُ
مِنْ فَمِ ٱلْأَسَدِ .١٨ وَسَيُنْقِذُنِي ٱلرَّبُّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ رَدِيءٍ
وَيُخَلِّصُنِي لِمَلَكُوتِهِ ٱلسَّمَاوِيِّ . ٱلَّذِي لَهُ ٱلْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ
ٱلدُّهُورِ . آمِينَ .

١٩ سَلِّمْ عَلَى فِرِسْكَا وَأَكِيلاَ وَبَيْتِ أُنِيسِيفُورُس .
٢٠ أَرَاسْتُس بَقِيَ فِي كُورِنْثُوسَ . وَأَمَّا تُرُوفِيمُس فَتَرَكْتُهُ
فِي مِيلِيتُس مَرِيضاً .٢١ بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ قَبْلَ ٱلشِّتَاءِ .
يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَفْبُولُس وَبُودِيس وَلِينُس وَكَلاَفَدِيَّةُ
وَٱلْإِخْوَةُ جَمِيعاً .٢٢ الرَّبُّ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ
مَعَ رُوحِكَ . النِّعْمَةُ مَعَكُمْ .
آمِينَ

٢ تيموثاوس ٤ : ١٦ – ٢٢

تبدأ المحاكمة الرومانية بامتحان مبدئى لصياغة نوع التهمة بالضبط التى ستوجه إلى السجين . عندما أحضر بولس أمام هذا الامتحان المبدئى ، لم يقف معه أى واحد من أصدقائه . كان من الخطورة بمكان أن يظهر أى إنسان صداقته لشخص حياته مهددة . أمام القضاء .

من الأشياء الغريبة عن هذا الجزء ما يعيده من ذكريات المزمور ٢٢ « لماذا تركتنى ؟ » « كل الناس تركونى » . « لا يوجد من معين » . « لم يكن هناك واحد ليقف معى » . « أنقذنى من فم الأسد » . « كل أقاصى الأرض تذكر وترجع إلى الرب » . « حتى تسمع الأمم » « الملك للرب » . «سيخلصنى لملكوته السماوى » . يبدو مؤكداً أن كلمات هذا المزمور كانت تدور فى عقل بولس . ومن الأشياء الجميلة أن هذا هو المزمور الذى كان يدور بعقل يسوع عندما كان معلقاً على صليبه ، لأن هذا هو المزمور الذى يبدأ بـ « إلهى ، إلهى ، لماذا تركتنى ؟ » وينتهى بالانتصار (مزمور ٢٢ : ٣١ ؛ متى ٢٧ : ٤٦) عندما واجه بولس الموت ، وجد الراحة والعزاء والشجاعة فى نفس المزمور الذى لجأ إليه ربه فى نفس الظروف .

استمد بولس الشجاعة فى هذه الساعة الرهيبة من ثلاثة أشياء .

١ — كل الناس تركوه ، ولكن الرب وقف معه . وعد يسوع أنه لن يترك أوينسى خاصته . قال إنه سيكون معهم حتى نهاية العالم ، وبولس شاهد أن يسوع يحفظ وعده .

٢ — لم ينس بولس قط التبشير بيسوع . إنه يستغل حتى ساحة المحكمة الرومانية ليعلن رسالة المسيح . لقد أطاع وصيته ، وشهد للمسيح ، فى الوقت المناسب وغير المناسب . وقد انشغل تماماً بهذا التبشير لدرجة أنسته الخطر . من فقد نفسه وضاع فى زحمة عمله ينتصر على الخوف .

٣ - كان واثقاً تماماً من الخلاص النهائى . بدا أحياناً أن بولس ضحية الظروف ، ومجرم مدان أمام القضاء الرومانى ؛ ولكن بولس كان ينظر إلى ما بعد الزمن ، وكان يعرف أن سلامه الأبدى قد تأكد . من الأفضل أن تمر بخطر لحظة وتكسب السلام الأبدى ، عن أن تكون فى سلام لفترة قصيرة تتبعها أبدية مشكوك فيها .

الخاتمة

وأخيراً يأتى دور السلام والتحيات . هناك تحية لفريسكا وأكيلا ، الزوج والزوجة اللذان فتحا بيتهما ليكون كنيسة دائمة ، أينما كانوا ، واللذان عرضا حياتهما للخطر لأجل بولس (أعمال ١٨ : ٢ ؛ رومية ١٦ : ٣ ، ١كورنثوس ١٦ : ١٩) . هناك تحية لانيسيفورس الشجاع ، الذى بحث عن بولس ووجده فى السجن بروما (٢ تيموثاوس ١ : ١٦) ، والذى دفع حياته ثمناً لوفائه . هناك تحية لاراستس ، الذى أرسله بولس مرة كمبعوثه إلى مكدونية (أعمال ١٩ : ٢٢) ، والذى التحق بكنيسة روما فيما بعد (رومية ١٦ : ٢٣) . هناك تحية لتروفيمس ، الذى اتهم بولس مرة بأنه أحضره ، وهو الأممى ، إلى داخل حدود الهيكل فى أورشليم . وهى حادثة بدأ بها سجن بولس الأخير (أعمال ٢٠ : ٤ ؛ ٢١ : ٢٩) . وأخيراً هناك تحيات من أفبولس وبوديس ولينس وكلافدية . فى التاريخ يذكر أن لينس كان أول أسقف لروما .

وهكذا يأتى بولس إلى الخاتمة ، بأن يرجو لأصدقائه وجود الرب وروح الرب مع نفوسهم ، وكلمته الأخيرة هى نعمة دائماً .

رسالة بولس الرسول
إلى تيطس

الأصحاح الأول

مصادر الرسول

١ بُولُسُ عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِأَجْلِ
إِيمَانِ مُخْتَارِى ٱللهِ وَمَعْرِفَةِ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى هُوَ حَسَبُ ٱلتَّقْوَى
٢ عَلَى رَجَاءِ ٱلْحَيَوةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ ٱلَّتِى وَعَدَ بِهَا ٱللهُ ٱلْمُنَزَّهُ عَنِ
ٱلْكَذِبِ قَبْلَ ٱلْأَزْمِنَةِ ٱلْأَزَلِيَّةِ ٣ وَإِنَّمَا أَظْهَرَ كَلِمَتَهُ فِى
أَوْقَاتِهَا ٱلْخَاصَّةِ بِٱلْكِرَازَةِ ٱلَّتِى ٱؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهَا بِحَسَبِ
أَمْرِ مُخَلِّصِنَا ٱللهِ ٤ إِلَى تِيطُسَ ٱلِٱبْنِ ٱلصَّرِيحِ حَسَبَ
ٱلْإِيمَانِ ٱلْمُشْتَرَكِ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ مِنَ ٱللهِ ٱلْآبِ وَٱلرَّبِّ
يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا .

تيطس ١ : ١ – ٤

كانت عادة بولس عندما يستدعى واحداً من أتباعه الموثوق فيهم لعمل ما ، أن يبدأ باظهار حقه كرسول فى الكتابة ، وتوضيح قواعد الإنجيل مرة أخرى . وهكذا يبدأ بولس هنا بذكر أشياء معينة عن إرساليته .

١ – كونه رسولا يضعه فى **صحبة عظيمة** . فى البداية يدعو بولس نفسه « عبد الله » وهذا لقب يكتنفه التواضع والفخر معاً . ويعنى أن بولس ملك لله بلا منازع ؛ ويعنى أن بولس لا يملك إرادة أو وقتاً لذاته ؛ ويعنى أن حياة بولس قد سلمت كلية إلى الله . ولكن هنا أيضاً فخر ؛ لأن هذا اللقب

بالذات ، عبد الله ، كان اللقب الوحيد الذى أطلق على أنبياء وعظماء الماضى . كان موسى عبداً لله (يشوع ١ : ٢) ؛ ولم يطالب خلفه يشوع بلقب أكبر (يشوع ٢٤ : ٢٩) ولم يكشف الله عن إرادته وأغراضه إلا لعبيده الأنبياء (عاموس ٣ : ٧) . وخلال تاريخ دولة إسرائيل لم يرسل لهم الله إلا عبيده الأنبياء . (أرميا ٧ : ٢٥) . لقد أعطى هذا اللقب « عبد الله » لبولس حق المسير فى صحبة عظيمة . عندما يدخل امرؤ الكنيسة ، فإنه لا يجتاز أعتاب مؤسسة أنشأت بالأمس ؛ إنما جماعة تمتد جذورها إلى عدة قرون من تاريخ البشرية ، وإلى أزمنة أزلية فى عقل وأغراض الله . وعندما يأخذ إنسان على نفسه مسئولية التبشير ، أو التعليم ، أو خدمة عمل الكنيسة ، فانه إنما ينضم إلى خدمة أصيلة ذات عادات وتقاليد . إنه يسلك كما سلك القديسون . إن محضرنا فى كنيسة الله يضعنا وسط صحبة عظيمة .

٢ ـ كونه رسولا يعطيه سلطاناً عظيما. كان بولس رسولا ليسوع المسيح. ولم يخطر على بال بولس مطلقاً أن سلطانه مستمد من تفوقه العقلى البالغ ، أو من صلاحه الأخلاقى ، ولكنه كان يتكلم بسلطان يسوع المسيح . فالرسول يحمل فى صلاحياته سلطة من أرسله . والرجل الذى يبشر بانجيل المسيح أو يعلم عن الحق الذى فى المسيح ، إذا كانت حياته مكرسة بأمانة لهذا العمل ، فانه لن يتكلم عن آرائه الخاصة ، أو يعرض استنتاجاته الشخصية ، إنما يقدم رسالة المسيح وكلمة الله خالصة كما تلقاها . والرسول الأمين للمسيح قد تخطى مرحلة الاحتمالات والممكنات ، وصارت كلمة تحمل يقين وسلطان من له المعرفة .

الإنجيل الذى نادى به الرسول

وإذ نستطرد فى هذا الجزء نستبين الخلاصة فى الإنجيل الذى نادى به الرسول ، ومركز الثقل فى عمل الرسول .

١ – ترتكز الرسالة بأكملها على **رجاء الحياة الأبدية** . إن المسيحية تقدم عطية فائقة ، حياة من نوع جديد . مرات عديدة تتكرر هذه الجملة « **حياة أبدية** » على صفحات العهد الجديد . وفى هذا الكون العظيم بأجمعه لا يوجد إلا شخص واحد ، ينطبق عليه هذا الوصف بحق وجدارة الله الخالق وعطية المسيحية عبارة عن نصيبنا فى حياة هذا الإله الأبدى . تقدم المسيحية لنا قدرة الله لعجزنا وفشلنا ، وصفاء الله لاضطراب حياتنا ، ويقين الله لشكوكنا ، وصلاح الله لسقوطنا الأخلاقى ، وفرح الله لأحزاننا . وإنجيل المسيحية لا يقدم للناس عقيدة عقلية أو ميثاقاً أخلاقياً فقط ، إنما يقدم حياة من صميم حياة الله .

٢ – هناك أمران ضروريان ليتمكن الإنسان من دخول هذه الحياة : الإيمان والمعرفة . واجب الرسول أن يوقظ الإيمان فى الناس . والإيمان بالنسبة لبولس يعنى شيئاً واحداً دائماً – ثقة كلية مطلقة فى الله . والخطوة الأولى فى الحياة المسيحية أن ندرك أننا لا نستطيع عمل شىء لكننا نتلقى .

وفى أى مجال للحياة ، لا يمكن لأى عطاء مهما كانت قيمته وعظمته ، أن يصبح فعالا إلا إذا قبل . والواجب الأول للمسيحى أن يقنع الآخرين بقبول عطية الله . وخلاصة الأمر ، أنه لا يمكننا أن نقنع شخصاً بالمسيحية بالجدل والنقاش . كل ما نستطيعه أن نقول ، « جربها وسترى ! » .

٣ — الأمر الثانى فى واجبات الرسول هو أن يجهز الناس **بالمعرفة** . فالتبشير المسيحى والتعليم المسيحى يسيران يداً فى يد . والواعظ المسيحى والمعلم المسيحى لا بد أن يكونا شخصاً واحداً . قد يبدأ الإيمان كعاطفة استجابية من القلب ، ولكن يجب أن ينتهى إلى العقل . وإنجيل المسيحية يجب أن يدرس فكرياً لكى يجرب عملياً . ولا يستطيع أحد أن يحيا قابعاً فوق موجة العواطف . يجب أن تكون الحياة المسيحية تمريناً يومياً لمحبة المسيح أكثر ولمعرفته معرفة أفضل .

٤ — ثمرة الإيمان والمعرفة **حياة البر والتقوى** . فلا بد للايمان أن يسرى فى الحياة . كما أن المعرفة المسيحية ليست معرفة ثقافية فقط . بل هى معرفة **كيف تعيش** . فالعالم ملىء بالأساتذة الكبار الذين ينوءون تحت ثقل ألقابهم العلمية ، ولكن تنقصهم الكفاءة لإدارة شئون الحياة المعتادة ، ويحيق الفشل الكلى بعلاقاتهم الشخصية . والحياة البارة النقية حياة رجل على وفاق تام مع الله ، ومع نفسه ، ومع رفقائه من الناس . هى حياة يستطيع فيها الشخص أن يسمو إلى مستوى لحظات الحياة العظيمة مثلما يعيش الحياة المعتادة اليومية .. هى حياة يعيش فيها يسوع المسيح مرة أخرى .

إن واجب المسيحى أن يقدم للناس ذات حياة الله نفسه ؛ وأن يوقظ الإيمان فى قلوبهم ويعمق المعرفة فى عقولهم ؛ وأن يمكن الناس من المعيشة بطريقة تظهر للآخرين انعكاس حياة السيد فى أعمالهم وأحاديثهم اليومية .

أغراض الله وأوقاته الخاصة

يخبرنا هذا الجزء عن غرض الله وخطته للانسان ، وطريقته فى تنفيذ هذا الغرض .

١ ــ غرض الله للانسان كان وما زال دائماً الخلاص . ووعد الله بحياة أبدية وجد قبل أن يكون العالم . ومن المهم ملاحظة أن بولس ـــ فى هذا الجزء ـــ يطلق لفظ المخلص على الله وعلى يسوع معاً . أحياناً يقدم لنا الإنجيل بطريقة تشعرنا بأن هناك فرقاً بين يسوع الرقيق ، المحب ، الممتلىء نعمة ، وبين الله القاسى العبوس . أحياناً ترن الكلمات كأنما هناك حقيقة تناقضاً بين يسوع ، محب النفوس ، والله ديان النفوس . أحياناً يبدو كما لو أن يسوع قد فعل شيئاً ليغير موقف الله تجاه البشر ، وأنه قام باقناع الله أن يلقى جانباً غضبه ونقمته على الناس . ليس هناك أى مبرر لهذا المعنى فى العهد الجديد . فخلف عملية الفداء كلها توجد محبة الله الأزلية التى لا تتبدل ، وعن هذه المحبة جاء يسوع ليخبر الناس . الله بطبيعته هو الإله المخلص ، الإله الذى يبتغى أولاً وقبل كل شىء خلاص الإنسان ، وآخر ما يود عمله معاقبته . الله هو الآب الذى ينشد عودة أولاده إلى البيت ، لا لكى يحطمهم ، بل ليجمعهم إلى صدره .

٢ ــ ولا يقتصر هذا الجزء على بيان غرض الله الأزلى ، بل يتكلم أيضاً عن طريقته . فيقول لنا إن الله أرسل رسالته حسب **أوقاته الخاصة** . ومعنى هذا أن التاريخ كله كان إعداداً لمجىء المسيح . ليس فى الإمكان تدريس أى نوع من المعرفة لأى شخص قبل أن يعد لتلقى هذه المعرفة . وكل من يبتغى التعليم عليه أن يمر أولا بمراحل التعليم الصغرى قبل أن يصل إلى مراحله العليا . وفى كل فروع المعرفة الإنسانية علينا أن نبدأ من البداية . لهذا كان يجب إعداد الناس لمجىء يسوع . وكل تاريخ العهد القديم ، وكل أبحاث وتطلعات فلاسفة اليونان كانت إعداداً لمقدم يسوع . كان روح الله يتحرك بين الشعب المختار ، وبين جميع الشعوب الأخرى ، لكى يعدهم لاستقبال ابنه عندما يجىء . تعاليم الأنبياء ، والبحث عن الحق الذى امتلأت به عقول

الناس فى كل أمة ، ما كانت إلا عملية إلهام الهية المقصود منها أن تبلغ ذروتها فى مجىء يسوع يحمل حق الله الكامل إلى الناس . كما يقاد الطفل فى أيام دراسته من مرحلة إلى أخرى ، هكذا كان العالم كله يدرب لتلقى حق الله فى ابنه ، عندما يأتى يسوع المسيح . يجب أن ننظر إلى التاريخ كله كتدريب الله للناس .

٣ — ليس هذا فقط ، بل أن المسيحية جاءت إلى العالم فى وقت فريد أمكن فيه للرسالة أن تنتشر . وجدير بنا أن نتذكر أنه لم يحدث فى التاريخ تواجد مثل هذه الفترة التى تيسر فيها انتشار الرسالة فى أوروبا كلها . وقد تلاقت خمسة عناصر معاً فى الوضع العالمى لتجعل من انتشار المسيحية أمراً ميسوراً .

(أ) كان العالم كله تقريباً يتكلم اليونانية . ولا يعنى هذا أن الأمم قد نسيت لغاتها الأصلية ؛ ولكن إلى جانب هذه اللغات كان معظم الناس يتكلمون اليونانية . كانت اللغة اليونانية هى لغة التجارة ، والمبادلات التجارية ، ولغة الأدب . وكان محتما على كل شخص يريد أن يأخذ نصيباً فى الحياة العامة و فى نشاطات المجتمع أن يعرف اليونانية . الناس جميعاً يعرفون لغتين ، استعمل الناس لغاتهم الخاصية فى شئونهم الشخصية ، واليونانية فى الحياة العامة . لهذا كان عصر المسيحية الأول أحد الأجيال القليلة جداً فى التاريخ التى لم يصادف العمل التبشيرى فيها مشكلة اللغة .

(ب) لم تكن هناك حدود بالمعنى المعروف . فالامبراطورية الرومانية كانت تشمل العالم المعروف حينئذ . أينما أراد المسافر أن يذهب ، فهو ما زال داخل حدود الامبراطورية . أما فى هذه الأيام ، فيحتاج

عابر أوربا إلى جواز سفر ، سيتوقف عند كل حدود دولة يريد الدخول لها ، سيصادف ستاراً حديدياً لا يسمح له باجتيازه — ولكن فى عصر المسيحية الأول ، كان فى إمكان المرسل أن يتحرك من أحد أطراف العالم المعروف إلى نهايته الأخرى دون عقبة .

(حـ) كان السفر سهل نسبياً . حقيقة كان الانتقال بطيئاً لعدم وجود النقل الآلى ، لهذا كانت معظم الرحلات تتم مشياً على الأقدام ، بينما تحمل الأمتعة على حيوانات بطيئة الحركة . ولكن الرومان كانوا قد أتموا إنشاء شبكة الطرق العظيمة التى امتدت من قارة لأخرى ، والتى خلت من قطاع الطرق كما خلا البحر من القراصنة ، وهكذا أصبح السفر أسهل من أى وقت سابق .

(د) تميز عصر المسيحية الأول باستتباب السلام ، كان أحد عصور التاريخ القليلة التى عم السلام فيها العالم . لو كانت هناك حروب مستعرة فى أوربا ، لتعذر على العمل المرسلى أن يتقدم وينمو . ولكن السلام الرومانى كان ثابتاً ، ولهـذا تمكن المسافر داخل حدود الامبراطورية أن ينتقل فى أمان وسلام .

(هـ) كان العالم يحس باحتياجاته . تحطمت الأديان القديمة وانهارت العبادات السائدة ؛ أما الفلسفات الجديدة فقد تعقدت وتباعدت عن مستوى عقول البسطاء من الناس . لهذا اتجهت أنظار الناس ، كما قال سنيكا ، نحو الخلاص . وكان إحساسهم بالضعف قوياً لهذا كان بحثهم عن «يد تمتد إلى أسفل لترفعهم إلى أعلا» ، عن سلام لا يعلنه قيصر بل يعطيه الله . لم يوجد فى أى زمن عصر كهذا ،

تفتحت فيه قلوب الناس لتلقى رسالة الخلاص التى بشر بها مرسلو المسيحية .

إذاً لم يكن حادثاً عرضياً أن جاءت المسيحية فى الوقت الذى أتت فيه . إنها جاءت حسب أوقات الله الخاصة . وكل التاريخ لم يكن إلا إعداداً وتدريباً لمجيئها ، وكانت ظروف هذا الزمان تتلاءم تماماً لانتشار موجة الإيمان العارمة .

تابع وفىّ

نحن لا نعلم الكثير عن تيطس ، الذى كتبت له هذه الرسالة ، ولكن من الإشارات المبعثرة عنه ، تبدو لنا صورة شخص نال ثقة بولس الكاملة وكان أكثر معاونيه خدمة وعوناً له . دعاه بولس « ابنى الصريح » ، لهذا يعظم الاحتمال فى أنه نال الخلاص على يدى بولس ، وربما حدث ذلك فى أيقونية .

كان تيطس رفيقاً لبولس فى الظروف الصعبة . عندما ذهب بولس إلى أورشليم ، إلى كنيسة تشك فيه وتعرض وجهها عنه ؛ كان تيطس رفيقاً له مع برنابا (غلاطية ٢ : ١) .عندما كانت تسوء الحال مع بولس ، كان تيطس بجانبه .

وتيطس كان رجل المسئوليات الثقيلة . عندما بلغ الاضطراب فى كورنثوس أقصاه ، كان تيطس هو الرسول إلى كورنثوس ومعه أكثر رسائل بولس تعنيفاً وقسوة (٢ كورنثوس ٨ : ١٦) . ومن الواضح أن تيطس كان يملك من قوة المنطق وصلابة المعدن الكثير مما مكنه أن يواجه ويكيف هذه المواقف العسيرة . هناك نوعان من الناس . أناس يزيدون الأمور سوءاً وأناس يخلقون من الفوضى نظاماً ومن العداوة سلاماً . وتيطس كان الرجل الذى يوكل إليه الذهاب إلى المكان الملىء بالمتاعب .

وكان تيطس يملك موهبة فى الإدارة العملية . لهذا اختاره بولس لتنظيم عملية الجمع لفقراء كنيسة أورشليم (٢ كورنثوس ٨ : ٦ ، ١٠) . ويتضح أيضاً أن تيطس لم يكن يملك بلاغة اللسان ، ولكنه كان رجل الإدارة الحازم. وجدير بالكنيسة أن تشكر الله لأجل أولئك الذين نتوجه لهم كلما احتاج الأمر لأداء مأمورية بكفاءة .

وقد أطلق بولس على تيطس عدة ألقاب عظيمة فقد دعاه ابنه الصريح . ولا بد أن هذا يعنى أن تيطس قد عرف الإيمان من بولس وصار ابنه فى الإيمان (تيطس ١ : ٤) . لا شىء فى هذا العالم يمكن أن يعود على الواعظ والمعلم ببهجة أكثر من رؤية من تعلم وتدرب على يديه يؤدى الخدمة المفيدة للكنيسة . وكان تيطس هو الابن الذى أبهج قلب أبيه الروحى بولس .

ويدعوه بولس أخاه (٢ كورنثوس ٢ : ١٣) وشريكه فى العمل والجهاد (٢ كورنثوس٨ : ٢٣) . إنه يوم عظيم فى حياة خادم الله والراعى ذلك اليوم الذى يرى فيه ابنه ينمو فى الإيمان ليصير أخاه فى الإيمان ، ويصير من تعلم وتدرب وتغذى روحياً على يديه كفوءاً ليأخذ مكانه فى عمل الكنيسة ، لا كصبى بل كزميل .

ويذكر بولس عن تيطس أنه سلك بذات الروح الواحدة (٢ كورنثوس ١٢ : ١٨) . كان بولس يعلم أن تيطس سيتصرف فى الأمور كما لو كان هو نفسه الذى يتصرف . ما أسعد الإنسان الذى يجد له معاوناً يستطيع أن يسند إليه العمل ، واثقاً أن هذا العمل سيتم بالطريقة التى يرغب أن يتم بها .

ويعطى بولس لتيطس مأمورية ضخمة . فيرسله إلى كريت ليكون نموذجاً للمسيحيين الذين يعيشون هناك (تيطس ٢ : ٧) . وأعظم تقدير أداه

بولس لتيطس أنه لم يرسله إلى كريت ليكلمهم كيف يجب أن يكون المسيحى بل ليريهم كيف ينبغى للمسيحى أن يكون . ليس هناك أعظم من هذه المسئولية أو أعلا من هذا التقدير .

هناك فكرة طريفة . فى كلا من ٢ كورنثوس ٨ : ١٨ ، ٢ كورنثوس ١٢ : ١٨ ذكر أنه عندما أرسل تيطس إلى كورنثوس أرسل معه أخ آخر . وفى الجزء السابق وصف هذا الأخ بأنه « الأخ الذى عم الثناء عليه فى جميع الكنائس » . ويرجح عادة أن هذا الأخ هو لوقا ؛ وقيل إن تيطس أخ لوقا . من الحقائق الغريبة أنه لم يأت ذكر لتيطس فى أعمال الرسل ، ولكننا نعلم أن لوقا كتب « الأعمال » ، وأنه كثيراً ما استعمل فى قصته ضمير الشخص الأول فى المضارع ، فيقول : « نحن فعلنا هذا » أو « نحن فعلنا ذلك » — وقيل إنه فى هذه الأجزاء كان يشير إلى تيطس معه . ونحن لن نعرف مطلقاً حقيقة هذا الموضوع ، ولكن من المؤكد أن تيطس ولوقا فيهما تشابه عائلى من ناحية أن كليهما كان محباً للخدمات العملية .

وتحتفل الكنيسة الغربية بذكرى تيطس فى ٤ يناير ، والكنيسة الشرقية فى ٢٥ أغسطس .

شيخ الكنيسة

٥ مِنْ أَجْلِ هٰذَا تَرَكْتُكَ فِي كَرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ
تَرْتِيبَ ٱلْأُمُورِ ٱلنَّاقِصَةِ وَتُقِيمُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخاً
كَمَا أَوْصَيْتُكَ . ٦ إِنْ كَانَ أَحَدٌ بِلاَ لَوْمٍ بَعْلَ ٱمْرَأَةٍ
وَاحِدَةٍ لَهُ أَوْلاَدٌ مُؤْمِنُونَ لَيْسُوا فِي شِكَايَةِ ٱلْخَلاَعَةِ
وَلَا مُتَمَرِّدِينَ . ٧ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلْأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ
كَوَكِيلِ ٱللهِ غَيْرَ مُعْجِبٍ بِنَفْسِهِ وَلَا غَضُوبٍ وَلَا مُدْمِنِ
ٱلْخَمْرِ وَلاَ ضَرَّابٍ وَلاَ طَامِعٍ فِي ٱلرِّبْحِ ٱلْقَبِيحِ .

(تيطس ١ : ٥ - ٧)

سبق أن درسنا بتفصيل صفات الشيخ كما أفردها بولس فى ١ تيموثاوس ٣ : ١ — ٧ . لهذا ليس من الضرورى شرح هذه الصفات بتفصيل مرة أخرى.

كانت عادة بولس دائماً أن يرسم شيوخاً حالما تنشأ كنيسة (أعمال ١٤ : ٣)

وكانت هناك مدن كثيرة فى كريت — مما دعا هومر أن يطلق عليها « كريت ذات المائة مدينة » — وهذه الكنائس تحتاج لتنظيماتها وقادتها. وكان مبدأ بولس دائماً تشجيع وتدريب الكنائس الصغيرة التى أنشأها حتى تستطيع الوقوف والاعتماد على نفسها بأسرع ما يمكن .

فى هذه القائمة المعادة عن صفات الشيخ ، نجد تركيزاً خاصاً على شىء واحـــد .

يجب أن يكون الشيخ رجلا قام بتعليم وتدريب عائلته فى الإيمان . وقد وضع مؤتمر قرطاجنة أسس ذلك فيما بعد : « لا يرسم أساقفة أو شيوخ أو شمامسة لوظائف الكنيسة إلا بعد أن يجعلوا جميع أفراد عائلاتهم أعضاء فى الكنيسة الكاثوليكية » . المسيحية تبدأ فى البيت . وليس هناك فضيلة ما فى أن ينشغل الشخص فى خدمة عامة إلى درجة إهمال بيته وعائلته . ومجموع الخدمة فى الكنيسة فى العالم أجمع ليست بقادرة أن تكفر عن إهمال الشخص لعائلته .

يستعمل بولس كلمة تنبض بالحياة . يجب أن تكون عائلة الشيخ فوق مستوى الاتهام بالخلاعة والإسراف . والرجل المسرف هو الغير قادر على الاقتصاد ؛ هو شخص مبذر مسرف ينفق ماله على ملذاته الشخصية . وهى نفس الكلمة المستعملة فى لوقا ١٥ : ١٣ لتصف الحياة المسرفة التى عاشها الابن الضال . والشخص المسرف يضيع ماله وفى النهاية يدمر نفسه ، لأنه إنسان مبذر متلاف . وكانت عادة أرسطو ، أعظم أساتذة الأغريق ، أن يصف فضيلة ما بأنها الوسط السعيد بين حدين . وفى حالة هذه الكلمة مسرف فالوسط الصحيح هو السخاء ؛ وأحد الحدين هو البخل ، والحد الآخر هو الإسراف ، إسراف أنانى متلف . ولا يصح لعائلة الشيخ أن تلحق بها تهمة هذا المثال السيء ، الإسراف المتلف على ملذات شخصية .

كذلك ، لا يصح أن تكون عائلة الشيخ متمردة . فلا يوجد ما يعادل التقويم الأبوى . تربية الأطفال أساساً مسئولية الوالدين ، ولا يوجد شىء يستطيع أن يعوض عنها . ويقتبس فالكونر هذا القول عن عائلة سير توماس مور : « أنه يوجه عائلته بنفس الطريقة المهلة : ليس هناك مآسى ، أو

معارك . إذا شب خلاف ، يحل حالا . كل من فى البيت يعيش فى جو السعادة ولا يسمح لأحد بالدخول إلا إذا كان فى أفضل أحواله للزيارة » . وهكذا فإن ميدان التربية الحقيقية للشيخ تبدأ أولا فى البيت وتكمل فى الكنيسة .

ما يجب أن يمتنع عنه الشيخ

هنا موجز لبعض الصفات فى العدد السابع ، التى لا يجب أن تكون من صفات شيخ الكنيسة ، والتى يجب أن تخلو حياته منها . كل كلمة استعملت هنا كلمة حية . لندرسها واحدة بعد أخرى .

١ — غير معجب بنفسه . والكلمة تعنى حرفياً يسر نفسه ، ذلك الشخص الذى وصلت به درجة سروره بنفسه حداً يمنعه من أن يسر بأى شىء آخر ، ولا يهمه أن يبهج أى إنسان آخر . وصف تريش مثل هذا الرجل كما يأتى « أنه يصر بعناد على رأيه ، ويؤكد دائماً ما له من حقوق ، بينما لا يبالى بحقوق وآراء ومصالح الآخرين » وقد أفاض كتاب اليونان الأخلاقيون فى وصف هذه الصفة الخاطئة . فوصفها أرسطو ، الذى كانت الفضيلة بالنسبة له وسطاً بين حدين ، بأن أحد الحدين هو من يفرح كل الناس ، وأن الحد الآخر هو من لا يفرح أحداً ، وأن الوسط بينهما هو الشخص الذى يعيش حياته فى أنفة وكرامة صادقة . قال عن المعجب بنفسه إنه شخص لا يتحادث ولا يزامل أى إنسان آخر . ووصفه إيديموس بأنه « ينظم حياته دون احترام للآخرين ، بل إنه يحتقرهم » . ووصفه أوربيدس بأنه شخص « جاف قاس نحو زملائه لافتقاره إلى الثقافة » . وقال عنه فيلوديموس إن أخلاقه قد خالطها الغرور والعجرفة والاحتقار . غروره يجعله يقيم لنفسه تقييما عالياً ، واحتقاره يجعله يظن بالآخرين الضعة والمهانة ، أما عجرفته فتظهر فى تعامله مع نفسه

والآخرين حسب تقديره لهم . والواضح أن الشخص المعجب بنفسه ذو شخصية ثقيلة غير محببة . هو الشخص الذى لا احتمال لديه ، الذى يدين كل شىء لا يستطيع فهمه ، والذى يظن أنه لا توجد طريقة لعمل أى شىء إلا طريقته هو ، لا تهمه مشاعر الآخرين محتقراً لمعتقداتهم . مثل هذه الصفة ، كما قال عنها لوك « قاضية على حكم الأحرار » . ولا يليق بمن اتصف بهذا الاحتقار والعجرفة أن يكون شيخاً فى الكنيسة .

٢ ــ لا يجب أن يكون رجلا غضوباً . وهناك كلمتان يونانيتان للغضب. الأولى تأتى من أصل يفيد معنى الغليان . أو الغضب الذى يلتهب سريعاً ، ثم حالا ينطفئ ، كنار فى قش . والثانية تعنى غضباً راسخ الجذور . ليس هو الغضب الملتهب فجأة ، بل هو الغيظ الكامن الذى يرعاه صاحبه فلا يبرد . إن شعلة من الغضب حادث غير سعيد ، ولكن ما هو أكثر سوءاً هو ذلك الغضب الكامن ، الذى يعيش طويلا تغذيه فى الداخل الكراهية وتنفث فيه سمومها . والشخص الذى يحفظ فى قلبه مثل هذا الغضب الذى لا يموت ضد أى إنسان آخر غير جدير بحمل أى وظيفة فى الكنيسة .

٣ ــ لا يجب أن يكون مدمناً للخمر . والكلمة اليونانية هى مدمن للخمر . ولكن اتسع استعمال الكلمة لتشمل كل سلوك مشين . فمثلا ، استعملها اليهود لوصف سلوك رجال اليهود الذين يتزوجون من نساء من ميديان ؛ واستعملها المسيحيون فى وصف سلوك من صلبوا المسيح . والكلمة تصف أخلاق الشخص الذى يسلك ، حتى فى لحظات صفوه ، بدون ضبط للنفس ، وبنفس السلوك المزرى للمترنح سكراً .

٤ ــ لا يجب أن يكون ضراباً . ويبدو أنه ظهر فى الكنيسة الأولى بعض الأساقفة بلغ من شدة غيرتهم على الكنيسة أن تولوا تأديب الأعضاء المخطئين

من شعب الكنيسة بالعنف البدنى ، لأن قانون الرسل نص على ما يلى « تأمر بعزل أى أسقف يعتدى بالضرب على عضو مخطىء » . ويقول بلاجيوس : « لا يستطيع أن يضرب أى فرد من تلاميذ المسيح الذى ، إذا ضرب ، لم يرد بالضرب » . وقد وسع اليونانيون معنى هذه الكلمة لتشمل ، إلى جانب التعنيف البدنى ، عنف الكلام وصار معنى الكلمة الرجل الذى يرهب بالصياح الآخرين ، وربما كان من الأفضل ترجمتها بهذا المعنى الأخير هنا . الشخص الذى يترك المحبة ويركن إلى العنف فى التصرف أو فى الحديث غير جدير بأى وظيفة فى الكنيسة المسيحية .

٥ ـ **لا يجب أن يكون طامعاً فى ربح قبيح** . وهو الشخص الذى لا يهمه كيف يحصل على المال طالما أنه يحصل عليه . وقد تصادف أن هذه الصفة القبيحة اشتهر بها الكريتيون . فقد ذكر بوليبوس « أنهم اعتادوا الحصول على المال بكل الطرق المشينة . حتى أصبح أى نوع من الكسب حلالا مقبولا لدى الكريتيين وحدهم دون الناس أجمعين » . وذكر عنهم بلوتارك أنهم يلتصقون بالمال كالتصاق النحل بالعسل . احتسب الكريتيون الكسب المادى فوق كل أمانة أو شرف ؛ ولم يهمهم ما يكلفهم الحصول على المال . أما المسيحى فيعلم أن هناك أشياء تكلف كثيراً جداً . والشخص الذى يتركز غرضه الوحيد فى الحياة على تكديس الماديات ، دون اعتبار كيف يحصل عليها ، شخص غير جدير بحمل أى مسئولية فى الكنيسة المسيحية .

ما يجب أن يكونه الشيخ

٨ بَلْ مُضيِفاً لِلْغُرَبَاءِ مُحِبًّا لِلْخَيْرِ مُتَعَقِّلاً بَارًّا وَرِعاً ضَابِطاً لِنَفْسِهِ ٩ مُلاَزِماً لِلْكَلِمَةِ ٱلصَّادِقَةِ ٱلَّتِي بِحَسَبِ ٱلتَّعْلِيمِ لِكَيْ يَكُونَ قَادِراً أَنْ يَعِظَ بِٱلتَّعْلِيمِ ٱلصَّحِيحِ وَيُوَبِّخَ ٱلْمُنَاقِضِينَ .

تيطس ١ : ٨ ، ٩

شرح الجزء السابق الأمور السلبية التي يجب أن يتحاشاها الشيخ ، وفي هذا الجزء نجد الأمور التي يجب أن يتحلى بها . هذه الصفات الضرورية تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

١ ــ أولا ، هناك الصفات التي يجب أن يظهر بها شيخ الكنيسة أمام الآخرين . إذ يجب أن يكون مضيفاً للغرباء . الكلمة اليونانية تعني حرفياً محب للغرباء . في العالم القديم كان هناك دائماً أناس في حركة انتقال مستمرة . وقد اشتهرت فنادق ذلك الزمان بأسعارها الفاحشة ، وقذارتها ، وسمعتها المشوهة . لذلك كان من الضروري أن يجد المسيحي المسافر بيتاً مفتوحاً في المجتمع المسيحي . وحتى يومنا هذا ، أكثر الناس احتياجاً للشركة المسيحية هو الغريب في بلد غريب .

والمعنى الثاني إما محب للأشياء الطيبة أو محب للناس الخيرين ، واستعملها

أرسطو بمعنى غير أنانى ، أي محب لأعمال الخير . ولا يتطلب الأمر منا الاختيار بين هذه المعانى الثلاثة ، فكلها تشتمل عليها الكلمة . والشيخ المسيحى له قلب يستجيب للخير مع أى إنسان ، فى أى مكان ، وفى أى عمل يصادفه .

ثانياً ، تأتى مجموعة من الصفات التى يجب أن يتحلى بها الشيخ المسيحى فى شخصه . يجب أن يكون متعقلا هذا التعقل أجمل عطية من الآلهة للناس . . ويصفها فيلسوف بأنها تلك الروح التى تجتنب الشر ، ليس فقط عندما يكون هذا الشر جاياً للعيان ، بل وحين يكون هذا الشر خافياً . وعرفها ترنش بأنها « التحكم الكامل فى العواطف والرغبات ، حتى لا يسمح لها إلا بما يوافق القانون والمنطق السليم » . وهى الصفة التى تنطبق على الشخص الذى « له أفكار منجية » . وعلى حامل الوظيفة فى الكنيسة أن يستعمل بحكمة ويضبط كل غريزة وكل عاطفة فى كيانه . يجب أن يكون عادلا . وعرف اليونانيون الرجل العادل بأنه ذلك الذى يعطى للناس وللآلهة ما يحق لهم . وشيخ الكنيسة هو من يعطى للانسان احترامه ولله الوقار الذى يستحقه .

يجب أيضاً أن يكون ورعاً ، وهى كلمة يونانية صعبة الترجمة ، لأنها تصف الرجل الذى يوقر المبادىء الكريمة فى الحياة ، تلك الأمور التى تسمو فوق كل قانون أو تنظيم صنعه الإنسان . يجب أن يكون ضابطاً لنفسه . وهى صفة الشخص الذى تمكن من التحكم فى نفسه تحكماً كاملا . من يود خدمة الآخرين يجب أن يكون سيداً لنفسه أولا .

وأخيراً ، تأتى مجموعة من صفات شيخ الكنيسة داخل الكنيسة . يجب أن يكون قادراً على تشجيع أعضاء الكنيسة . ينص قانون البحرية على أن لا يثبط أى ضابط من عزيمة ضابط آخر أثناء تأدية وظيفته . فوظيفة المعلم والواعظ المسيحى الصادقة ليست دفع الإنسان نحو اليأس بل توليد

الرجاء فيه ، ويجب أن يكون قادراً أن يحاسب مناقضى الإيمان . والكلمة اليونانية كلمة غزيرة المعانى . فهى تعنى توبيخ شخص بطريقة تسمح له برؤية الخطأ والاعتراف بخطأ تصرفه . ويقول ترنس أنها تعنى « أن توبخ آخر ، بصورة تنصر الحق وتقنع الإنسان بادانة هذا الخطأ على الأقل دون الاضطرار للاعتراف » .

وقال ديموثينوس أنها تصف الموقف الذى يبرهن فيه الشخص على صدق ما قاله دون نقض — وقال أرسطو أن الكلمة تعنى أن نثبت أن الأشياء لا يمكن أن تكون خلاف ما أعلناه . والتوبيخ المسيحى ليس مجرد تعنيف أو لوم . فهو أكثر من توجيه بعض الكلمات الغاضبة وإدانة الشخص فهو يعنى أن نكلم الشخص المخطئ بطريقة تجعله يرى خطأ سلوكه ويتقبل الحق . فهدف التوبيخ المسيحى ليس تحقير الشخص ، بل تمكينه أن يرى ويدرك ويعترف بالواجب والحق الذى أغمض عنه عينيه أو عصاه .

معلمو كريت الزائفون

١٠ فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ
وَيَخْدَعُونَ الْعُقُولَ وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ مِنَ الْخِتَانِ ١١ الَّذِينَ
يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَقْلِبُونَ بُيُوتاً بِجُمْلَتِهَا
مُعَلِّمِينَ مَالاَ يَجِبُ مِنْ أَجْلِ الرِّبْحِ الْقَبِيحِ .

تيطس ١ : ١٠ ، ١١

لدينا هنا صورة للمعلمين الزائفين الذين أثاروا الشغب فى كريت : ويبدو أن أسوأهم كان من اليهود . فقد حاولوا إقناع المسيحيين فى كريت بأن قصة يسوع البسيطة والصليب غير كافية ، وأنه لكى تكمل لهم الحكمة ، يحتاجون لمعرفة كل القصص المعقدة ، والأنساب الطويلة ، والتشبيهات المحبوكة التى أبتدعها معلمو اليهود : ثم يحاولون إفهامهم أن النعمة وحدها لا تكفى ، وأنهم ، لكى يكمل لهم الصلاح ، فى حاجة لتدريب أنفسهم فى كل القواعد والتنظيمات اليهودية التى تختص بالطعام والغسيل . وخطورة هؤلاء المعلمين الكذبة تتلخص فى أنهم حاولوا إقناع المؤمنين الجدد بأن المسيح وحده لا يكفى ، والنعمة وحدها لا تكفى وأنهم المذلك فى حاجة إلى أمور أخرى كثيرة لكى يخلصوا . كانوا من المثقفين الذين بدا لهم صدق الله بسيطاً لدرجة عدم تصديقه :

لنتأمل سريعاً فى خصائص هؤلاء المعلمين الزائفين .

كانوا متمردين ؛ كجنود عصاة رفضوا إطاعة الأوامر الصادرة إليهم . رفضوا قبول مشورة الكنيسة ، رفضوا قبول عقيدة الكنيسة ؛ ورفضوا قبول إشراف الكنيسة . نعم ، لم تسع الكنيسة لتفرض على الناس إيماناً جامداً متطابقاً ، كما أنها لم تطلب منهم التخلى عن عقولهم لكى تقوم بالتفكير عوضاً عنهم ؛ ولكن هناك أموراً معينة يتحتم على الشخص الإيمان بها لكى يصير مسيحياً ، وأعظم هذه الأمور كفاية المسيح الكاملة . عندما يعبث إنسان بهذه الحقيقة ، يجب أن تسد الكنيسة فمه . حتى فى الكنيسة البروتستانتية ، لم تلغ الطاعة .

كانوا يتكلمون بالباطل ؛ وتعنى كلام فارغ ، بلا فائدة ، صفة كانت تطلق على عبادة الأوثان . والفكرة الأساسية فيها أنها عبادة لا تنتج خيراً فى الحياة . كان هؤلاء الناس فى كريت يتكلمون بطلاقة وزلاقة ، ولكن كل كلامهم لم يكن له تأثير فى تقدم أى شخص خطوة واحدة نحو الصلاح . وقد اعتاد الفلاسفة الكلبيون على القول بأن المعرفة التى لا تنمى الفضيلة معرفة فارغة باطلة . والمعلم الذى يزود تلاميذه بصورة مسلية للبحث العقلى والنظرى فقط إنما يعلم باطلا .

كانوا يخدعون العقول ، فبدلا من أن يقودوا الناس إلى الحق ، قادوهم إلى الباطل . وبدلا من تثبيت الناس فى الإيمان ، فتنوا ببطىء فى هذا الإيمان .

قلبت تعاليمهم بيوتاً بجملتها . نلاحظ هنا أمرين . أولا ، أن التعاليم كانت أساساً لقلب الحق . صحيح أن الحق قادر بأن يدفع الإنسان أن يعيد النظر فى صحة آرائه . وصحيح أن المسيحية لا تهرب أمام الشكوك والأسئلة التى تثار ، ولكنها تواجهها فى عدالة وشجاعة وصحيح أن الحق يمسك بالإنسان ويهزه بعنف ؛ ولكن التعليم الذى لا يهدف إلا إلى إثارة الشكوك والاستفهامات

المغرضة تعليم سيء . التعليم الأمين يوجه العقل الغير مرتب نحو يقين أعظم . ثانياً ، كان هذا التعليم يقلب بيوتاً . وبمعنى آخر كان للتعليم تأثير سيء على الحياة العائلية . وكل تعليم يتجه لهدم العائلة تعليم زائف . لأن الكنيسة المسيحية مؤسسة دائماً على العائلة المسيحية .

كانت تعاليمهم للحصول على الربح كان اهتمامهم منصباً أساساً على مقدار ما يستطيعون أن يحصلوا عليه من أولئك الذين يعلمونهم لا على مقدار ما يستطيعون إفادتهم به فى التعليم . ويقول بارى أن هذا كان دائماً الإغراء المحدق بالمعلم المحترف . عندما يعتبر المعلم أو المبشر عمله مهنة الغرض منها التقدم الشخصى والربح الشخصى ، يكون قد عبر إلى مواطن بخطرة .

هناك أمر أخير فى هذا الجزء يجدر أن نلاحظه . كان يجب **سد أفواه** هؤلاء الناس . ولا يعنى هذا إسكاتهم بالعنف أو الاضطهاد . الكلمة اليونانية المستعملة تعنى سد الفم ، ولكنها استخدمت لتعنى إسكات الشخص بالمنطق . لكى نحارب تعليما زائفاً علينا أن نقدم تعليما صحيحاً ، والتعليم الصحيح الوحيد الذى لا يمكن مناقشته هو تعليم الحياة المسيحية .

سمعة رديئة

١٢ قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . وَهُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ خَاصٌّ ٱلْكَرِيتِيُّونَ دَائِماً كَذَّابُونَ وُحُوشٌ رَدِيَّةٌ بُطُونٌ بَطَّالَةٌ .

تيطس ١ : ١٢

فى العالم القديم ، لم يفق شعب الكريتيين فى سوء السمعة وكان العالم القديم يتندر بثلاث بلاد تبدأ بالكاف لا مزيد على شرورها – أهل كريت ، وأهل كليلة وأهل كبدوكيه . واشتهر الكريتيون بالسكر ، والاحتقار ، والخيانة ، والكذب والشراهة .

وصار جشعهم وبخلهم مضرباً للأمثال . قال بوليبيوس ، « بالنسبة لبخلهم المتأصل فيهم ، يعيش الكريتيون فى شجار دائم ومعارك عامة مستمرة . . . . ومن الصعب أن تصادف أخلاقاً تفوق الكريتيين فى الغش والخديعة ، وهم يقدرون المال أكثر من أى أمر آخر ، حتى أصبح امتلاكه ضرورة لازمة بل أمر مستحسن جداً ، وصار الجشع والبخل طبيعة ثانية لهم للدرجة أنهم أصبحوا الشعب الوحيد فى العالم الذى لا يجد عاراً فى أى وسيلة يتحصل بها على الربح » .

ويحكى عن ميثاق معين أمضاه خائن كريتى اسمه بوليس مع زعيم كريتى اسمه كامبيلوس يمكنهما معاً من الاستفادة سوياً والنجاة معاً دون اهتمام بمن يتعرض للخطر ، أو أى اعتبار للشرف نحو أولئك الذين وثقوا فيهم وأسلموهم قيادة الأمر . كانت الخيانة تجرى فى دماء الكريتيين .

وقد بلغ احتقار اليونانيين لأهل كريت درجة أنهم ابتدعوا فعلا يعنى أن يصير الإنسان كريتياً ويعنى يكذب ويغش ؛ الجملة التى يكتبها بولس لتيطس أصلها اقتباس من شاعر يونانى إسمه Epimenides عاش حوالى عام ٦٠٠ قبل الميلاد وكان يعد واحداً من السبعة الحكماء فى اليونان . الجملة الأولى « الكريتيون دائماً كذابون » اشتهرت باستعمالها فيما بعد على لسان شاعر معروف آخر اسمه Callimachus . كان هناك فى كريت نصب دعى « قبرزيوس » ، وبطبيعة الحال حيث أنه لا يمكن لكبير الآلهة أن يموت ويدفن فى قبر ، فقد اتخذ Callimachus من هذه الواقعة برهاناً كافياً على كذب الكريتيين . وفى ترنيمة لزيوس يكتب :

« الكريتيون كذابون دائماً

فقد بنوا قبراً ، أيها الملك

ودعوه قبرك ، ولكنك لا تموت

فحياتك أبدية »

كان الكريتيون يشتهرون بالكذب ، والغش ، والشراهة ، والخيانة . وفى هذا الوضع الفاسد يتضح لنا أمر عجيب . كان بولس يعرف هذا . واختبره فعلا ولكنه لم يقل لتيطس « اتركهم لأنفسهم . فأمرهم مفروغ منه وكل الناس يعرفون ذلك » . بل قال « أنهم أردياء ، وكل الناس تعرف عنهم ذلك . أذهب وحولهم إلى المسيحية » . يوجد القليل من هذه الكتابات التى تكشف عن التفاؤل الإلهى للرسالة المسيحية وللتبشير المسيحى التى ترفض اعتبار أى شخص ميئوساً منه . إذا تعاظم الشر ، تعاظم التحدى . وهو إيمان مسيحى لأنه لا توجد خطية مهما عظمت لا تستطيع نعمة يسوع المسيح أن تواجهها وتهزمها .

طاهر القلب

١٣ هٰذِهِ ٱلشَّهَادَةُ صَادِقَةٌ . فَلِهٰذَا ٱلسَّبَب وَبِّخْهُمْ
بِصَرَامَةٍ لِكَيْ يَكُونُوا أَصِحَّاءَ فِي ٱلْإِيمَانِ ١٤ لاَ يَصْغُونَ
إِلَى خُرَافَاتٍ يَهُودِيَّةٍ وَوَصَايَا أُنَاسٍ مُرْتَدِّينَ عَنِ ٱلْحَقِّ .
١٥ كُل شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ وَأَمَّا لِلنَّجِسِينَ وَغَيْرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِراً بَلْ قَدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُمْ أَيْضاً
وَضَمِيرُهُمْ . ١٦ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ ٱللهَ وَلٰكِنهُمْ
بِٱلْأَعْمَالِ يُنْكِرُونَهُ إِذْ هُمْ رَجِسُونَ غَيْرُ طَائِعِينَ وَمِنْ
جِهَةِ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ مَرْفُوضُونَ .

تيطس ١ : ١٣ – ١٦

أكثر ما يميز الدين اليهودى آلاف القواعد والتنظيمات . وعندماانضمت اليهودية والغنوسية سوياً ، صار الجسد نفسه غير نظيف ، وحسب الزواج والغرائز الطبيعية للجسد شراً . والنتيجة الحتمية لذلك أن قوائم طويلة من هذه الخطايا كانت تظهر باستمرار . أصبح شراً أن تلمس هذا أو ذاك ؛ وأصبح شراً أن تأكل هذا أو ذاك من الطعام ؛ وأصبح الزواج وإنجاب الأطفال فى النهاية شراً . الأشياء الصالحة فى طبيعتها صارت نجسة ملوثة . هذا

النوع من التفكير نجح فى تحويل الأشياء التى لا ضرر منها إلى خطايا ، وكلما زادت القوانين والتنظيمات طالت قوائم الخطايا .

لهذا يضرب بولس هذا المثل العظيم — كل شىء طاهر للطاهرين وقد سبق أن ذكر هذا وبتحديد أكثر فى رومية ١٤ : ٢٠ . إلى كل هؤلاء المنشغلين بنظافة أو عدم نظافة هذه الأطعمة قال بولس «كل الأشياء طاهرة » وربما لم تكن هذه الجملة مثلا فقط ، بل ربما كانت أحد أقوال يسوع . عندما تكلم يسوع عن هذه القوانين والتنظيمات اليهودية التى لا نهاية لها ، قال : « ليس شىء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه : لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان » (مرقس ٧ : ١٥) .

الفرق كله فى قلب وعقل الإنسان . لو كان طاهر القلب ، صارت كل الأشياء طاهرة بالنسبة له . لو كان غير طاهر القلب ، فإنه ينجس كل شىء يفكر فيه أو يتكلم عنه أو يلمسه . كان هذا فى الحقيقة مبدأ تغنى به كل الكتاب العظماء . قال هوراس « إذا لم يكن الإناء نقياً ، تلوث أى شىء تضعه فيه » . وقال سنيكا « كما أن المعدة المريضة تغير كل الطعام الذى يصلها ، هكذا العقل المظلم يحول كل شىء يوكل إليه إلى ثقل عليه لتحطيمه . لا شىء يمكن أن يجد فيه الأشرار خيراً لهم ، لا شىء يمكن أن يحدث لهم دون أن يؤذيهم فعلا . فهم يغيرون كل ما يلمسهم إلى طبيعتهم الخاصة . وحتى الأمور المربحة لغيرهم تصير ضارة ومؤذية لهم » . ذو العقل الملوث يجد فى كل الأشياء إتساخاً . يستطيع أن يجعل من أجمل الأشياء بؤرة قذارة ، ويرى فى الحركة البريئة قذارة وسوء نية . ولكن من له قلب طاهر يجد كل الأشياء طاهرة . إنه من الأمور الفظيعة أن تحط هذه الغلالة من القذارة والتلوث على عقل الإنسان .

قيل عن هؤلاء الناس أن عقولهم وضمائرهم قد تلوثت . القرارات التى يتخذها الشخص والنتائج التى يصل إليها إنما ترتكن على ملكتين . ملكة العقل ليفكر فى الأمر ، وملكة الضمير ليستمع إلى صوت الله . ولكن لو كان عقله قد التوى وغلفته هذه الغلالة من العمى بحيث يرى النجاسة فى كل مكان وإذا كان ضميره قد أظلم وفقد إحساسه باستمرار ممارسته للشر ، فإنه لا يستطيع أن يتخذ قراراً جيداً بأى حال من الأحوال .

يجب على الإنسان أن يحتفظ بثوب براءته الأبيض دون تلطيخ أو بقع . لو سمح للقذارة أن تغشى عقله ، فان رؤيته لجميع الأشياء تكون خلال سحابة من القذارة . وسيلوث عقله كل فكرة تدخل إليه ، ويحول خياله كل صورة تمر به إلى شهوة ؛ سيسيء فهم كل دافع ؛ ويجد فى كل قول معنيين ؛ وسيعجز عن أن يرى العالم إلا خلال القذارة التى تخيم على عقله . ولكى نهرب من هذه القذارة يجب أن نسير دائماً فى صحبة يسوع المسيح المطهرة .

حياة قبيحة لا فائدة فيها

عندما يصل إنسان إلى هذه الحالة من النجاسة ، فإنه يعرف الله نظرياً ، ولكن حياته تعلن إنكاره لمعرفة الله . نستخلص هنا ثلاثة أشياء عن مثل هذا الشخص .

١ ـ هو رجس منفر . والكلمة اليونانية كانت تستعمل غالباً عن الآلهة الوثنية والمنحوتات . اشتقت منها كلمة تعنى شيئاً بغيضاً مقيتاً . هناك شيء منفر بغيض فى إنسان فضولى ، متطفل ذو تفكير سمج فاضح ، يتندر دائماً بنكات خارجة وحركات تنم عن نجاسة متأصلة فيه . كما أن هناك بساطة وجمال طبيعى فى الطهارة الخالصة ؛ بينما يحل الشعور بالتقزز والنفور وجود ما هو ملوث قذر نجس .

٢ ـ هو عاص غير مطيع : مثل هذا الشخص لا يستطيع أن يطيع مشيئة الله . فضميره مظلم ، بحيث يعجز عن سماع صوت الله ، فما بالك بإطاعته . وقد جعل نفسه غير لائق لأى مهمة . مثل هذا الشخص لا يملك إلا تأثيراً شريراً رديئاً ، وهكذا لا يليق أن يكون أداة فى يد الله لتحقيق أغراضه .

٣ ـ أى أنه صار بلا فائدة لله أو للناس والكلمة المستعملة لتعنى بلا فائدة تصف عملة مزيفة وزنها أقل من الوزن القياسى . وتستعمل فى وصف جندى جبان فشل ساعة امتحانه فى المعركة . وتستعمل عن شخص رفض من الحصول

على مركز عال ، شخص رأى فيه المواطنون أنه غير مفيد ولا قيمة فيه . وتستعمل عن حجر رفضه البناؤون . عندما يلاحظ عيب فى الحجر ، توضع عليه حرف غ أى غير صالح ، ويترك جانباً أن امتحان الحياة الأعظم هو مقدار الفائدة من الحياة ، والشخص الذى لا يملك من التأثير إلا الشر والفساد لا فائدة منه لله أو للناس . فهو لا يعين عمل الله فى العالم ، بل يتصدى له ؛ وما لا يفيد يضر .

الأصحاح الثانى

الخلق المسيحى

(١) الشيوخ

١ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكَلَّمْ بِمَا يَلِيقُ بِٱلتَّعْلِيمِ ٱلصَّحِيحِ.
٢ أَنْ يَكُونَ ٱلْأَشْيَاخُ صَاحِينَ ذَوِي وَقَارٍ مُتَعَقِّلِينَ أَصِحَّاءَ فِي ٱلْإِيمَانِ وَٱلْمَحَبَّةِ وَٱلصَّبْرِ.

تيطس ٢ : ١ ، ٢

هذا الإصحاح بأكمله يعالج موضوعات يمكن أن تدعى « **الخلق المسيحى فى العمل** » فهو يقسم الناس بالنسبة إلى أعمارهم ومراكزهم ويضع عليهم ما يجب أن يكونوا عليه فى العالم . والإصحاح يبدأ بالشيوخ .

يجب أن يكونوا **صاحين** — والصحو عكس **من الإفراط فى شرب الخمر** . والنقطة المقصودة هنا أن الإنسان عندما يبلغ سن الشيخوخة ، يجب أن يكون قد أدرك ما هو الغث من السمين ، والفرق بين الفرح الحقيقى الصادق والمتعة الزائفة الباطلة . يجب أن يكون قد تعلم معنى القيم الحقيقية ، وأن يكون قادراً على تقييم متعة بقيمتها الحقيقية . يجب أن يكون الشيخ قد وصل إلى إدراك أن ملذات الإفراط تكلف أكثر مما تعطى .

يجب أن يكونوا **ذوى وقار** (جادين) — وهى صفة تصف السلوك الجدى الرزين فى الطريق الصواب . وهى لا تصف تصرفات الشخص الحزين المبتئس ، ولكنها تصف الرجل الذى يعرف أنه يعيش فى ظل الأبدية

وأنه سيغادر مجتمع الناس إلى مجتمع الله . قبل مضى وقت طويل . الرجل الوقور هو من يقول لنفسه دائماً « يا الله أنت ترانى » .

يجب أن يكونوا **متعقلين** ، وهى تصف الرجل المتحكم فى كل أموره . بمضى السنين ، يجب أن يكون الشيوخ قد حصلوا على قوة العقل المنقذة المطهرة التى أدركت كيف تحكم كل غريزة وكل شعور ، حتى يأخذ كل منها مكانه المناسب ، ولا أكثر من المكان المناسب .

وإذا أخذنا الثلاث صفات معاً فإنها تعنى أن الشيخ قد تعلم ما يمكن أن يسمى **« وقار الحياة »** . يمكن التغاضى عن بعض التهور وعدم الاستقرار والطيش الذى نصادفه فى الشباب ، ولكن مع المسن يجب أن نجد الحكمة . ومن مآسى الحياة أن نصادف رجلا فى خريف العمر وهو لم يتعلم بعد شيئاً من السنين .

بالإضافة إلى ما سبق ، هناك ثلاث صفات عظيمة يجب أن يكون فيها الشيخ كامل الصحة .

يجب أن يكون **صحيحاً فى الإيمان** . لو عاش الشخص فى قرب حقيقى من المسيح ، فإن مضى السنين وتجارب الحياة تقوى أواصر هذا الإيمان وتنميه . فتعلم المسنين يجب أن يقودنا إلى ثقة أوثق بالله لا إلى إضعاف هذا الإيمان .

يجب أن يكون **صحيحاً فى المحبة** . ربما كان أخطر ما يحدث فى خريف العمر انحراف نحو النقد القاسى ، واللوم وإظهار العيوب فى الآخرين . أحياناً تأخذ منا السنين رقة المشاركة والشعور . ومن الاحتمالات المخيفة التى يمكن أن يصل إليها الشيخ أن يصبح شديد الإيمان والثقة بطرقه وأفكاره لدرجة أنه يمقت أو يحقد — لاشعورياً — على كل أفكار جديدة أو طرق جديدة .

ولكن يجب أن تأتى السنين بمزيد من الاحتمال والتعاطف مع آراء وأخطاء الآخرين :

يجب أن يكون صحيحاً فى الصبر . يجب أن تعطى السنون مرونة للرجل كالمرونة التى تعطى للصلب بالسقى ؛ حتى يستطيع أن يتحمل أكثر فأكثر ، فينبثق أكثر انتصاراً على الحياة . فى طبيعة الأشياء يجب أن تزداد ضعفاً فى الجسد ، ولكن فى القصد الإلهى يجب أن تزداد عمقاً فى الإيمان الذى يستطيع الصمود لسهام الحياة ونبالها بلا فشل .

الخلق المسيحي

(٢) العجائز

٣ كَذٰلِكَ ٱلْعَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِٱلْقَدَاسَةِ غَيْرَ ثَالِبَاتٍ
غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ ٱلْكَثِيرِ مُعَلِّمَاتٍ ٱلصَّلَاحَ ٤ لِكَيْ
يَنْصَحْنَ ٱلْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ
أَوْلَادَهُنَّ ٥ مُتَعَقِّلَاتٍ عَفِيفَاتٍ مُلَازِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ صَالِحَاتٍ
خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ لِكَيْ لَا يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ ٱللهِ .

تيطس ٢ : ٣ – ٥

من الواضح أنه فى الكنيسة الأولى كان للسيدات المسنات وضع مشرف ومسئولية هامة . ويقص علينا براون – المرسل إلى الهند ، والذى عرف المجتمع الهندى الإنجليزى ، قصة طريفة . رجع أحد أصدقائه فى أجازة إلى انجلترا وسئل هناك : « ما أكثر ما تحتاج إليه فى الهند ؟ » أجاب بسرعة « الجدات » . فى تلك الأيام كان عدد المسنات فى المجتمع الهندى الإنجليزى أقلية ، لأن كل الموظفات فى خدمة الحكومة كن يتركن الهند ويعدن إلى انجلترا بعد انتهاء مدة خدمتهن فى سن صغيرة نسبياً ، والنتيجة عدم وجود سيدات مسنات تقريباً ، وبلغ الاحتياج لهن درجة حرجة . ويقول براون : « يلعب العجائز دوراً هاماً جداً فى المجتمع . ولا يستطيع أحد أن يقدر ضخامة هذا الدور ، حتى يشاهد حياة اجتماعية خلت تقريباً من وجودهن . الجدات الرقيقات . هن الناصحات الطبيعيات للأحداث من الجنسين » . من الحق أن

يقال أن العجائز اللاتى اكتسبن من سنى العمر الطويلة جمال الخلق وهدوء الطبع ، ورقة الإحساس ، وحساسية الفهم لهن دور هام يلعبنه فى حياة الكنيسة وحياة المجتمع ، دور يخصهن ولا يصلح له غيرهن .

وضعت هنا الصفات التى يتحلين بها . صفات تليق بمن يعمل فى أمور مقدسة وكما قيل : « أنهن يسلكن فى الحياة اليومية ككاهنات المعبد » وكما وصفها اكليمندس السكندرى : « يجب أن يحيا المسيحى كما لو كانت كل حياته مجموعة مقدسة » . ومن السهل رؤية الفرق الذى يحدث فى سلام وشركة الكنيسة ، لو تذكرنا دائماً عند كل اجتماع لجنة ، وعند كل نشاط من نشاطات الكنيسة ، أننا نقدم على عمل مقدس . فمعظم المناقشات الحادة المريرة ، وسرعة الغضب وحدة الطبع التى كثيراً ما غلبت على هذه النشاطات ستختفى قبل أن تبدأ .

يجب أن لا يروجن الإشاعات الثالبة . إن فى القيل والقال قسوة غير واعية . إحدى الصفات الغريبة فى الطبيعة البشرية تلذذ معظم الناس بالإستماع إلى قصة حقد وخبث وإعراضهم عن قصة مديح وثناء لواحد من الناس . من الأفضل أن لا نتقول على أحد بسوء إذا لم نجد شيئاً طيباً يقال عنه .

يجب أن تقوم العجائز بتدريب وتعليم الصغيرات . هناك البعض الذى يستعمل خبرته فى تثبيط همة الآخرين . فيبدو أن كل ما نالوه من هذه الخبرة هو كيف يصبون الماء البارد على مشروعات وخطط وأحلام الآخرين ، وأن كل ما تعلموه على مدى السنين مضاعفة عدد المستحيلات . لكن الواجب المسيحى هو استعمال ما لدى الإنسان من خبرة فى توجيه وإرشاد وتشجيع الآخرين ، لا تعجيزهم وتثبيط همتهم .

الخلق المسيحى

(٣) الحدثات

فى هذا الجزء يوجد ما هو موقت وما هو مستديم

كانت السيدة المحترمة فى اليونان قديماً تحيا حياة كاملة العزلة ، لها جناحها الخاص فى المنزل ونادراً ما تغادره ، حتى ولو كان ذلك لتناول الطعام مع رجال العائلة ؛ ولم يكن مسموحاً لأحد إلا زوجها فقط ، بزيارة هذا الجناح لا تحضر مطلقاً أى اجتماعات عامة ؛ ونادراً ما تظهر فى الشارع ، وإذا حدث ذلك مرة فلا يكون بمفردها أبداً وفى الحقيقة قيل أنه لا توجد وسيلة شريفة أمينة يمكن أن تعيش بها امرأة يونانية . فلا يوجد باب مهنى أو تجارى مفتوح لها ، وإذا حاولت أن تكسب عيشها ، ستدفع دفعاً إلى البغاء . والنتيجة الحتمية لانطلاق سيدات الكنيسة الأولى وتحطيمهن كل الحواجز والحدود التى فرضت عليهن مدى قرون عديدة ، كان مجلبة العار للكنيسة ، وإيجاد سبب كاف للناس لاتهام المسيحية بأنها أفسدت المرأة . ووصف الحياة الذى يعطى هنا يفيد بأنها حياة ضيقة محدودة ولكن يجب أن يقرن هذا الوصف بالخلفية المعاصرة له ، وأن يفهم فى ضوء حياة المدينة الكبيرة . فى هذا الشأن يعتبر هذا الجزء وقتى .

ولكن هناك أيضاً ما يفيد معنى الدوام . وهو الحقيقة البسيطة أنه لا يوجد فى هذا العالم ما يفوق عمل ومسئولية وامتياز إدارة بيتها . ولا شك أن الواجبات الكثيرة الثقيلة المتكررة فى الاعتناء بالبيت والأطفال تدفع الكثيرات للشكوى ، « آه لو كنت أنتهى من كل هذه الأمور ، لكنت أعيش حياة تقية صادقة » وفى الحقيقة لا يوجد مكان أفضل من البيت لمتابعة حياة تقية صادقة .

وفى نهاية الأمر لا يمكن أن تكون هناك مهنة أعظم من إدارة البيت : كم رجلا عظيما استطاع أن يترك بصماته على العالم لأنه وجد فى البيت من يعتنى به ويحبه ويستجيب لاحتياجاته . أن تلازم الأم بيتها لتضع أطفالها فى الفراش. وتستمع لصلواتهم أهم بما لا يقاس من حضور جميع الاجتماعات العامة واجتماعات الكنيسة فى العالم .

قيل أن التكريس يخلق من حقارة العمل قداسة . ولا يوجد مكان يليق بالتكريس ويجمله إلا داخل هذه الحوائط الأربع التى ندعوها البيت ويستطيع العالم أن يعيش بدون اجتماعات لجانه ، ولكنه لا يستطيع أن يحيا بدون بيوت ولن يكون البيت بيتاً عندما تغيب عنه ربة البيت .

(٤) الأحداث

٦ كَذٰلِكَ عِظِ ٱلْأَحْدَاثَ أَنْ يَكُونُوا مُتَعَقِّلِينَ .

تيطس ٢ : ٦

فى جملة واحدة محملة بالمعانى تجتمع كل الواجبات المفروضة على الأحداث . يحثون على واجب التعقل . كما سبق أن رأينا ، الرجل المتعقل ، يملك تلك الصفة العقلية التى تحفظ الحياة فى أمان . أمان من يملك زمام كل الأمور .

ووقت الشباب هو بالضرورة أخطر الأوقات .

١ ــ فالإغراءات أقوى فى الشباب . فالدم يجرى ساخناً ، والعواطف تسيطر على كل شىء آخر . وتيار الحياة يندفع بقوة فى الشباب ، لدرجة أنه يجرف الشاب أحياناً فى طريقه .

٢ ــ تكثر فى سن الشباب فرص الخطأ . فالشباب معرضون لرفقة شريرة تخضع لصوت الإغراء عن أى شىء آخر . وغالباً ما يضطر الشبان إلى مغادرة المنزل لأجل الدراسة أو العمل . دون رقابة البيت التى تحفظهم فى طريق الصواب ، والصغير يحس بالفردية أكثر من الشيخ . فالشاب لم يأخذ بعد مسئولية بيت أو عائلة ؛ ولا يملك بعد الاتزان الذى يحفظ الرجل الأكبر سناً فى الطريق الصواب ، مرساة الإحساس بالواجب . فى الشباب تتضاعف الفرص التى تحطم سفينة الحياة .

٣ ــ والشباب غرير تغلبه الثقة لانعدام الخبرة . فى كل جوانب الحياة ،

نجد الشاب يتقدم بجرأة وتهور عن الشيخ ، لسبب واحد بسيط أن الشاب لم يكتشف بعد مدى الخطأ الذى يمكن أن تنحدر إليه الأمور . ولنأخذ مثالا بسيطاً ، يقود الشاب سيارته بسرعة أكثر كثيراً من الشيخ لأنه لا يقدر كيف يمكن أن تحدث حادثة بمنتهى البساطة ، وكيف أن أمان السيارة إنما يعتمد على قطعة رقيقة من المعدن ويأخذ الشاب على عاتقه مسئولية ما بروح مخاطرة لا بالروح الحذرة التى يبديها الشيخ ، لأنه لم يعرف بعد نوع المصاعب التى ستعترض طريقه ولم يجرب السهولة التى تتحطم بها الأحلام . ولا يمكن لأحد أن يشترى الخبرة ، فهى شىء يدفع ثمنه بالسنين فقط . هناك خطورة ، كما أن هناك مجد فى الشباب .

لهذا السبب عينه ، ما يجب أن يهدف إليه الشاب دائماً هو ضبط النفس ولا يستطيع أحد أن يخدم الآخرين قبل أن يتحكم فى نفسه . « مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أمثال ١٦ : ٣٢) .

سيادة الذات ، وضبط النفس ليست بين الفضائل اللامعة التى تبهر ، ولكنه منها وحدها يتكون نسيج الحياة وأساسها . وعندما يتحصن حماس الشباب بمثابة الخلق ، يبرز شىء عظيم فى الحياة .

(٥) المعلم المسيحى

٧ مُقَدِّماً نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَمُقَدِّماً فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً وَوَقَاراً وَإِخْلاَصاً ٨ وَكَلاَماً صَحِيحاً غَيْرَ مَلُومٍ لِكَيْ يَخْزَى الْمُضَادُّ إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ رَدِيءٌ يَقُولُهُ عَنْكُمْ .

تيطس ٢ : ٧ ، ٨

لن يكون للتعليم الذى يقدمه تيطس تأثير ، ما لم يسند ذلك بالقدوة الحسنة التى يقدمها بحياته . يجب أن يكون هو نفسه شاهداً حياً على ما يعظ به . عليه أن يقدم للناس ، ليس فقط نموذجاً نظرياً — فى السلوك ، بل نموذجاً عملياً .

١ — من الضرورى وضوح النقاوة المطلقة لدوافع المعلم . يواجه المعلم والواعظ المسيحى إغراءات مستمرة . فهناك خطورة الإعلان عن الذات ، وهناك رغبة قوية لإظهار المعرفة والذكاء والحكمة أمام الآخرين . هناك دائماً الإغراء نحو جذب الانتباه إلى شخصه بدلا من رسالة الله . هناك دائماً إغراء السلطة . يواجه المعلم ، أو الواعظ ، أو الراعى أو القس دائماً الإغراء بأن يتحول إلى دكتاتور . ليكن قائداً فهذا واجبه ، ولكن ليبتعد عن الدكتاتورية سيجد أنه يمكن قيادة الناس ولكن لا يمكن سوقهم . وليحارب الإغراء الذى

يحاول دفعه دائماً أن يجعل من عمل حياته حرفة يتكسب منها . وربما كان أكبر الأخطار التي يتعرض لها المعلم والواعظ المسيحي هو أن يضع لنفسه مقاييس خاطئة للنجاح . . وكثيراً ما يحدث أن الرجل المغمور الذي لم يسمع عنه أحد خارج دائرة عمله هو في نظر الله أعظم نجاحاً من ذلك الرجل الشهير الذي يذكر اسمه كل الناس ؛

٢ ــ يجب أن تكون له كرامة . وليس معنى الكرامة الانعزال عن الناس أو الغرور أو الكبرياء . الكرامة هي الإحساس بالمسئولية الرهيبة إننا سفراء للمسيح . ربما انحنى الآخرون للصغائر ، أما هو فيسمو عليها . الآخرون يحتفظون بأحقادهم ، أما هو فصاف من كل حقد . الآخرون تثور نفوسهم وتتوتر لأجل مراكزهم ومراتبهم ، أما هو ففيه من التواضع ما ينسيه أنه له مكان ما . البعض يندفعون في ثورة وهياج إذا اشتبكوا في مناقشة ، أما هو فيملك هدوءاً داخلياً لا يمكن إثارته . لا يوجد شيء أكثر ضرراً برسالة المسيح من انحدار قادة الكنيسة ورعاة الشعب إلى مستوى من الأخلاق والألفاظ غير لائقة برسول للمسيح ؛

٣ ــ يجب أن تكون رسالته صحيحة . ليتأكد المعلم والواعظ المسيحي أن ما ينشره هو حقائق الإنجيل وليست أفكاره الخاصة . فليس هناك أيسر من أن ينشغل الواعظ والمعلم بأمور جانبية يضيع فيها وقته . ولتكن صلاته دائماً « أعطني يارب تقديراً صحيحاً » . تعيش أمور الإيمان الرئيسية مع الإنسان كل حياته . وحالما صار الإنسان داعية لأفكاره الخاصة أو لموضوع معين يهمه ، لا يصلح بعد لأن يكون واعظاً أو معلماً لكلمة الله .

وكان الواجب الذى ألقى على عاتق تيطس هو المأمورية الضخمة ، لا أن يكلم الناس عن المسيح ، بل أن يريهم المسيح .

أعظم ثناء يمكن أن يناله معلم هو أن يقال عنه « لقد تشكل أولا ، ثم علم بعد ذلك » .

الخلق المسيحى

(٦) العامل المسيحى

٩ وَٱلْعَبِيدَ أَنْ يَخْضَعُوا لِسَادَتِهِمْ وَيُرْضُوهُمْ فى كُل
شَيْءٍ غَيْرَ مُنَاقِضِينَ ١٠ غَيْرَ مُخْتَلِسِينَ بَلْ مُقَدِّمِينَ كَلَّ
أَمَانَةٍ صَالِحَةٍ لِكَيْ يُزَيِّنُوا تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا ٱللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

تيطس ٢ : ٩ ، ١٠

كانت مشكلة العامل المسيحى مشكلة حادة أيام الكنيسة الأولى . وهى مشكلة ذات اتجاهين .

فى حالة السيد الوثنى ، كانت المسئولية الملقاة على الخادم ثقيلة للغاية ، لأن الفرصة الوحيدة للسيد أن يرى ما هى المسيحية كانت خلال سلوك عبده المسيحى . كان على هذا العبد أن يرى سيده كيف يكون المسيحى . ولا زالت هذه المسئولية ملقاة على عاتق العلمانى المسيحى وعلى العامل المسيحى من الواضح أن هناك أعداداً كبيرة من الناس لن تخطو باب الكنيسة برغبتها . ولهذا لن تستطيع الكنيسة أن تخبرهم عن المسيحية ، لأنها لا تستطيع الوصول إليهم جميعاً . كما أنه لن تتاح فرصة لراعى الكنيسة أن يكلمهم ، لأنهم ببساطة لن يستمعوا إليه . كيف يمكن إذاً للمسيحية أن تصل إلى هؤلاء الناس ؟ الطريقة الوحيدة أن يروا المسيحية خلال رفقائهم العاملين معهم . ولا يمكن تقديم المسيحية لمثل هؤلاء الناس إلا باظهار عملى للمسيحية كما تبدو

فى الحياة العقلية وفى السلوك : هناك قصة مشهورة عن القديس فرنسيس عندما قال لواحد من رهبانه الصغار السن : « هلم نمضى إلى القرية لنعظ الناس » فذهبا ، وتوقفا أثناء المسير ليكلما هذا وذاك من الناس ، وليطلبا لقمة عيش عند هذا البيت أو ذاك . وتوقف فرنسيس ليلعب مع الأطفال ، وليتبادل التحية مع المارين . ثم بدأ رحلة الرجوع إلى البيت . فقال الراهب الصغير « ولكن يا أبى ، متى نعظ ؟ » فابتسم فرنسيس قائلا ، « نعظ ؟ إن كل خطوة أخذناها ، كل كلمة تبادلناها ، كل عمل قمنا به ، ما هو إلا عظة » . إن العظة الوحيدة التى يمكن لمن لا يذهب للكنيسة أبداً أن يستمع إليها هى الحياة المسيحية التى يعيشها العامل المسيحى فى عمله اليومى .

ولكن كانت هناك مشكلة ثانية . لو كان السيد مسيحياً ، تعرض الخادم المسيحى لإغراء جديد . إغراء استغلال مسيحيته . ربما راوده الخاطر ، أنه سيحظى ببعض الامتيازات الخاصة لأنه مسيحى مثل السيد ، وربما توقع أن التأديب الذى سيوقع عليه أخف من غيره ، أو أنه سينجو من عقاب أخطاء كثيرة ارتكبها . وربما دفعه تفكيره ، سواء شعورياً أو لا شعورياً ، أن يهمل فى عمله لأنه هو والسيد عضوان فى كنيسة واحدة . من الممكن جداً أن يستغل إنسان مسيحيته ويتاجر بها ، وليس هناك إعلان أسوأ عن المسيحية من شخص يفعل ذلك .

لهذا يعدد لنا بولس الخصائص التى يجب أن تتوفر فى العامل المسيحى . خاضع مطيع : ليس هناك مسيحى أسمى من أن يأخذ أمراً صادراً إليه . فمسيحيته تعلمه كيف يخدم . وهو كفء ، محترم أن يرضى من يعمل لديهم فالعامل المسيحى لا يستطيع أن يقدم أقل من الأفضل لديه فى أية مأمورية تسند إليه . وهو محترم فلا يعتقد أن مسيحيته تعطيه أى حق خاص فى أن

يكون حاد الرد أو سيء التربية . فالمسيحية لا تلغى الخطوط الضرورية لتوزيع السلطة فى عالم الصناعة والتجارة والعمل . وهو أمين ، غيره يختلس وما أكثر الاختلاسات التى يمتلئ بها العالم . أما هو فيحتفظ بيدين نظيفتين . وهو مخلص فيستطيع سيده أن يعتمد عليه و يرتكن إلى إخلاصه وخدمته .

وربما تعرض الخادم المسيحى الذى يأخذ مسيحيته معه إلى العمل إلى بعض المتاعب ؛ ولكنه لو تمسك بها فسينتهى الأمر به إلى كسب احترام الجميع .

ويقص علينا براون ما حدث له فى الهند . « كلف سيد خادمه المسيحى بالذهاب برسالة شفهية كان يعلم أنها غير صادقة . فرفض الخادم أن يسلمها . ورغم شدة غضب السيد حينذاك ، إنما زاد احترامه للخادم بعد ذلك لأنه علم أنه يستطيع دائماً أن يثق فيه فى كل أموره الخاصة » .

والحقيقة أنه فى النهاية ، سيعرف العالم أن العامل المسيحى هو العامل الوحيد المستحق أن يعطى عملا . إن كان من الصعب الاحتفاظ بمسيحيتنا فى جو العمل ، فانه من الحق أنه إذا حاولنا سنكتشف أنه أيسر بكثير مما نعتقد فلا يوجد سيد أو صاحب عمل لا يرحب كل الترحيب بعامل يمكن أن يعتمد على كفاءته ويثق فى إخلاصه ووفائه .

قوة التجسد الأخلاقية

١١ لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ ٱللهِ ٱلْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ
١٢ مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ ٱلْفُجُورَ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلْعَالَمِيَّةَ
وَنَعِيشَ بِٱلتَّعَقُّلِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْحَاضِرِ
١٣ مُنْتَظِرِينَ ٱلرَّجَاءَ ٱلْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ
وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ١٤ ٱلَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا
لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْباً خَاصًّا
غَيُوراً فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ .

تيطس ٢ : ١١ — ١٤

هناك فقرات قليلة فى العهد الجديد تماثل هذه الفقرة فى حيويتها نحو إظهار القوة الأخلاقية للتجسد . فهى تؤكد التأثير الأخلاقى للتجسد على الناس ، معجزة التغيير الأخلاقى التى يستطيع أن يعملها يسوع المسيح .

يتكرر التعبير هنا عن هذه المعجزة الأخلاقية بصورة طريفة قوية للغاية.

وعظ أشعياء مرة شعبه : « كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير » (أشعياء ١ : ١٦ ، ١٧)

أولا ، هناك الجانب السلبى للخير ؛ الكف عن فعل الشر ، والتحرر مما هو ردىء

ثانياً ، هناك الجانب الإيجابى للخير ، الحصول على الفضائل العظيمة اللامعة التى تحلى الحياة المسيحية .

أولا ، هناك التخلى عن كل الشرور وكل الشهوات العالمية . ماذا عنى بولس بالشهوات العالمية ؟ قال كريسوستم أن الأشياء العالمية هى تلك التى لا تمضى معنا إلى السماء ، ولكنها تتحالل مع العالم الحاضر . من المؤكد أن الإنسان يكون قصير النظر جداً إذا وضع كل همه وصرف كل جهده على أمور سيتركها خلفه عندما يغادر هذا العالم . إذا أمضى الشخص كل حياته ليقتنى الماديات ويكنزها ، فسيجد أنه لا يملك شيئاً ليأخذه معه عندما ينتهى هذا العالم . ولكن هناك تفسيراً أسهل لهذه الجملة — الشهوات العالمية — فالشهوات العالمية هى تلك الأشياء التى لا نستطيع أن نريها لله . وعمل المسيح قادر أن ينظفنا من هذه الشهوات التى نشعر بالعار إذا رآها الله . إن المسيح وحده الذى يصنع لاحياتنا الخارجية فقط ، بل قلوبنا الداخلية أيضاً ، لتصبح جديرة أن يراها الله .

هذا هو الجانب السلبى لقوة التجسد الأخلاقية ، وأما الجانب الموجب فيسوع المسيح يمكننا أن نعيش بالتعقل الذى يتحكم فى كل شىء ، ولا يسمح لأى عاطفة أو شهوة أن تأخذ أكثر من مكانها الصحيح ؛ مع عدالة تمكننا أن نعطى لله وللناس ما يحق لهم ؛ مع توقير يمكننا أن نعيش باحساس حى . أن كل ما فى العالم ما هو إلا هيكل الله .

والمحرك لهذه الحياة الجديدة هو توقع مجىء يسوع المسيح . عندما ننتظر تشريف شخصية هامة لمكان ما ، تنظف الأشياء والشوارع وتعلق الزينات اللائقة بالعين الملكية أن تقع عليها . والمسيحى هو ذلك الإنسان المستعد دائماً لمجىء ملك الملوك .

وأخيراً يمضى بولس فيجمع ما فعله يسوع المسيح ، ويتبع نفس الأسلوب فيبدأ بالجانب السلبي وينتهى بالإيجابى :

لقد فدانا يسوع من قوة الشيطان ، أنقذنا من القوة التى تجعلنا نخطىء

ويستطيع يسوع أن يطهرنا حتى نصبح لائقين أن نكون شعب الله الخاص . وكلمة خاص Periousios كلمة طريفة . فهى تعنى أفرز ، خصص لأجل ؛ وكانت تستعمل خاصة عن جزء من غنائم المعركة أفرزها الملك المنتصر لنفسه . فنتيجة لعمل يسوع المسيح يصير المسيحى لائقاً لأن يكون ملكاً خاصاً لله ، أى يصبح صالحاً لأن ينتمى لله .

إن قوة التجسد الأخلاقية فكرة خطيرة رائعة . فان المسيح لم يحررنا فقط من قوة وعقاب الخطية الماضية ؛ ولكنه قادر أن يقوينا لنحيا الحياة الكاملة هنا فى هذه الأرض فى هذا الزمان والمكان ؛ وقادر أن يغسلنا حتى نصير جديرين بالحياة الآتية ، وأن نصير ملكاً خاصاً لإلهنا نفسه .

المأمورية الثلاثية

١٦ تَكَلَّمْ بِهٰذِهِ وَعِظْ وَوَبِّخْ بِكُلِّ سُلْطَانٍ . لاَ يَسْتَهِنْ بِكَ أَحَدٌ .

تيطس ٢ : ١٥

يضع بولس هنا فى إيجاز بليغ مأمورية ثلاثية أمام تيطس ، مأمورية القيام بعمل الواعظ وعمل المعلم وعمل القائد المسيحى .

هى مأمورية إعلان — هناك رسالة تعلن — هناك أشياء لا تصلح معها المجادلة ، ولا تستقيم معها المناقشة . هناك أوقات يجب أن يذكر فيها الواعظ والمعلم هذه العبارة : « هكذا قال الرب » .

وهى مأمورية لتشجيع . الواعظ الذى يرسم صورة اليأس القاتم أمام مستمعيه قد فشل فى أداء مهمته . يجب أن يوبخ الناس على خطاياهم ، لا بصورة تيئسهم من أحوالهم ، بل بطريقة تقودهم إلى النعمة الأعظم من كل خطاياهم .

وهى مأمورية إقناع . يجب أن يفتح الخاطئ عينيه ليرى خطية . وأن يقاد السالك فى الشر ليدرك عقله مدى خطأه . وأن يهز قلب الساهى الذى لا يرتدع لكى يستيقظ ويعى . الرسالة المسيحية ليست أفيوناً لتخدير الناس ، فليس هناك يقين مريح فى أن كل شيء سيكون على ما يرام . بل على العكس ، أن النور القوى الذى يعمى هو الذى يرى الناس على حقيقتهم والله على حقيقته .

الأَصحَاحُ الثَّالِثُ

المواطن المسيحى

١ ذَكِّرْهُمْ أَنْ يَخْضَعُوا لِلرِّيَاسَاتِ وَٱلسَّلاَطِينِ . وَيُطِيعُوا وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ . ٢ وَلاَ يَطْعَنُوا فِي أَحَدٍ وَيَكُونُوا غَيْرَ مُخَاصِمِينَ حُلَمَاءَ مُظْهِرِينَ كُلَّ وَدَاعَةٍ لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ .

تيطس ٣ : ١ ، ٢

توضح لنا هنا واجبات المسيحى العامة ؛ فى قالب نصيحة موجهة على الخصوص إلى أهل كريت . اشتهر الكريتيون بالشغب والحدة ونفاذ الصبر مع جميع السلطات . ويذكر عنهم المؤرخ اليونانى بوليبيوس أنهم كانوا باستمرار مشتبكين فى « اعتداءات ، جرائم قتل وحروب داخلية » . ويعدد لنا هذا الجزء ستة صفات للمواطن الصالح .

المواطن الصالح **مطيع للقانون** . يدرك أنه بدون المحافظة على القوانين تصبح الحياة فوضى . يعطى الاحترام الواجب لأولئك الذين فى مركز السلطان ، وينفذ أى أمر يوكل إليه . ولا تصر المسيحية أن يلغى الإنسان شخصيته ، ولكنها تصر أن يذكر الإنسان دائماً أنه عضو فى مجموعة . قال أرسطو ، « الإنسان حيوان سياسى » ومعنى هذا أن الإنسان يعبر جيداً عن شخصيته لا فى فردية منعزلة بل فى داخل إطار المجموعة . إن أفضل وجود له يكون فى رفقة وخدمة الآخرين .

المواطن الصالح **نشيط فى الخدمة** ، مستعد لأى عمل طالما كان هذا عملا

طيباً . آفة العصر الحديث هى الملل ؛ والملل نتيجة مباشرة لحب الذات . طالما كان الإنسان يحيا بهذا المبدأ ، « لماذا أفعلها أنا ؟ لماذا لا يفعل ذلك واحد غيرى ؟ » ، فانه لا بد مسوق إلى الملل . أن لذة الحياة فى الخدمة .

المواطن الصالح حريص فى الكلام . فلا يشين سمعة أحد . لا يليق بأحد أن يذكر عن الآخرين ما لا يطيق سماعه عن نفسه . والمواطن الصالح هو من ينتقى ألفاظه تماماً كما يختار أفعاله .

المواطن الصالح محتمل ، لا يتهجم ومعنى الكلمة اليونانية (غير محارب) ولا يعنى هذا أن المواطن الصالح لن يدافع عما يؤمن بصحته . بل تعنى أنه لن يبلغ من تعصب لرأيه درجة رفض أى رأى آخر يخالف رأيه . وأن يسمح لغيره بنفس الحق فى التمسك بمبادئه كما يطالب هو لنفسه .

المواطن الصالح متسامح . وهى كلمة تصف الشخص الذى لا يتمسك بحرفية القانون . قال أرسطو عن هذه الكلمة أنها تعنى « اهتمام زائد بالضعفات البشرية » وأنها القدرة على « تفهم ما قصده المشرع إلى جانب تطبيق القانون» الشخص المتسامح هو من يلطف العدالة بالرحمة ، ويحذر من المظالم التى تؤدى إليها أحياناً كثيرة عدالة عمياء .

المواطن الصالح رقيق . وهى كلمة تصف الشخص المتحكم فى طبعه الرجل الذى يعرف متى يغضب ومتى لا يجب أن يغضب ، الرجل الذى يتحمل فى صبر ما يلاقيه شخصياً من عنت وخطأ ، ولكنه مستعد دائماً أن يهب لنجدة من يلاقى عنتاً أو ظلماً .

صفات كهذه لا يمكن اجتماعها إلا فى المسيحى ، فهى مستحيلة إلا لمن كان المسيح ملء قلبه تماماً . والخير الذى يعم أى مجتمع يعتمد على قبول المسيحيين بهذا المجتمع لواجب إظهار نبالة المواطن المسيحى أمام العالم أجمع .

٣ لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضاً قَبْلاً أَغْبِيَاءَ غَيْرَ طَائِعِينَ
ضَالِّينَ مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ عَائِشِينَ فِي
ٱلْخُبْثِ وَٱلْحَسَدِ مَمْقُوتِينَ مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً . ٤ وَلٰكِنْ
حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا ٱللهِ وَإِحْسَانُهُ ٥ لاَ بِأَعْمَالٍ فِي
بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ
ٱلْمِيلاَدِ ٱلثَّانِي وَتَجْدِيدِ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ ٦ ٱلَّذِي سَكَبَهُ
بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا ٧ حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا
بِنِعْمَتِهِ نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ ٱلْحَيٰوةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ .

تيطس ٣ : ٣ — ٧

محرك الحياة المسيحية مزدوج .

إنه يأتى أولا من إدراك أن هؤلاء الذين اعتنقوا المسيحية لم يكونوا قبلا أفضل من جيرانهم الوثنيين . فصلاح المسيحية لا يضفى على الشخص كبرياء بل يعزقه فى إحساس من الشكر والعرفان . عندما ينظر إلى غيره . الذين ما زالوا يعيشون فى جهل الوثنية ، فانه لا يرمقهم باحتقار أو يدينهم فى غرور بل يقول على لسان هويتفيلد عندما رأى مجرماً يساق إلى الإعدام : « هوذا ، لولا نعمة الله ، أذهب أنا » .

إنها إدراك ما فعله الله للناس فى يسوع المسيح . ربما لا يماثل جزء آخر فى العهد الجديد هذه الفقرة فى إيجازها ورغم ذلك إلمامها الكامل بما قام به المسيح لأجل الناس . تبرز هنا سبعة حقائق فى عمل المسيح .

١ ــ ما فعله يسوع لنا هو أنه وضعنا فى علاقة جديدة مع الله . حتى مجىء المسيح كان الله هو الملك الذى يقف الناس أمامه فى رهبة ، القاضى الذى يرتعب أمامه الناس ؛ والحاكم بأمره ذو الجلال الذى لا يستطيع أحد أن يرفع عينيه نحوه إلا فى خوف وخشية . وجاء يسوع ليخبرنا عن الآب الذى فتح قلبه ومد يداه نحونا فى حب . جاء ليقول لنا ، لا عن العدالة التى ستتبعنا دائماً حتى تحيق بنا ، بل عن المحبة التى لن تدعنا نفلت أبداً .

٢ ــ نعمة الله ومحبته عطيتان لا يمكن لإنسان أن يستحقهما أو ينالهما ؛ ولكن يمكن فقط قبولهما فى كامل اليقين ويقظة المحبة . يقدم الله محبته للناس ، لا لأعمال خير فعلوها ، بل للخير العميم الذى يفيض بقلبه . والمسيحى لا يفكر مطلقاً فيما حصل عليه ، بل فيما منحه له الله . ولحسن الحياة المسيحية المتكرر يجب أن يكون دائماً دهشة وشكر فى تواضع جميل لا يفسده كبرياء الرضاء عن الذات والعملية بأكملها ترجع إلى صفتين عظيمتين لله .

ترجع إلى **إحسان الله ولطفه** . الكلمة تعنى الخير والإحسان وتعنى هذا الروح الكريم المحسن المستعد دائماً . السباق دائماً أن يعطى أى هبة ضرورية . مستعد أن يعطى العفو والبركة عند طلبها . هى فيض دفاق من الخير ، ينبعث فى مشاعر دافئة ، ويظهر فى أعمال كرم وسخاء كل لحظة .

وترجع إلى **محبة الله للناس** . والكلمة وتعرف أنها محبة الإنسان كانسان ـ وقد فكر اليونانيون كثيراً بهذه الكلمة الجميلة ؛ فاستعملوها لتصف رقة

إنسان طيب نحو زملائه ، أو تعطف ملك صالح على رعاياه ، أو إحسان عملى لإنسان كريم نحو أولئك الذين فى ضيقة أو مشقة ، واستعملت الكلمة بالذات لتعبر عن شعور العطف والمشاركة التى تدفع إنساناً أن يفدى إنساناً آخر إذا وقع فى الأسر .

خلف كل هذا لا يوجد أى استحقاق لإنسان ؛ خلف الأمر كله هو لطف الله وكرمه ومحبته الفياضة للبشرية التى تشغل بال الله .

٣ - وتنقل الكنيسة مفهوم محبة الله ونعمته للناس ، خلال المعمودية المقدسة . وليس معنى هذا عدم وجود طريق آخر ، لأن الله ليس محدوداً بالفرائض المقدسة ، ولا ننسى أن كل من تقدم للمعمودية فى الكنيسة الأولى كان من البالغين الآتى مباشرة من الوثنية إلى الكنيسة المسيحية . فكانت المعمودية إعلاناً يشير إلى ترك نوع معين من الحياة والدخول فى نوع آخر جديد بملء حرية الشخص واختياره . لهذا يكتب بولس إلى كنيسة كورنثوس قائلا : « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم . . » (١ كورنثوس ٦ : ١١) . ويقول فى الرسالة إلى افسس إن يسوع المسيح أخذ الكنيسة « لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (افسس ٥ : ٢٦) . نال الناس فى المعمودية قوة الله للغسل والخلق .

وفى هذا الشأن يستعمل بولس كلمتين .

فيتكلم عن الولادة الثانية Paliggensia . وهى كلمة لها ارتباطات كثيرة . عندما يتهود إنسان ويقبل فى الدين اليهودى ، يعمد أولا ، ثم يعامل كما لو كان طفلا صغيراً . وكأنما ولد من جديد وبدأت الحياة بالنسبة له بداية جديدة . واستعمل الفيثاغورثيون الكلمة مراراً ، لأنهم

كانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح ، يؤمنون بعودة الناس إلى الحياة مرة أخرى فى صور متعددة حتى يصلوا إلى مرتبة من الجدارة تسمح باطلاق سراحهم من الحياة — وكانت كل عودة تسمى ميلاداً ثانياً . كما استعمل الرواقيون الكلمة إذ كانوا يؤمنون أن العالم يهلك بحريق هائل مرة كل ثلاثة آلاف سنة ، يتبع ذلك ميلاد كونى ثان لعالم جديد . كذلك كان يطلق على الأشخاص الذين دخلوا إلى الأديان السرية بأنهم « ولدوا ثانية للأبدية » . والأمر كله هو أنه عندما يقبل شخص المسيح كمخلص ورب . تبدأ الحياة بالنسبة له من جديد . هناك إحساس بجدة الحياة لا يمكن تشبيهه إلا بأنه ولادة جديدة .

يتكلم بولس أيضاً عن التجديد . كما لو كانت الحياة قد أضناها الإعياء والتعب ؛ ثم عندما يكتشف الشخص المسيح تبدأ عملية تجديد لا تنتهى فى فترة قصيرة ، بل تستمر وتتكرر كل يوم .

السبب والتأثير

٤ — تنتقل نعمة ومحبة الله للناس داخل الكنيسة ، ولكن القوة الضرورية خلفها هى قوة الروح القدس . مهما كان عمل الكنيسة ، ومهما كانت الكلمات التى تتردد فى الكنيسة ، ومهما كانت الأسرار المقدسة المتداولة فى الكنيسة . فجميعها لا قوة فيها ولا تأثير فيها إلا إذا كانت قوة الروح القدس حالة فيها . لا جدوى من رفعة التنظيم فى الكنيسة ، أو من روعة الاحتفالات بها ، أو من جمال مبانيها ، أو ضخامة عبادتها ؛ فكل هذه بلا تأثير بدون قوة الروح . وكلما ازددنا فى دراسة العهد الجديد ، تأكد لنا الاستنتاج أنه بالنسبة للكنيسة الأولى كان الروح القدس والمسيح المقام نفس الشخص الواحد . ويمكن أن نستنتج بوضوح أن الانتعاش الروحى لا يأتى للكنيسة من ازدياد كفاءة التنظيم ، بل من انتظار الله . ولا يعنى ذلك عدم أهمية الكفاءة ، فهى

ضرورية وهامة . ولكن مهما كانت قيمة هذه الكفاءة فهى غير قادرة أن تنفث نسمة الحياة فى جسد ليست فيه نسمة الروح .

٥ — تأثير ذلك كله مثلث الجوانب . فنحن ننال مغفرة الخطايا الماضية . كما أن الله فى رحمته لا يمسك هذه الخطايا ضدنا . كما أننا جميعاً أخطأنا ، ولكننا خطاة غفرت لهم خطاياهم .

اشتكى شخص مرة بمرارة وحزن لأغسطينوس بسبب خطاياه . فقال له أغسطينوس : « يا رجل ، التفت بعيداً عن خطاياك ، وانظر إلى الله » . وليس معنى ذلك أن لا يشعر الإنسان بحزن نادم تائب كل حياته بالنسبة لما ارتكبه من خطايا ، ولكن مجرد ذكرى هذه الخطايا تثير فيه الدهشة لرحمة الله الغافرة .

٦ — ونتيجة كل هذا ما نجده فى حياتنا الحاضرة . فالمسيحية لا تحصر عطيتها فقط فى البركات الآتية . فهى تقدم للانسان فى الحال والحاضر حياة من نوع لم يعرفه من قبل . عندما يدخل المسيح فى حياة إنسان ، يشعر هذا الإنسان للمرة الأولى أنه بدأ يعيش حقيقة .

٧ — وأخيراً ، يدخل إلى الحياة الأمل بحدوث أمور أجل وأعظم . المسيحى هو من يعيش بالرجاء ، وبالنسبة له فالأفضل ما زال لم يأت بعد ، وهو يعرف أنه مهما كان جمال الحياة مع المسيح على الأرض فإن الحياة التى ستأتى ستكون أعظم بكثير . المسيحى هو من اختبر أعجوبة غفران خطاياه السابقة وروعة الحياة الحاضرة مع المسيح ، ورجاء الحياة المجيدة التى ما زالت تنتظره .

ضرورة العمل وخطورة المناقشة

٨ صَادِقَةٌ هِيَ ٱلْكَلِمَةُ . وَأُرِيدُ أَنْ تُقَرِّرَ هٰذِهِ ٱلْأُمُورَ
لِكَيْ يَهْتَمَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً .
فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلْأُمُورَ هِيَ ٱلْحَسَنَةُ وَٱلنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ . ٩ وَأَمَّا
ٱلْمُبَاحَثَاتُ ٱلْغَبِيَّةُ وَٱلْأَنْسَابُ وَٱلْخُصُومَاتُ وَٱلْمُنَازَعَاتُ
ٱلنَّامُوسِيَّةُ فَٱجْتَنِبْهَا لِأَنَّهَا غَيْرُ نَافِعَةٍ وَبَاطِلَةٌ . ١٠ اَلرَّجُلُ
ٱلْمُبْتَدِعُ بَعْدَ ٱلْإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ أَعْرِضْ عَنْهُ ١١ عَالِماً
أَنَّ مِثْلَ هٰذَا قَدِ ٱنْحَرَفَ وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُوماً عَلَيْهِ مِنْ
نَفْسِهِ .

تيطس ٣ : ٨ – ١١

يؤكد هذا الجزء ضرورة العمل المسيحى ، وخطورة نوع معين من المناقشات .

كلمة يمارس فى الأصل ، وتعنى حرفياً **يقف أمام** ، كانت تطلق على صاحب المحل الذى يقف أمام دكانه ويصيح على بضاعته التى يريد بيعها . والجملة كلها ربما كانت تعنى أحد أمرين . إما أنها أمر إلى المسيحيين أن لا يمارسوا إلا ما هو محترم ونافع من التجارة . كانت هناك بعض المهن المعينة التى أصرت الكنيسة الأولى أن يتركها الشخص قبل أن يسمح له حتى

يطلب الالتحاق بعضوية الكنيسة . ولكن الأمر الأكثر احتمالا هو أن الجملة كانت تعنى أمراً أشمل بمعنى أن واجب المسيحى أن يمارس الأعمال الحسنة التى تساعد وتفيد الآخرين .

والجزء الثانى من الفقرة يحذر من المباحثات الغبية التى لا طائل من ورائها . أمضى فلاسفة الإغريق أوقاتهم ينسجون خيوط أسئلتهم الدقيقة . وأمضى معلمو اليهود أوقاتهم يبنون أنساباً خيالية ترفع من شخصيات العهد القديم . وأمضى الكتبة ساعات لا عدد لها يتناقشون فيما يجوز وما لا يجوز عمله يوم السبت ، وما هو طاهر وما هو نجس . ولقد قيل إن هناك خطورة فى أن يظن الإنسان فى نفسه أنه مؤمن لمجرد أنه يناقش الأمور الدينية . هناك نوع من الناس يناقش لمجرد المناقشة . وهناك نوع من الجماعات يمضى ساعات طويلة فى المناقشة عن المسائل اللاهوتية مع أن مناقشة المسائل اللاهوتية أيسر بكثير من الحياة العملية المسيحية كأن تكون رقيقاً ومعاوناً فى البيت أو يقظاً أميناً فى عملك . لا توجد فضيلة ما فى صرف ساعات كثيرة فى مناقشات دينية عميقة بينما الأعمال البسيطة التى تتطلبها الحياة المسيحية لا تجد من يقوم بها . والحقيقة أن مثل هذه المناقشات لا تخرج عن كونها انحراف عن أداء الواجبات المسيحية :

كان بولس واثقاً تماماً أن واجب المسيحى الحقيقى يكمن فى العمل المسيحى ولا يعنى هذا إلغاء المباحثات المسيحية ؛ ولكنه يعنى أن المباحثات التى لا تنتهى بعمل ما لا تخرج عن كونها مضيعة للوقت.

وينصح بولس بتجنب الرجل المبتدع المشاكس ، ومبتدع يعنى مهرطق والكلمة اليونانية وتعنى حزب ، أو مدرسة ، أو طائفة . ولم يكن هناك أى معنى سىء للكلمة أصلا. ولم يكن المقصود بها الهرطقة ، إنما هى فقط الحزب

الذى اختار الشخص الانتماء إليه . ولكن المعنى السىء زحف إلى الكلمة عندما يتمسك الشخص برأيه الخاص ضد كل التعليم ، والاتفاقات والتقاليد فى الكنيسة . أما المهرطق أو المبتدع فهو الشخص الذى قرر أنه هو وحده على صواب وجميع الآخرين مخطئون . وتحذير بولس موجه ضد الشخص الذى جعل من أفكاره وآرائه الخاصة المثال والمقياس لكل الصدق . يجب أن يتجنب الإنسان من أى رأى يفصله عن مشاركة إخوته من المؤمنين . فالإيمان الحقيقى لا يفرق بين الناس ، بل يوحدهم .

تحيات أخيرة

١٢ حِينَمَا أُرْسِلُ إِلَيْكَ أَرْتِيمَاسَ أَوْ تِيخِيكُسَ
بَادِرْ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ إِلَى نِيكُوبُولِيسَ لأَنِّي عَزَمْتُ أَنْ أُشَتِّيَ
هُنَاكَ . ١٣ جَهِّزْ زِينَاسَ ٱلنَّامُوسِيَّ وَأَبُلُّسَ بِٱجْتِهَادٍ
لِلسَّفَرِ حَتَّى لاَ يُعْوِزَهُمَا شَيْءٌ . ١٤ وَلْيَتَعَلَّمْ مَنْ لَنَا أَيْضاً
أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً لِلْحَاجَاتِ ٱلضَّرُورِيَّةِ حَتَّى
لاَ يَكُونُوا بِلاَ ثَمَرٍ . ١٥ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ ٱلَّذِينَ مَعِي جَمِيعاً .
سَلِّمْ عَلَى ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَنَا فِي ٱلإِيمَانِ . اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ.
آمِينَ

تيطس ٣ : ١٢ — ١٥

يختم بولس رسالته كالمعتاد بتحيات شخصية . نحن لا نعرف شيئاً عن أرتيماس . ولكن تيخيكس كان واحداً من أوثق رسل بولس . حمل رسائل بولس إلى كنائس كولوسي وأفسس (كولوسي ٤ : ٧ ؛ أفسس ٦ : ٢١). وكانت نيكوبوليس فى ابيرس أفضل مركز للعمل فى ولاية دالماتيا الرومانية . ومن الطريف تذكر أن الفيلسوف الرواقى الشهير أبكتيتوس بدأ مدرسته فى هذه المدينة فيما بعد .

أما أبلوس فهو المعلم المعروف (أعمال ١٨ : ٢٤) ولكننا لا نعرف

شيئاً عن زيناس . يدعى هنا الناموسى ويعنى ذلك أمراً من اثنين فهى الكلمة المعتادة للكاتب ، وربما كان زيناس معلماً يهودياً وتحول إلى المسيحية . وهى أيضاً الكلمة اليونانية المعتادة للمحامى ؛ وإذا كان هذا هو المعنى المقصود ، يكون زيناس هو المحامى الوحيد الذى حصل على امتياز ذكره فى العهد الجديد.

وكانت آخر نصيحة لبولس أن يتعلم الشعب المسيحى ممارسة الأعمال الحسنة ، حتى يكونوا مستقلين بذواتهم ، وأن يكونوا قادرين على مساعدة المحتاجين . فالعامل المسيحى لا يعمل ليوفر احتياجاته الخاصة فقط ، بل ليعطى جزءاً منه أيضاً للآخرين .

وهكذا تختتم الرسالة بالتحيات الأخيرة ؛ ثم تأتى كلمة بولس الأخيرة ، « نعمة » كما فى كل رسائله الأخرى .

رسالة بُولس الرسول
إلى فليمون

مقدمة

الرسالة الفريدة

تتميز هذه الرسالة القصيرة إلى فليمون بشيء فريد بين رسائل بولس الأخرى . فهى الرسالة الخاصة الوحيدة لبولس التى لدينا . ولا شك أن بولس كتب رسائل خاصة كثيرة ، ولا شك أيضاً أن هذه الرسائل قد لاقت مصير جميع الرسائل الخاصة الأخرى ، لا شك أنها جميعاً قد ضاعت ولم يبق منها غير الرسالة إلى فليمون فقط . وإلى جانب ما يتخلل الرسالة من جمال وجاذبية فيكفى أنها رسالة بولس الوحيدة الخاصة التى بأيدينا وهذا يعطى لهذه الرسالة أهمية فريدة .

أنسيموس ، العبد الهارب

يمكن إعادة بناء قصة أنسيموس بطريقتين محتملتين . الطريقة الأولى ، وتمثل وجهة النظر العادية ، تتبع التحليل المباشر ؛ والطريقة الثانية أقترحها E.J.Goad speedوهى أكثر تعقيداً وتتميز بما فيها من عاطفة ودراما . لنبدأ أولا بوجهة النظر البسيطة :

كان أنسيموس عبداً هارباً ، وغالباً سارق أيضاً . « إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين فاحسب ذلك على » (١٨ ، ١٩) . وجد الهارب أنسيموس طريقه إلى روما ، ليفقد نفسه بين أفواج الجماهير التى تموج بها شوارع المدينة الكبيرة ؛ وبطريقة ما توصل إلى بولس ، وصار أنسيموس مسيحياً ، الابن الذى ولده بولس فى قيوده (آية ١٠) .

ثم حدث شيء . لقد كان واضحاً أنه من المستحيل على بولس أن يظل محتفظاً بعبد هارب ، ولا بد أنه حدث شيء أثار الموضوع كله. ربما ما حدث هو قدوم أبفراس ، وتعرفه على أنسيموس العبد الذى رآه فى كولوسى ، وهكذا طفت القصة كلها إلى السطح ؛ وربما كان مع قدوم أبفراس، ويقظة ضمير أنسيموس أن دفعته ليقدم اعترافاً كاملا بكل ماضيه الشائن .

بولس يرد أنسيموس

أثناء الفترة التى أمضاها أنسيموس مع بولس أصبح نافعاً له بدرجة أن أصبح لا غنى لبولس عنه ؛ وكان بولس يود أن يحتفظ به . « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندى » (عدد ١٢) . ولكن بولس لا يفعل شيئاً بدون موافقة فليمون سيد أنسيموس (عدد ١٣) . لهذا يرد بولس أنسيموس . و هو يعلم جيداً المخاطرة التى يأخذها . فلم يكن العبد فى اعتبار القانون إلا آلة حية ، والسيد له حق الحياة والموت على عبيده . « يستطيع أن يفرك آذانهم ، أو يحكم عليهم بالعمل الشاق — فمثلا يجعلهم يعملون وهم مقيدون بالسلاسل فى أرضه ، أو فيما يشبه مصنع ملحق بالسجن . وربما عاقبهم بالضرب بقضيب من حديد ، أو بالكرباج أو بالعقدة ؛ يستطيع أن يدمغهم على جباههم ، لو كانوا لصوصاً أو هاربين ، وفى النهاية يستطيع أن يصلحهم إن لم ينصلح حالهم » .

ويقص علينا بلنى كيف عامل ڤيديوس أحد عبيده . كان العبد يحمل صينية عليها كئوس من الكريستال إلى ساحة المحكمة ، فسقط منه كأس وانكسر ؛ وعلى الفور أمر السيد بالقاء العبد فى بركة السمك وسط الساحة ، حيث فتكت به الأسماك المتوحشة ومزقته تمزيقاً . ويرسم لنا جوفينال صورة السيدة التى تتلذذ بضرب خادمتها ، والسيد الذى « يتمتع بصوت الضرب

القاسى ، معتبراً أنه أعذب من الأغنية » والذى لا يسعد إلا بمرأى المعذب يلدغ أحد عبيده بقضيب محمى من الحديد لأنه سرق اثنين من مناشفه ، أو بسماع صليل القيود الحديدية التى تحيط بأطراف عبيده . كان العبد دائماً تحت رحمة مزاج السيد أو السيدة :

وما جعل الأمر أكثر سوءاً هو أن كان هناك إصرار على إبقاء العبيد فى أحط حال . كان هناك حوالى ٦٠ مليون عبداً بالامبراطورية الرومانية . وهم بذلك يكونون خطراً ماثلا دائماً . ولا شك أنه كان بالإمكان تحطيمهم تماماً ، ولكن لو حدث أن قاموا بثورة . لسببوا اضطراباً خطيراً . لهذا كان العبد الثائر يستأصل بسرعة . وإذا هرب عبد ، فأقل عقاب له هو دمغه بقضيب محمى على جبهته بالحرف « ه » لتعنى « هارب » — وأشد عقاب له هو صلبه وتركه يموت ميتة بشعة . وكان بولس يعلم ذلك جيداً ، وكان يعلم أيضاً أن الرق والعبودية كانت متأصلة فى العالم القديم إلى درجة أنه كانت خطورة كبيرة حتى فى إرجاع أنسيموس إلى فليمون المسيحى :

بولس يرجو

أعطى بولس هذا الخطاب لأنسيموس ، ويتلاعب بولس لفظياً بالاسم :

فالمعنى الحرفى لأنسيموس فى اليونانية هو مفيد . كان أنسيموس قبلا غير نافع ولكنه الآن نافع (آية ١١) . وبمعنى آخر لم يعد أنسيموس بالاسم فقط بل بالفعل أيضاً . ربما فقده فليمون لفترة ليسترده إلى الأبد (آية ١٥). يسترده كأخ فى الرب لا كعبد (آية ١٦) . فهو الآن ابن لبولس فى الإيمان، وواجب فليمون أن يستقبله كما يستقبل بولس نفسه .

تحرير

كان هذا ، إذاً ، رجاء بولس . ويتعجب كثير من الناس إزاء إغفال

بولس قول أى شيء بخصوص موضوع الرقيق بأكمله . فهو لا يدينها ؛ ولا يطلب من فليمون حتى أن يحرر أنسيموس ، بل يعيده إليه كعبد . وهناك البعض ممن انتقدوا بولس أنه لم ينتهز هذه الفرصة ليدين العبودية فى جملتها والتى عليها تأسس العالم القديم . ويقول Light foot ، « إن كلمة تحرير تبدو أنها ترتعش على شفتيه ، ولكنه لا يتفوه بها قط » . ولكن هناك أسباب معينة لصمت بولس إزاء هذه المشكلة .

كانت العبودية جزءاً لا يتجزأ من العالم القديم ، وتأسس عليها المجتمع . وكان أرسطو يعتنق مبدأ الطبقات ، فى رأيه أن طبيعة الأمور تتطلب وجود بعض العبيد ، وبعض النجارين ، وبعض السقائين لخدمة الطبقات الأعلى من الناس . وربما قبل بولس نظام العبودية ، لأنه كان من قبيل المستحيل تخيل المجتمع القديم بدونه . بالإضافة إلى ذلك ، لو كانت المسيحية قد أظهرت فعلا أى نوع من التشجيع للعبيد لكى يثوروا أو يتركوا سادتهم ، لما كانت النتيجة إلا مأساة ومصيبة على نطاق الدولة . فأى ثورة من هذا النوع كان مصيرها المحتوم السحق بوحشية ؛ وأى عبد يحرر نفسه مآله عقاب صارم لا رحمة فيه ، أما المسيحية نفسها فمصيرها أن تدمغ بأنها حركة ثورية عدائية خائنة . . ولكن إذا سيطر الإيمان المسيحى ، فان التحرير أمر لا بد أن يحدث ولكن الوقت لم يكن مناسباً لحدوثه . ولو قامت المسيحية بتشجيع العبيد وإثارة هذا الرجاء فيهم ، بل والعمل على تحقيقه لكان الضرر الناتج أكثر بكثير جداً من الفائدة المرجوة . هناك أمور لا يمكن تحقيقها فجأة ، بل لا بد للعالم أن ينتظر حتى يختمر الخمير .

العلاقة الجديدة

ما فعلته المسيحية هى أنها أوجدت علاقة جديدة بين الإنسان . والإنسان ،

علاقة اختفت منها كل الفروق الخارجية لأن المسيحيون جميعاً واحد فى المسيح . جسد واحد سواء كانوا من اليهود أو من الأمم ، من العبيد أو من الأحرار (١ كورنثوس ١٢ : ١٣) . « ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غلاطية ٣ : ٢٨) — فى المسيح لا يوجد يونانى أو يهودى ، ختان أو غرلة أو سكيثى عبد أو حر (كولوسى ٣ : ١١) . هرب أنسيموس كعبد ، ويعود أيضاً كعبد ، ولكنه ليس عبداً فقط الآن ، بل هو أخ محبوب فى الرب . عندما تدخل فى الحياة علاقة كهذه ، تفقد الفوارق الطبقية الاجتماعية مالها من أهمية . حتى الأسماء نفسها ، هذا سيد وذاك عبد تصير بلا معنى . لو عامل السيد العبد كما لو عامله المسيح ، وإذا خدم العبد سيده كما يخدم المسيح ، فان تسمية الواحد بسيد والآخر بعبد لا تعد بذات قيمة ؛ لأن علاقتهما لا تخضع لأى تنظيم بشرى ، لأن كليهما فى المسيح . لم تهاجم المسيحية العبودية فى بداية الأمر ؛ ولم تحث أبداً على تحرير العبيد . . ولو أنها فعلت ذلك ، لكان ذلك أدعى إلى إساءة الأمور بدون فائدة ، بل لكان سبباً فى إحداث مصيبة كبرى . ولكن المسيحية أدخلت علاقة جديدة اختفت منها الفوارق الطبقية التى ابتدعها الإنسان .

وعلينا أن نلاحظ أن هذه العلاقة الجديدة لم تعط أبداً للعبد حق الكسل والخمول ؛ ولم تسمح له بأن يستغل هذه العلاقة الجديدة لمصلحته ؛ ولكنها جعلته عبداً أفضل ، وخادماً أكثر كفاءة ، لأنه الآن عليه أن يؤدى واجبه بصورة جديرة بتقديمه للمسيح . كذلك لم تعن هذه العلاقة الجديدة أن يصير السيد ليناً متساهلا ، مستعداً لتقبل صناعة رديئة وخدمة أقل جودة ، ولكنها كانت تعنى أنه لم يعد من حقه أن يعامل أى خادم لديه كشىء يمتلكه ، بل كشخص له كيانه ، وأخ فى المسيح .

هناك فقرتان يوضح فيهما بولس واجبات السادة والعبيد – فى أفسس ٦ : ٥ – ٩ ، وفى كولوسى ٣ : ٢٢ – ٤ : ١ كتبت هاتان الفقرتان عندما كان بولس سجيناً فى روما ، وغالباً عندما كان أنسيموس معه ؛ ومن الصعب تصور عدم وجود ارتباط بينهما وبين الأحاديث الطويلة التى تبادلها بولس مع العبد الهارب الذى صار مسيحياً .

فى هذا الرأى تصبح الرسالة إلى فليمون رسالة خاصة ، مرسلة من بولس إلى فليمون عندما أعاد إليه عبده الهارب أنسيموس ؛ وقد كتبت الرسالة لتحث فليمون أن يقبل أنسيموس ثانياً ، ليس كما يفعل السيد الوثنى ، بل كما يقبل المسيحى أخاً تائباً ، ويعفو عنه .

أرخبس

لنعود الآن لفحص الرأى الثانى فى موضوع هذه الرسالة .

نبدأ دراسة هذا الرأى بفحص ما كان لأرخبس من مركز . يظهر أرخبس فى كلا رسالتى كولوسى وفليمون . ترسل التحية فى فليمون إلى أرخبس ، المتجند معنا (آية ٢) ؛ ويمكن أن يعنى هذا الوصف أن أرخبس كان راعى المجتمع المسيحى المقصود . ويذكر أرخبس مرة أخرى فى كولوسى ٤ : ١٧ « وقولوا لأرخبس أنظر إلى الخدمة التى قبلتها فى الرب لكى تتممها » . تأتى هذه العبارة بعد مجموعة من الإشارات الواضحة المحددة إلى كنيسة لاودكيا (كولوسى ٤ : ١٣ ، ١٥ ، ١٦) هذا يدفع إلى احتمال وجود أرخبس فى لاوديكيه أيضاً . فمن المؤكد أنه ظهر فى الرسائل التى أرسلت إلى لاودكيا . لماذا إذاً يطلب بولس توصيل هذه الرسالة الشفهية إليه؟ إذا كان أرخبس موجوداً فى كولوسى ، فانه كان سيستمع إلى رسالة كولوسى عندما تقرأ أمام المجتمعين كلهم . لماذا إذاً أرسل هذا الأمر الشفهى

الخاص إليه ؟ من المحتمل جداً أن الإجابة الصحيحة على هذا التساؤل أن أرخبس لم يكن موجوداً أصلا فى كولوسى بل فى لاودكيا .

لو كان الأمر كذلك ، لكان بيت فليمون أيضاً فى لاودكيا ، ولكان هذا معناه أن أنسيموس كان عبداً لاودكياً هارباً . ولكان هذا أيضاً معناه أن الرسالة إلى فليمون كانت ، فى الحقيقة ، محررة إلى لاودكية . ولو كان هذا ما حدث ، لكان الخطاب المفقود إلى كنيسة لاودكية ، والذى جاء ذكره فى كولوسى ٤ : ١٦ هو نفسه الرسالة إلى فليمون . وفى الحقيقة يحل هذا كثيراً من المشكلات .

لنذكر أنه فى المجتمع القديم ، بمفهومه الخاص عن العبودية ومعاملة العبيد ، كانت خطوة بولس فى إرسال العبد الهارب بالغة الخطورة . وعلى هذا يمكن اعتبار أن « فليمون » لم تكن رسالة خاصة على الإطلاق . فهى مرسلة إلى فليمون والى الكنيسة التى فى بيته . وأن المطلوب أيضاً قراءتها فى كولوسى . ماذا كان يفعل بولس إذاً ؟ كان يعبئ الرأى فى كنيستى لاوديكية وكولوسى فى صفه لعلمه بخطورة الخطوة فى إرسال عبد هارب . لم يترك أمر قبول العبد الهارب إلى ميول فليمون الشخصية ؛ بل جعله أمراً عاماً يشترك فيه جميع الأخوة ، ويتحد فيه الرأى المسيحى لإنجاز عمل مسيحى . وبعبارة أخرى ، لم يترك أمر أنسيموس لفليمون وحده ، بل كان لابد أن يكون قراراً عاماً من المجتمع المسيحى كله . وما يعضد هذا الرأى وجود نقطة لغوية واحدة . ولكنها هامة . فى آية ١٢ يكتب بولس أنه رد أو أرسل ثانياً أنسيموس إلى فليمون . والفعل هو In a pempein ؛ وهذا هو الفعل المعتاد استعماله ليعنى إحالة موضوع على واحد للبت فيه . وعلى ذلك تكون ترجمة الآية ١٢ كما يلى : « إنى أحيل هذا الموضوع إليكم » بما يفيد أن بولس لا يعنى فقط فليمون ، ولكن أيضاً الكنيسة التى فى بيته .

هناك كثير يمكن قوله فى تعضيد هذا الرأى. ولكن هناك مشكلة واحد بخصوصه . فى كولوسى ٤ : ٩ يشار إلى أنسيموس كواحد منكم ، ٤ : ٩ وهذا بالتأكيد يشير إلى أنه من كولوسى . ولكن Goodspeed الذى أثار هذا الرأى بعمق بحثه وقوة إقناعه ، يرد على ذلك بقوله أن هيرا بوليس ، ولاوديكيه ، وكولوسى كانت قريبة جداً من بعضها البعض ، لدرجة اعتبار كنائسها كنيسة واحدة ، ومجتمعاً واحداً ، وأنه بذلك تكون عبارة واحد منكم لا تعنى بالذات كولوسى ، ولكن هذا المجتمع الواحد المتقارب . لو كنا على استعداد لتقبل هذا ، زالت العقبة الأخيرة ضد هذه النظرية .

متابعة القصة :

ولا يتوقف Goodspeed عند هذا . بل يستمر فى بناء قصة أنسيموس فى صورة مؤثرة .

يكتب بولس فى عددى ١٣ ، ١٤ بصورة تامة الوضوح أنه كان يود كثيراً أن يبقى أنسيموس لديه ، « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندى لكى يخدمنى عوضاً عنك فى قيود الإنجيل . ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكى لا يكون خيرك على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار » . وهو يذكر فليمون بأنه مديون له بنفسه (آية ١٩) . ثم يضيف بذكاء جذاب ، « ليكن لى فرح بك فى الرب » (بمعنى اسمح لى أن اكتسب شيئاً مسيحياً منك) . ثم يذكر ، « إذ أنا واثق باطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما تقول » . هل كان ممكناً أن يرفض فليمون هذا الرجاء ؟ أمام عبارات كهذه هل كان يملك شيئاً غير أن يعيد أنسيموس إلى بولس ومعه تحياته ؟ لهذا يعتبر Goodspeed أن أنسيموس قد عاد بالتأكيد إلى بولس ، وأصبح له مساعد فى عمل الإنجيل .

اسقف افسس :

لننتقل الآن خمسين عاماً تقريباً عندما يؤخذ إغناطيوس ، أحد أعاظم شهداء المسيحية ، من كنيسة فى أنطاكية ليعدم فى روما . وأثناء ذهابه ، يكتب رسائل ، لازالت باقية ، إلى كنائس آسيا الصغرى . توقف فى سميرنا ليكتب إلى كنيسة أفسس ، وفى الفصل الأول من هذا الخطاب تكلم كثيراً عن أسقف أفسس العجيب . وماذا كان اسم هذا الأسقف ؟ أنه **أنسيموس** ، ويستعمل أغناطيوس نفس التلاعب اللفظى الذى استعمله بولس — هو أنسيموس اسماً ، وهوأنسيموس فعلا ، المفيد فى المسيح . وربما كان ما حدث فعلا أن أنسيموس العبد الهارب قد وصل بعد هذه السنين إلى أن يصير أسقف أفسس العظيم .

ماذا فعل المسيح لى :

وإذا كان كل ذلك قد حدث ، فانه لازال هناك تعليل باق . لماذا بقيت هذه الرسالة الصغيرة التى لا تخرج عن صفحة صغيرة واحدة من ورق البردى ؟ كيف وصلت هذه الرسالة النصف شخصية والنصف رسمية إلى مجموعة رسائل بولس ؟ فهى لا تبحث فى مبدأ عظيم ، ولا تهاجم هرطقة خطيرة ، بل هى الرسالة الوحيدة بين رسائل بولس المؤكدة التى كتبت لفرد معين .

ومما لا شك فيه أن أول محاولة عملية لجمع رسائل بولس تمت فى أفسس . ربما حدث ذلك حوالى نهاية القرن الأول — ثم نسخت وطبعت . وحول هذا الوقت بالضبط كان أنسيموس أسقفاً لأفسس . وربما كان أنسيموس بالذات هوالذى أصر على ضم هذه الرسالة إلىالمجموعة ، رغم قصر وصغر وخصوصية الرسالة . وذلك لكى يرى جميع الناس ماذا فعلت له نعمة الله . ففيها يقول

الأسقف العظيم للعالم كله إنه فى يوم ما كان عبداً هارباً ولصاً ، وأنه يدين بحياته لبولس وليسوع المسيح . وفيها يصر الأسقف الكبير أن يعيد على الأسماع قصة عاره الشخصى لكى ينطق هذا العار بالذات عن مجد الله .

هل رجع أنسيموس إلى بولس ومعه تمنيات ودعوات فليمون ؟ هل صار أسقف أفسس العظيم ، وهو السارق الهارب من العبودية ؟ هل أصر على ضم هذه الرسالة الصغيرة إلى مجموعة بولس لكى يخبرنا ماذا فعل له المسيح خلال بولس ؟ لن نعرف أبداً الحقيقة ، ولكن إذا كان هذا ما حدث نجد هنا قصة عاطفية بالغة للنعمة فى الكنيسة الأولى . لن نتأكد أبداً من الحقيقة ، ولكنها قصة جميلة نتمنى أن تكون صادقة .

رجل يسهل إسترجاؤه

١ بُولُسُ أَسِيرُ يَسوعَ ٱلْمَسِيحِ وَتِيمُوثَاوُسُ ٱلأَخُ
إِلَى فِلِيمُونَ ٱلْمَحْبُوبِ وَٱلْعَامِلِ مَعَنَا ٢ وَإِلَى أَبْفِيَّةَ ٱلْمَحْبُوبَةِ
وَأَرْخِبُّسَ ٱلْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا وَإِلَى ٱلْكَنِيسَةِ ٱلَّتِي فِي بَيْتِكَ
٣ نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ ٱللهِ أَبِينَا وَٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ .
٤ أَشْكُرُ إِلٰهِي كُلَّ حِينٍ ذَاكِراً إِيَّاكَ فِي صَلَوَاتِي
٥ سَامِعاً بِمَحَبَّتِكَ وَٱلإِيمَانِ ٱلَّذِي لَكَ نَحْوَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ
وَلِجَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ ٦ لِكَيْ تَكُونَ شَرِكَةُ إِيمَانِكَ فَعَّالَةً
فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ ٱلصَّلاَحِ ٱلَّذِي فِيكُمْ لأَجْلِ ٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ . ٧ لأَنَّ لَنَا فَرَحاً كَثِيراً وَتَعْزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ
لأَنَّ أَحْشَاءَ ٱلْقِدِّيسِينَ قَدِ ٱسْتَرَاحَتْ بِكَ أَيُّهَا ٱلأَخُ .

فليمون ١ – ٧

الرسالة إلى فليمون رسالة غير عادية لأننا نرى فيها صورة غير عادية ــ بولس يطلب معروفاً ــ فليس هناك شخص مثل بولس فى قلة طلبه للمعروف ، ولكنه فى هذا الخطاب بالذات يخرج عن عادته ويطلب معروفاً لا لنفسه ولكن لأنسيموس ، الذى سلك الطريق المعوج ويحاول بولس مساعدته للعودة إلى الصواب .

وحتى بداية الرسالة غريبة . فبدلا من أن يدعو بولس نفسه رسول يسوع المسيح كعادته دائماً ، يسقط هذا اللقب الرسمى من الخطاب لأنه مرسل من صديق إلى صديقه . ويكتب لا كبولس الرسول بل كبولس أسير يسوع المسيح . وهكذا منذ البداية يلقى بولس جانباً كل ارتباط بالسلطان ، ويبنى رجاءه على المشاركة المسيحية والمحبة فقط .

ونحن لا نعرف من هما أبفية وارخبس ، ويقال إنهما زوجة وابن فليمون لأنهما أيضاً لهما مصلحة هامة فى عودة أنسيموس العبد الهارب . ومن المؤكد أن أرخبس قد حضر خدمات مسيحية مع بولس ، لأن بولس يشير إليه كأحد المتجندين معه .

والواضح أن فليمون كان رجلا يمكن التفاهم معه وطلب معروف منه إذ كان إيمانه فى المسيح ومحبته للأخوة معروفاً للجميع واشتهر ذلك عنه حتى وصل روما حيث كان بولس سجيناً . ولا بد أن بيته كان مثل واحة فى الصحراء ، لأنه كما وصفه بولس ، كان ينعش قلوب شعب الله . ما أجمل أن تذهب ذكرى الإنسان فى التاريخ أنه هو الرجل الذى ارتاح فى بيته شعب الله ووجدوا لديه مسرتهم .

فى هذه الفقرة توجد آية من الصعب ترجمتها وكتب عنها الكثير . هذه هى صلاة بولس لفليمون فى آية ٦ . الجزء الأخير من الصلاة تضرع كى ينمو فليمون فى معرفة كل الأمور الصالحة التى تقود إلى المسيح . والجزء الأول « شركة إيمانك » إما أن يعنى .

(أ) دعاء أن الإيمان الذى يشترك فيه فليمون وبولس معاً يقود فليمون إلى أعماق الحق المسيحى .

(ب) أو دعاء أن هذه الشركة المسيحية تقود فليمون إلى أعماق الحق .

(حـ) أن كلمة شركة تعنى مشاركة أو شفقة مسيحية وعطاء مسيحى وكرم مسيحى فى المشاركة . وفى هذا المعنى تكون الآية « إنى أصلى أن يقودك كرمك فى المشاركة وجودك فى العطاء إلى أعماق المعرفة فى انتقاء الصالح الذى يقود إلى المسيح » .

ونحن نعتقد أن المعنى الأخير هو المقصود . فمن الواضح أن الكرم والشفقة المسيحية كانت بعض صفات فليمون . فقد حفظ قلبه على محبة شعب الله وقدم لهم فى بيته راحة ومسرة . والآن يطلب بولس من هذا الرجل الكريم أن يكون أكثر كرماً . وإذا كان هذا التفسير صحيحاً نجد هنا فكرة عظيمة . هذه الفكرة هى أنه باعطائنا للآخرين نعرف أكثر عن المسيح . أى أنه إذا شاركنا الآخرين أعطانا المسيح . أو بمعنى آخر إذا أفرغنا أنفسنا نمتلىء بالمسيح . إذا أفقرنا أنفسنا فى العطاء ، زدنا غنى بعطايا المسيح . وأن الشخص الكريم هو أقرب الناس لاختيار غنى المسيح . وأكثر الناس معرفة للمسيح ليس هو الباحث المثقف ، ولا حتى القديس الذى يبتعد عن الناس ويمضى أيامه ولياليه فى الصلاة ، ولكنه هو الشخص الذى يكرم فى محبة كل من حوله من الناس .

من أجل المحبة

٨ لِذٰلِكَ وَإِنْ كَانَ لِي بِٱلْمَسِيحِ ثِقَةٌ كَثِيرَةٌ أَنْ آمُرَكَ
بِمَا يَلِيقُ ٩ مِنْ أَجْلِ ٱلْمَحَبَّةِ أَطْلُبُ بِٱلْحَرِيِّ إِذْ أَنَا
إِنْسَانٌ هكَذَا نَظِيرُ بُولُسَ ٱلشَّيْخِ وَٱلْآنَ أَسِيرُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ
أَيْضاً ١٠ أَطْلُبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ٱبْنِي أُنِسِيمُسَ ٱلَّذِي وَلَدْتُهُ
فِي قُيُودِي ١١ ٱلَّذِي كَانَ قَبْلاً غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ وَلٰكِنَّهُ
ٱلْآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي ١٢ ٱلَّذِي رَدَدْتُهُ . فَٱقْبَلْهُ ٱلَّذِي هُوَ
أَحْشَائِي . ١٣ ٱلَّذِي كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ أُمْسِكَهُ عِنْدِي لِكَيْ
يَخْدُمَنِي عِوَضاً عَنْكَ فِي قُيُودِ ٱلْإِنْجِيلِ ١٤ وَلٰكِنْ بِدُونِ
رأْيِكَ لَمْ أُرِدْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً لِكَيْ لَا يَكُونَ خَيْرُكَ كَأَنَّهُ
عَلَى سَبِيلِ ٱلْاضْطِرَارِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ ٱلْاخْتِيَارِ . ١٥ لِأَنَّهُ
رُبَّمَا لِأَجْلِ هٰذَا ٱفْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى
ٱلْأَبَدِ ١٦ لَا كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ أَخاً
مَحْبُوباً وَلَا سِيَّمَا إِلَيَّ فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي ٱلْجَسَدِ
وَٱلرَّبِّ جَمِيعاً . ١٧ فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكاً فَٱقْبَلْهُ
نَظِيرِي .

فليمون ٨ – ١٧

كان لبولس ، وهو ما هو ، الحق فى طلب ما يرغبه من فليمون ، ولكنه هنا يرجو فى تواضع . لكى تكون العطية عطية يجب أن تعطى بفرح وبحرية كاملة ؛ أما العطية التى تفرض على الشخص فهى ليست بعطية .

فى آية ٩ يصف بولس نفسه بأنه الشيخ وأنه أسير يسوع المسيح . هناك كثير من الباحثين ينكرون على بولس وصف نفسه بأنه شيخ مسن . لأنه لم يكن بالتأكيد قد بلغ سن الستين ؛ ربما بين الـ ٥٥ ، الـ ٦٠ ولكن بولس محق ، ومن يعترضون من المفسرين على استعمال كلمة شيخ مخطئون . فالكلمة التى استخدمها بولس تناسب السن ما بين ٤٩ ، ٥٦ فى رأى هيوقراطس. فى هذا العمر يمكن أن يطلق على شخص لقب كهل Senior ، وبعد هذا يطلق عليه geron أى عجوز أو شيخ . ويرى هؤلاء الباحثون أن الوصف المقصود هو الكلمة presbeutes وتعنى سفير ، وقد استعمل بولس الفعل من هذه الكلمة فى أفسس ٦ : ٢٠ عندما قال ، « الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل » . ولكن المعنى الأكثر احتمالا هو كبير السن ، لأن بولس ، فى هذا الخطاب ، يترجى لا بسبب المركز الذى يشغله ، أو السلطة التى يتمتع بها ، بل المحبة فقط . فهو لا يتكلم بصفته السفير ، بل بصفته إنسان عاش حياة قاسية ، وقد غلبه الآن التعب والوحدة .

ثم يوضح بولس رجاءه فى آية ١٠ ، وهو رجاء خاص بانسيموس . ونلاحظ هنا كيف يتباطأ بولس فى الإفصاح عن اسم أنسيموس ، كما لو كان متردداً فى عمل ذلك . ولا يسوق بولس أية أعذار لأنسيموس ؛ بل يعترف بلا حرج بعدم منفعته وبضعة أخلاقه ؛ ولكنه يقدم عنه دفاعاً واحداً أنه صار نافعاً الآن .

والمسيحية ، كما اعتاد James Denney على القول ، هى القوة التى

تجعل من الأردياء رجالا صالحين . ومن المهم أن نلاحظ قول بولس أن عدم المنفعة صار فى المسيح نافعاً . المسيحية ليست وهماً يخلق أناساً حالمين ليس فيهم كفاءة أو وضوح ؛ ولكنها تنتج أناساً لهم منفعة ، أناساً يفهمون الأمور ، أناساً يؤدون العمل أفضل من أى إنسان آخر لم يعرف المسيح بعد . قيل عن أحدهم إنه كان سماوى التفكير لدرجة انعدام فائدته للأرض . ولكن المسيحية الصادقة تجعل من الشخص سماوى التفكير ومفيداً فى حياته على الأرض فى نفس الوقت .

يطلق بولس على أنسيموس الطفل الذى ولدته فى قيودى ، هناك مثل يهودى يقول : « لو علم واحد الناموس لابن جاره ، يعتبر هذا مماثل لكونه إبناً له أنجبه » . إن أتى بانسان إلى الله ، ويقوده إلى يسوع المسيح ، هذا فى حد ذاته عمل عظيم كمن أتى به إلى العالم . سعيد هو ذلك الأب الذى ينجب للحياة الأرضية إبناً ، ثم يقوده إلى الحياة الأبدية ، فإنه بهذا يكون قد ولده مرتين .

ـ كما رأينا سابقاً فى المقدمة ، هناك معنيان للآية ١٢ . يقول بولس « الذى رددته » . ولكن الفعل فى الأصل لا يعنى فقط أن يرد ، بل يعنى أيضاً أن يحيل الموضوع إلى ، وهكذا يكون ما يقوله بولس لفليمون هو : « إنى أحيل موضوع أنسيموس إليك ، لكى تحكم فيه بما يتناسب مع المحبة التى فيك » . ولا بد أن أنسيموس قد صار عزيزاً جداً على بولس أثناء تلك الأشهر التى قضاها فى السجن ، لأن بولس يضفى عليه هذا الإعزاز العظيم بقوله إنه إذ يرسل أنسيموس كأنما يفترق عن قطعة من أحشائه .

ثم يأتى بعد ذلك الرجاء . كان يود بولس أن يحتفظ بأنسيموس ، ولكنه يرده إلى فليمون ، لأنه لن يفعل شيئاً دون موافقة فليمون . نلاحظ هنا أيضاً

شيئاً هاماً . المسيحية ليست مستعدة أن تعين الإنسان على الهرب من ماضيه وإغفاله ، ولكنها مستعدة أن تمكنه من مواجهة ماضيه والارتقاء فوقه . لقد هرب أنسيموس ، لا يصح إذا السماح له بالتهرب من نتائج فعلته القبيحة . يجب أن يرجع ، وأن يواجه نتائج ما فعل ؛ وأن يتقبل هذه النتائج ؛ ثم يرتقي فوقها جميعاً . ليست المسيحية هروباً ، بل هي انتصار .

وإذ يعود أنسيموس ، يعود كشخص آخر . ترك عمله كعبد وثني ، ويعود أخ في المسيح . ولا بد أن الأمر صعب على فليمون أن يعتبر عبده الهارب أخاً ؛ ولكن هذا هو بالضبط ما طلبه بولس . « فإن كنت تحسبني شريكاً في عمل المسيح ، وأن أنسيموس هو ابني في الإيمان ، إقبله إذاً كما لو كنت تقبلني أنا نفسي » .

نجد هنا مرة أخرى أمراً عظيم القيمة . يجب أن يرحب المسيحي بعودة من أخطأ . غالباً ما ننظر المخطئ الذي أخطأ سواء السبيل بعين الشك والارتياب ؛ وكثيراً جداً ما نظهر له عدم استعدادنا أن نثق فيه ثانياً. نستطيع أن نصدق أن الله قادر على العفو عنه ، أما نحن ، فنجد من الصعوبة بل من الاستحالة أن نعفو عنه . قيل إن أعظم عامل مشجع في يسوع المسيح أنه يثق فينا في نفس المجالات التي فشلنا فيها . عندما يرتكب إنسان خطأ ما ، فإن طريق العودة يمكن أن يكون شاقاً للغاية ، ولن يغفر الله ببساطة للشخص الذي ، في بره الذاتي ، أو في جحود قلبه ، يجعل الأمر أكثر مشقة .

الرجاء والبركة الختامية

١٨ ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ
فَاحْسُبْ ذٰلِكَ عَلَيَّ . ١٩ أَنَا بُولُسَ كَتَبْتُ بِيَدِي .
أَنَا أُوفِي . حَتَّى لاَ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ مَدْيُونٌ لِي بِنَفْسِكَ أَيْضاً
٢٠ نَعَمْ أَيُّهَا ٱلأَخُ لِيَكُنْ لِي فَرَحٌ بِكَ فِي ٱلرَّبِّ . أَرِحْ
أَحْشَائِي فِي ٱلرَّبِّ . ٢١ إِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِإِطَاعَتِكَ كَتَبْتُ
إِلَيْكَ عَالِماً أَنَّكَ تَفْعَلُ أَيْضاً أَكْثَرَ مِمَّا أَقُولُ .

٢٢ وَمَعَ هٰذَا أَعْدِدْ لِي أَيْضاً مَنْزِلاً لأَنِّي أَرْجُو أَنَّنِي
بِصَلَوَاتِكُمْ سَأُوهَبُ لَكُمْ . ٢٣ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبَفْرَاسُ
ٱلْمَأْسُورُ مَعِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ ٢٤ وَمَرْقُسُ وَأَرِسْتَرْخُسُ
وَدِيمَاسُ وَلُوقَا ٱلْعَامِلُونَ مَعِي . ٢٥ نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ . آمِينَ إِلَى فِلِيمُونَ كُتِبَتْ مِنْ
رُومِيَةَ عَلَى يَدِ أُنِسِيمُسَ ٱلْخَادِمِ .

فليمون ١٨ — ٢٥

إحدى قوانين الحياة المسيحية أن واحداً لا بد أن يدفع ثمن الخطية . الله
قادر على المغفرة وهو يغفر ، ولكن حتى الله ذاته لا يستطيع أن يحرر إنساناً

من نتائج عمله . فى هذا يظهر مجد المسيحية ، فكما أن يسوع المسيح تحمل خطايا جميع الناس ، هكذا يوجد أولئك الذين دفعتهم محبتهم أن يقدموا العون ويدفعوا ثمن نتائج الخطايا والأخطاء التى ارتكبها أحباؤهم . ولم تعط المسيحية مطلقاً للانسان حق الإخلال بتسديد ديونه . لا بد أن أنسيموس قد سرق فليمون ثم هرب منه . ولو لم يكن قد أخذ من مال فليمون ، لا يعقل كيف دبر أمر سفره هذه المسافة الطويلة إلى روما . ولكن بولس يكتب بيده ويقول إنه مسئول وأنه سيوفى الدين كله .

من الطريف ملاحظة ما يتضمنه هذا المكتوب اليدوى من اعتراف بالدين حسب ما درسناه فى كولوسى ٢ : ١٤ . هذا إيصال أو صك مكتوب بخط اليد يؤخذ ضد بولس ؛ وهو مسئولية تحملها بولس عن طيب خاطر ووقع عليها .

ونلاحظ أيضاً أن بولس كان قادراً ومستعداً أن يسدد ديون أنسيموس . فبين حين وآخر تبدو لنا لمحات تشير إلى أن بولس لم يكن بدون موارد مالية. احتفظ به فيلكس سجيناً لأنه كان يأمل فى الحصول على رشوة منه ليخلى سبيله ؛ ولا بد أن فيلكس كان يثق بأن بولس متيسر الحال لدرجة إمكانه دفع رشوة (أعمال ٢٤ : ٢٦) . كذلك كان بولس قادراً على استئجار بيت أثناء سجنه بروما (أعمال ٢٨ : ٣٠) . وربما كان الأمر ، أنه لولا أن بولس قد اختار حياة رسول للمسيح ، لكانت حياته مستقرة ناعمة تتيحه له موارده الخاصة . وربما كان هذا شيئاً آخر بين عديد الأشياء التى تركها بولس لأجل المسيح .

نستمع فى آية ٢٠ إلى بولس يتكلم بشىء من الفكاهة ويقول « فليمون ، أنت مدين لى بنفسك ، لأننى أنا الذى أتيت بك إلى المسيح . ألا تسمح لى

بربح أناله منك الآن ؟ » وكأننا ببولس يبتسم بحنان قائلا « لقد أخذت الكثير منى يا فليمون – اسمح لى بأخذ شيء منك الآن ! » .

ونجد فى آية ٢١ مثالا لنوع التعامل الذى تعود عليه بولس مع الناس . فالقاعدة التى يتبعها بولس دائماً هو توقع أفضل ما يكون من الآخرين . وفى حقيقة الأمر ، لم يشك بولس مطلقاً فى أن فليمون سيستجيب إلى كل طلباته . ولكنها قاعدة طيبة ؛ أن تتوقع الأفضل من الآخرين هو أنك غالباً قد قطعت أكثر من نصف المرحلة للحصول على الأفضل . لو أوضحنا أننا نتوقع القليل ، سنحصل على القليل . ولكننا إذا وضعنا إنسان إزاء شرفه بأن نظهر له كم نتوقع منه ، استيقظ فيه نداء الفروسية وتحركت الشهامة فى قلبه ، وحصلنا على الكثير من ذلك الذى توقعنا الحصول على الكثير منه .

فى آية ٢٢ يتكلم بولس بتفاؤل . كان يؤمن أنه حتى وهو فى السجن : يمكن لصلوات أصدقائه أن تخرجه حراً . لقد غير خططه الآن . قبل اعتقاله ، كانت نيته الذهاب إلى أسبانيا (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . وربما بعد سنوات فى السجن ، سنتين فى قيصرية ، وسنتان طويلتان فى روما ، شعر بولس أنه يجب أن يتخلى عن هذه الأماكن البعيدة ونهاية العالم إلى من هم أصغر منه سناً ، وأن الأفضل لمن كان مثله قد قارب النهاية ، أن يعود إلى أصدقائه القدامى .

فى آية ٢٣ ، توجد قائمة تحيات من نفس الزملاء الذين قابلناهم فى كولوسى ، فى أجزائها الختامية ، وهناك ذكرنا كل ما نعرفه عنهم .

وأخيراً تأتى البركة ، وتطلب نعمة المسيح على كل من فليمون وأنسيموس على حد سواء .



١٠١٠٠٥٢١